

القرآن الكريم





الواقف للدراسات والبحوث

مجله شهریه بهمد رهائزب الشیوعی العللی

238

العدد 12 السنة 38 تشرين الاول 1991

فهرست

■ موقفنا :

4 - بلاغ عن اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي .

■ نحو المؤتمر الخامس لحزبنا - آراء ومناقشات .

6 - مهماتنا ودورنا في اطار الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاق

البديل الديمقراطي فالح عبد الجبار

14 - نظرة في اسلوب التحالفات السياسية د. عبد الرؤوف حسين علوان

34 - نصف عام بعد الانتفاضة عصام الحفاجي

54 - رأي بشأن الاحداث الاخيرة في الاتحاد

السوفيتي د. عبد الحميد بخش - ابوزكي

61 - آفاق الاقتصاد العراقي كما طرحها النظام ترجمة : هاشم

72 - الديمقراطية كضرورة محمود صبري

75 - السكن الاقتصادي د. ادريس المهدي

79 - دور امريكا في تسليم صدام جالك كولهن ترجمة : سلام

■ ادب وفن

88 - صوت الجنون في فضاء المدينة الاسلامية حيان السمان

102 - عن اثم كان ومايزال شريف الربيعي

106 - الجفاف / فصل من رواية زهير الجزائري

111 - الفاس والشجرة / قصة قصيرة سلام ابراهيم

116 - امريكا علاء حسن صالح

123 - جبل الاحلام / شعر شعبي عزيز السماوي

127 - ضحك ينكسر قليلاً / شعر ابراهيم اليوسف

131 - مسافر / شعر صديق شرو

133 - اذا لم اعد؟ / شعر ايدين كاسترو - ترجمة : حميد هلال

- 135 - ماركيز حول الموسيقى والموروث الثقافي للشعوب ... ترجمة: كاظم كودولو
 140 - نشاطات ثقافية في دهوك
 142 - من صدى ايام الثقافة الديمقراطية العراقية في المنفى

■ كتب جديدة

- 145 - العنقاء تولد من الرماد! عرض: سلام حبه

■ وثائق

- ✓ 153 - حول تطورات الاوضاع في الاتحاد السوفيتي المكتب السياسي
 154 - حول استمرار طفمة صدام حسين في ابادة الشعب العراقي
 في الجنوب وكردستان المكتب السياسي
 156 - بيان اللجنة القانونية للجنة العمل المشترك

■ العراق في الصحافة

- 158 - لا لقتل اطفال العراق على يد بوش وميجر وميتران التجمع اليمني
 164 - بين «نظام الشورى» وموجبات الديمقراطية النداء

■ مقتطفات ومعالجات

- 167 - ادوات الصراع وسباق المواجهة الموقف
 ✓ 169 - الانقلاب والديمقراطية الغد الديمقراطي
 171 - الاجتياح العسكري التركي والموقف المطلوب البديل الاسلامي
 ✓ 172 - الحركة الاسلامية.. وتداعيات حرب الخليج الموقف
 175 - ما المطلوب: وحدة المعارضة العراقية أم تعدد مراكزها؟ ... الغد الديمقراطي
 178 - قرار توحيد الجهد العسكري العراقي المعارض
 180 - غزو الكويت وحقوق الانسان المنظمة العربية لحقوق الانسان

بلاغ عن اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي اجتماعاً اعتيادياً أواسط ايلول ١٩٩١ في محافظة اربيل، افتتحته بالوقوف دقيقة اجلال واحترام لشهداء الحزب والحركة الوطنية وانتفاضة آذار المجيدة، وتدارست فيه الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتأزم في البلاد، في ضوء مشروع بيان اللجنة المركزية وتقرير المكتب السياسي بهذا الشأن.

وتناول الاجتماع بالتحليل العميق نتائج المغامرة الانتحارية التي لجأت اليها الدكتاتورية الحاكمة لمعالجة أزمة البلاد التي يستحيل حلها في ظل الدكتاتورية. وبحث الاجتماع الانتفاضة الشاملة لشعبنا، هذا الحدث المجيد في تاريخنا المعاصر، والذي زعزع أسس الدكتاتورية وحطم العديد من مؤسساتها وأوكارها خلال ساعات معدودات. وحلل الاجتماع أسباب الانتفاضة وتطوراتها وأسباب انتكاستها وكوامن انفجارها من جديد، وفند كل المزاعم والافتراءات التي حاولت النيل منها واتهامها بالطائفية والقومية الضيقة.

وأعار الاجتماع اهتماماً خاصاً باوضاع الجماهير ومعاناتها المعاشية والاجتماعية، وتوقف عند ظاهرة التوتر المتزايد وتحشيدات السلطة العسكرية والاصطدامات المسلحة في منطقة كردستان، وتهديد السلطة بشن الهجوم على مناطق الاهوار حيث يلتجئ عشرات الالوف من مواطني الوسط والجنوب.

كما احتلت القضية الكردية جانباً مهماً من أعمال الاجتماع، حيث شخّص التقدم الكبير الذي حققته بفضل النضال المقعم بالتضحيات للشعب الكردي خصوصاً والشعب العراقي عموماً، وجدد موقف الحزب المبدئي من الاعتراف بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه، والحل الآن لقضيته على أساس الحكم الذاتي الحقيقي وتطويره وفق الظرف الملموس لنضال الشعب العراقي بقوميته الرئيسيتين واقلياته القومية من أجل الاطاحة بالدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي، انطلاقاً من أن الديمقراطية في العراق كله والحقوق القومية العادلة للشعب الكردي متلازمان ولا يمكن تحقيق احدهما دون الآخر

مادام الشعبان العربي والكرد ينعاشان في دولة واحدة . وبالارتباط مع ذلك أكدت اللجنة المركزية موقف الحزب المتحفظ من المفاوضات بين الجبهة الكردستانية والدكتاتورية المترعزة .

وفي الوقت الذي عبّرت فيه اللجنة المركزية عن حرصها على الجبهة الكردستانية العراقية وأهمية دورها أكدت ضرورة التمسك بسياسة التحالف في إطار لجنة العمل المشترك وتوسيعه ليشمل قوى تعارض الحكم القائم وتعمل على الاطاحة به وعلى اقامة نظام ديمقراطي تعددي ينبثق عن إرادة الشعب المعبر عنها بانتخابات حرة مباشرة، تصون الاستقلال والسيادة الوطنية .

ورأى الاجتماع ان من واجبه ان يدعو كل قوى المعارضة للتخلي بأقصى اليقظة والمرونة والمسؤولية وذلك من أجل احباط المحاولات لشق صفوفها واثارة الخلافات والنعرات الطائفية والدينية والقومية والسياسية، وبالتالي الاصطدام بين اطرافها .

ووجدت اللجنة المركزية ان تطور الوضع في العراق وآفاقه عزز وأكد تشخيص أوليات مهام الحزب التي يأتي في مقدمتها إعادة بناء تنظيماته في المدن والريف حيث تتطلع الجماهير اليه لقيادة نضالها في هذا الظرف العصيب الذي يمر فيه شعبنا، ودعت اللجنة المركزية جماهير شعبنا لتعبئة نفسها وتنظيم نضالاتها المطلية . كما اهابت بمنتسبي الجيش، وناشدته الوقوف إلى جانب الشعب ونضاله .

كذلك درس الاجتماع الوضع الراهن في الشرق الأوسط والمنطقة العربية بعد غزو الكويت وما نجم عنه من تعزيز الهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية للامبريالية العالمية بزعماء الولايات المتحدة الامريكية، والاخلال بموازين القوى في المنطقة لغير صالح الشعوب العربية، والاضرار الفادح بقضية الشعب العربي الفلسطيني .

واستعرض الاجتماع التغييرات الهائلة في الوضع الدولي وانهايار المعسكر الاشتراكي في بلدان اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي وانتكاسة الحركة الشيوعية العالمية، وتوصل إلى عدد من الاستنتاجات الأولية بشأنها .

وواصل اجتماع اللجنة المركزية اعماله بالمناقشة المستفيضة واتخاذ القرار المناسب لعقد المؤتمر الوطني الخامس للحزب واقرار مشروع وثيقتي البرنامج والنظام الداخلي الجديدين للحزب في ضوء الحاجة الموضوعية إلى تجديده فكريا وسياسيا وتنظيميا، وتوزيعها على المنظمات الحزبية لدراستها وتقديم التعديلات .

واختتم الاجتماع اعماله بتجديد انتخاب الرفيق عزيز محمد سكرتيراً عاماً للجنة المركزية، كما انتخب أعضاء المكتب السياسي .

اواسط ايلول

١٩٩١



نحو المؤتمر الخامس لحزبنا - آراء ومناقشات

ملاحظات أولية :

مهمتنا ودورنا في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاق البديل الاشتراكي

فالح عبد الجبار

* مدخل عام :

ينطلق البرنامج المطلوب لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية (ث. و. د) من فهم أوسع لطبيعة هذه المرحلة وتناقضاتها، ويتضمن بالتالي المهمات الرئيسية المطروحة فيها، وعلى فهم أدق لطبيعة الارتباط بينها وبين الأفق الاشتراكي، الذي يقتضي، في إطار الخبرة الراهنة العملية والنظرية، شروطاً عالمية ومحلية محددة ينبغي تعيينها.

وان أول معلم في البرنامج هو فك التداخل القديم بين مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية والأفق الاشتراكي، وفهماً أوسع ولواضح لطبيعة مرحلة (ث. و. د) في الظرف الراهن (بالتحديد الطابع المميز للرأسمالية وآفاق تطورها محلياً، وإطارها العالمي الجديد الخ، ونمط تفاعل الاثنين، الخ). وفهماً تجديدياً لطبيعة البديل الاشتراكي عالمياً ومحلياً. هذا الفهم الجديد والترابط الجديد يتضمنان في ثناياهما تحديد المهام.

وكمدخل عام، ينبغي ان ينطلق البرنامج من استيعاب مفهوم التشكيلات الاجتماعية - الاقتصادية الماركسي، الذي يركز على ان تشكيلة ما لا تغادر المسرح إلا بعد ان تستنفد امكانات تطورها، وان ثمة شروطاً موضوعية وذاتية لازمة للانتقال منها إلى تشكيلة أرقى، سواء بثورة اجتماعية عنيفة أو سلمية تبعاً للوضع الملموس، وان ثمة حاملاً

اجتماعياً لعملية التطور هذه يتمثل في طبقة أو طبقات وفئات اجتماعية محددة، وإن عملية التطور هذه شمولية، عالمية، وإن كانت تجرى في إطارات جزئية (بلدان محددة) لكل منها ظروفه المميزة.

* ثورة التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية:

مرت بلداننا العربية، ومنها العراق، بطورين يتسمان بعناصر مشتركة. الطور الأول هو طور الثورة الوطنية التحررية الرامية إلى تحقيق الاستقلال من نير الاحتلال الكولونيالي، الذي تعرضت له بلداننا، على أيدي الرأسماليين الكولونياليين. وقد رفع راية النضال الوطني التحرري الفلاحون والحرفيون وشيوخ العشائر وتجار المدن، وهي القوى الاجتماعية المميزة لمجتمع تقليدي، ما قبل رأسمالي. وتكفل هذا النضال في العراق بشورة العشرين، التي أفضت إلى إقامة الدولة العراقية المعاصرة (الحكم الأهلي). وهو نظام حكم سياسي يتركز على تحالف الاقطاع والبرجوازية الكومبرادورية (الوسيط التجاري مع المتروبولات)، والتبعية الكولونيالية. وطرح مستوى التطور الاجتماعي - الاقتصادي ما قبل الرأسمالي، بطابعه شبه الاقطاعي شبه الكولونيالي، طرح على جدول العمل التاريخي مهمات جديدة هي مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، التي لخصها باني الحزب الرفيق فهد في:

- ١ - الديمقراطية السياسية.
- ٢ - تفكيك العلاقات شبه الاقطاعية والقبلية في الريف.
- ٣ - فك التبعية الكولونيالية الاقتصادية والعسكرية (ازالة القواعد العسكرية والمعاهدات وتحرير الثروة الوطنية).
- ٤ - تصنيع البلاد (مع تركيز خاص على الصناعات الثقيلة) (انظر كتابات ر. فهد - طبعة ١٩٧٦ - قضيتنا الوطنية ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، كذلك الميثاق الوطني ص ١٣٣ - ١٣٧).
- ٥ - مساواة حقيقية في الحقوق القومية للاكراد والجماعات القومية الصغيرة.
- ٦ - إقامة اتحاد عربي يتركز على التعاون الاقتصادي والصناعي والزراعي والديمقراطية.
- ٧ - انتهاج سياسة خارجية وطنية.

لقد صبغ هذا البرنامج في أوائل الأربعينات، أيام هيمنة النظام الكولونيالي عالمياً، واندلاع الصراع عالمياً ضد الوحش الفاشي والنازي والعسكرية اليابانية، من جانب دول

التحالف الديمقراطي . وهي أيضاً فترة التطور الرأسمالي الدخيل (الكولونيالي) ونشوء الطبقة العاملة العراقية، ونمو البرجوازية الوطنية في إطار ضيق، أي، آخر المطاف، في مجتمع أخذ بالخروج من أسر المجتمع التقليدي السابق.

يعكس هذا البرنامج مهمات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية في فترة محددة من التطور. وهو برنامج تطور رأسمالي وطني من الألف إلى الياء في المدينة (التصنيع) والريف (توزيع الأراضي على الفلاحين)، في إطار ديمقراطية سياسية (برلمان، أحزاب، انتخابات، حرية صحف، حرية نقابات، الخ).

وفي إطار هذا البرنامج الديمقراطي، البرجوازي في جوهره بحكم طبيعة التطور، لم يغفل البرنامج هذه المرحلة كطور ضروري موضوعياً لكنس البقايا ما قبل الرأسمالية، وتطوير البلاد ارتباطاً بالافق الاشتراكي، رغم ان هذا الافق لم يكن مطروحاً مباشرة في المهام البرنامجية، بل مطروحاً في النظام الداخلي وفي كتابات أخرى، كأفقي عام يناضل في سبيله كل حزب شيوعي .

ورغم الطابع البرجوازي للمرحلة لم يغفل البرنامج دور العمال المتميز في هذا الطور المتناقض التناحري ومصالحهم في تطوره من جهة، وفي مكافحة ميوله المعادية لمصالحهم الآتية والمقبلة من جهة أخرى: «كافحوا ضد التدخل الاجنبي الذي يعرقل صناعتنا الوطنية. كافحوا في سبيل حماية الصناعة الوطنية. كافحوا في سبيل نقابات قوية وكافحوا في سبيل ضمان اجتماعي، كافحوا ضد العمل الاضافي واسلوب العمل بالقطعة». (فهد - ص ٢١٦).

ان لب البرنامج سياسياً هو الديمقراطية السياسية، ولب البرنامج اجتماعياً هو التصنيع والاصلاح الزراعي (تطوير القوى المنتجة)، ولب البرنامج وطنياً هو فك التبعية الكولونيالية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

وناضل الحزب لتنظيم وجمع القوى الطبقيّة ذات المصلحة في تحقيق هذه المهام: الطبقة العاملة الفتية، الفلاحون، الحرفيون، الشقّيون، البرجوازية الصغيرة، البرجوازية الوطنية.

وساهم الحزب في النضال الوطني الديمقراطي بمختلف الأشكال والوسائل . وبالطبع فان عدداً من المهام قد تحقّق في مجرى التطور المتعرج خلال نصف القرن الذي مضى منذ ذلك الحين .

ومنذ ذلك الحين قطع التطور الرأسمالي أشواطاً غير قليلة، رغم انه ما يزال متدنياً بالمقياس العالمي .

وقد لعبت الدولة، دور الحامل الرئيسي لهذا التطور، بحكم الضعف البنيوي

للرأسمالية العراقية من جانب، وتوفر الثروة النفطية التي تؤمن للدولة ربيعاً رأسمالية ضخمة تتيح لها القيام بدور المالك المنتج أو الرأسمالي الجماعي .

ان العقود الثلاثة الاخيرة من مسار الثورة الوطنية الديمقراطية (أي منذ ثورة تموز ٥٨) شهدت، بفضل الصراع الطبقي والوطني الذي أسهمت الطبقة العاملة بقسط كبير فيه، تحقق عدد من المهام التاريخية للمرحلة رغم تعرج المسار العام للحركة، بتأثير الطابع الداخلي لاصطفاف القوى من جانب، والظروف العالمية للصراع بين البلدان المتحررة والامبريالية العالمية (الانتصار الديمقراطي على التحالف الفاشي - النازي - العسكري الياباني، نشوء «الديمقراطيات الشعبية» في اوروبا الشرقية، الحرب الباردة والمجابهة، الاستقطاب الثنائي العالمي، تحرر بلدان تابعة عديدة، وصول احزاب الطبقة العاملة للسلطة في عدد من بلدان حركة التحرر - الصين، فيتنام، كوريا، كوبا، الخ).

ان المهام الأساسية للمرحلة ١ - الديمقراطية السياسية، ٢ - الاصلاح الزراعي، ٣ - التصنيع، ٤ - فك الارتباط الكولونيالي، لم تتحقق بكامل امتلائها.

أولاً: فالديمقراطية كبنية سياسية، كنظام للعلاقات بين الطبقات، وبين الدولة والمجتمع المدني، ما تزال مغيبة، منذ تموز ٥٨، حتى اليوم، في ظل دكتاتورية عسكرية، فدكتاتورية الحزب الواحد (الاتحاد الاشتراكي) ثم الحزب القائد الواحد (الحالي) الذي يحتكر حق الحياة السياسية والفكرية الخ، في الدولة والمجتمع . ان هذه المهمة الأساسية من مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، ما تزال تحتفظ باهميتها الحاسمة، بل انها تمثل مركز الثقل في النضال (هذه المهمة مسجلة كمهمة رقم واحد في برنامج الرفيق فهد).

انها لمفارقة ان الحقبة شبه الكولونيالية اتسمت، بوجود بني برلمانية (وان تكن هزيلة ومحدودة)، وبوجود قدر من الاعراف القانونية والدستورية، بل ان برنامج الحزب لعام ١٩٤٣ يطالب بـ «الالتزام بالدستور» و«التقيّد به» .

أما الحقبة الراهنة من تطور الرأسمالية، فانها تشهد الغياب التام لهذه الحياة الديمقراطية حتى في حدودها الدنيا .

ان نشوء هذا الشكل السياسي الاستبدادي المميز (الواحد) على مدى ٣٠ عاماً يرجع إلى الطابع المميز لدور الدولة في التطور الرأسمالي، أي قيامها بدور المالك المنتج، والسطوة الهائلة التي اكتسبتها الدولة التي تهيمن عليها البرجوازية البيروقراطية من جراء هذا الدور المدعم بربوع نفطية عملاقة .

ان كسر التوازن يمكن ان يتحقق بفعل حركة شعبية واسعة، والأساس الموضوعي لذلك هو حركة تمركز السكان في المدن، وتفجر التناقضات الملازمة لنمط الانتاج

الرأسمالي الخاص هذا بطابعه الطفيلي والتابع والاستبدادي.

ثانياً: رغم ان الاصلاحات الزراعية كنست علاقات المحاصصة شبه الاقطاعية (جوهر مهمات المرحلة) إلا ان بقايا هذه العلاقات ما تزال ماثلة، من جانب، وان تطور الرأسمالية في الريف يولد تمايزات وتناقضات جديدة (نهج اراضي الفلاحين، الاستغلال الشيع لفقراء الفلاحين والعمال الزراعيين، تدهور الانتاج الزراعي، الاستغلال الاجنبي لقوة العمل الزراعية. . . الخ) وي طرح مستويين من المهمات:

أ- تطوير القوى المنتجة في الريف على أساس برجوازي (ملكية صغيرة وملكية رأسمالية) (الممكنة، المجمعات).

ب- حماية العمال الزراعيين من النتائج الاجتماعية - الاقتصادية للاستغلال الرأسمالي.

ج- تدعيم نزعات التعاون الطوعي الانتاجي لفقراء وصغار الفلاحين كسبيل وحيد للجزم الميول التدميرية لنمط الانتاج الرأسمالي عليهم (بما يعنيه ذلك من الحماية من نهج الأراضي، ومن الفقر والهجرة للمدن).

د- تشجيع الاستثمارات الكبيرة (الحكومية، الخاصة، المختلطة، وفي حدود معينة الاستثمارات الاجنبية).

ثالثاً: التصنيع (أو تطوير القوى المنتجة) المهمات ما تزال وستظل راهنة ويستجد فيها تفرعات جديدة:

أ- الرأسمالية عندنا ما تزال بمستوى ضعيف اقتصادياً وتكنولوجياً اذا قيست بالمستوى العالمي.

ب- تطورها القطاعي مختل وتحتاج إلى تكامل قطاعي يبين انتاج وسائل الانتاج وانتاج وسائل استهلاك وخدمات وصناعة عسكرية.

ان القطاع الاول ما يزال ضعيفاً، والقطاع الثاني ضعيف نسبياً، والقطاع الثالث نما على حساب الآخرين.

ج- القطاع الخامس (غير المنظور) و(اتحدث عنه مجازاً) هو النشاطات غير المنتجة وغير الضرورية للانتاج (المضاربات، والمقاولات الوسيطة) التي تدخل بمثابة طفيلي لا يولد فائضاً ولا يساعد على توليد فائض بل يسهم في نقل جزء من الفائض من جناح إلى جناح آخر من الرأسمالية).

د- ينبغي دهم كل النشاطات المنتجة أو غير المنتجة ولكن الضرورية للانتاج بوجه النشاطات الطفيلية. وهذا يفتح ملف تحالفات اجتماعية (ولربما سياسية) جديدة وعلى مدى فترة تاريخية مديدة يجب النص عليها بوضوح.

هـ - توجيه النشاطات الرأسمالية وجهة منتجة باستخدام آليات اقتصادية، الضرائب الحوافز، المشاركة، التمويل، الخ، وتطمين الرأسمال بالتعويض في حالة التأميم. و- أشكال الرأسمالية:

- ١ - الدولة (قطاع الدولة) رأسمالية الدولة.
- ٢ - الرأسمال الخاص الكبير.
- ٣ - الرأسمال الخاص المتوسط والصغير.
- ٤ - الرأسمال المختلط (دولتي - خاص).

ان حركة نمط الانتاج الرأسمالي تفترض، بفعل قانون القيمة، وآليات التركيز والتمركز، انهيار الرأسمال الصغير والمتوسط لصالح الكبير، ولعبت السياسات الاقتصادية للنظام الحالي دورها تدعيم هذا الميل وليس لجمه. وعلينا طرح بديل انساني ممكن في حدود الرأسمالية ذاتها.

ان نمو الانتاجية، وارتفاع التركيب العضوي، ميل ضروري لاستمرار الرأسمال كقيمة تنمي نفسها بنفسها. وهذا الميل تقدمي صاعد (تطوير القوى المنتجة) ولكنه متناقض ومدمر للمتبعين الصغار والمتوسطين، الذين يمكن تطوير انتاجهم يدعم الدولة بدل تركهم للهلاك لو فعلت قوانين السوق فعلها الحر. كما يجب البحث عن التناسب المعقول بين رأسمالية الدولة والرأسمال الخاص، الكبير والمتوسط، هذا التناسب الذي يمكن ان يتحدد في كل فترة حسب الظروف.

الخلاصة:

- ١ - تطوير القوى المنتجة، ٢ - خلق تناسب قطاعي، ٣ - دعم النشاطات المنتجة ومناهضة النشاطات الطفيلية بالآليات الاقتصادية، ٤ - تناسب معين بين أشكال الرأسمالية (الدولتي والخاص)، ٥ - لجم ميول تدمير صغار ومتوسطي المتبعين بالحدود الممكنة لنمط الانتاج الرأسمالي، ٦ - قيام الدولة بدور المنتج + المحفز + الضامن للتطوير الرأسمالي وقيامها بدور اللاجم لميوله المعادية للمجتمع والبيئة.

رابعاً: فلك التبعية

اذا كانت التبعية الكولونيالية مباشرة (شركات نفط) واذا كانت المهمات المعطروحة منذ الاربعينات (برنامج الرفيق فهد) قد تحققت بالخروج من منطق (الاسترليني) والخروج

من حلف بغداد، وطرده القواعد العسكرية وإلغاء المعاهدات الأجنبية، ثم تأمين النفط، الخ فإن تبعية جديدة، ذات طابع بنيوي تبلور وتعمق منذ عقود.

وتتسد علاقات التبعية اخطبوطها ليشمل قطاع الدولة (العقود الحكومية) والقطاع الخاص والمختلط (العلاقات المباشرة)، ويشمل سائر قطاعات الانتاج: الصناعة، الانتاج العسكري، الزراعة، النقل، المقاولات، الخ.

- التعامل مع السوق العالمي كسوق وأسمالي منقسم إلى كتل. أساس التعامل أ - تطوير الانتاج، ب - تبادل متكافئ، ج - صيانة الاستقلالية الوطنية. . الخ.

خامساً : الوحدة العربية

- ١ - السوق العربية المشتركة - حرية حركة رؤوس المال، والسلع، والعمل، أي رفع الحواجز الجمركية.
- ٢ - الديمقراطية السياسية.

الاشتراكية :

المفروض التخلي عن الصياغة السابقة واحلال الصياغة التالية لمفهوم الثورة الاشتراكية.

(ان الاشتراكية تشكل نغماً للرأسمالية ينضج بفعل تطور القوى المنتجة تطوراً هائلاً يخلق وفرة هائلة في الثروة الاجتماعية ويضفي عليها الطابع الاجتماعي، ويستدعي (ثورة اجتماعية، عنيفة أو سلمية) نقل الهيمنة عليها وإدارتها إلى يد المنتجين المشاركين الأحرار. وتلعب الطبقة العاملة والمنتجون الفكريون وسائر الفئات الاجتماعية (المتغيرة) التي تجد مصلحة لها في بسط الرقابة الاجتماعية على الانتاج والتداول المادي، تلعب هذه القوى جميعاً دور الحامل المادي الاجتماعي لهذه العملية).

ان بلدنا بعيد عن هذه التخوم التاريخية. وان العالم نفسه ينضج تدريجياً وان العملية عالمية وليست جزئية. ان طريقنا في العالم العربي إلى الأفق الاشتراكي، يمر محلياً بتطوير القوى المنتجة الذي يجري حتى الآن وسيجري لافق طويل، على أساس رأسمالي. ويمر هذا الطريق شمولياً (أي عالمياً) بنضج وتبلور الاشتراكية عالمياً في الكتلة المقررة للتاريخ العالمي من الدول المتطورة.

ان هذا الاستنتاج مبني على أساس فرضية ماركس العلمية في صورتها النقية.

وتجربة الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية تبين ان ثورات سياسية عمالية نجحت في الامساك بزمام السلطة في بلدان ضعيفة التطور، واضطرت بالتالي إلى العمل حثيثاً على تطوير قواها المنتجة تعويضاً عما لم تنجزه الرأسمالية . فتلک ضرورة موضوعية لا يمكن تجاوزها . لقد طوّرت هذه البلدان في مجرى ذلك التخطيط والمركزة، وطورت الصناعة، وطبقت العديد من القيم الانسانية كوجهة اجتماعية للانتاج (حق العمل، انعدام البطالة، التعليم المجاني، الضمان الاجتماعي، الخ) وحققت ذلك رغم ظروف الحصار الاقتصادي السياسي الامبريالي ورغم ضعف مستوى تطور هذه البلدان واضطرابها إلى تخصيص جزء كبير من الانتاج لشؤون الدفاع، الأمر الذي لم يسمح لها بتلبية واشباع الحاجات المادية لسائر أفراد المجتمع .

ان قيام الدولة بدور أساسي في عملية المركزة بوصفها المالك والمنتج (والذي أدى عملياً إلى القضاء على الملكية الخاصة الرأسمالية، بخلاف دور الدولة في بلداننا، ومنها العراق، حيث أدى ذلك إلى إنماء الرأسمال الخاص) أفضى إلى نشوء بنية سياسية وحدية الحزب بعيداً عن الصورة الماركسية أو اللينينية للدولة العمالية . كما جرى بشكل مفتعل الغاء العلاقات السلعية - النقدية قبل نضج المقدمات الموضوعية للنفي) وجرى الالغاء القسري لاشكال خاصة من الانتاج الفردي (الصغير) والرأسمالي دون ان يستنفذ هذا الشكل دوره الخ، وجرى فرض النموذج على سائر البلدان دون اعتبار لاختلاف ظروفها . ان أزمة نموذج التطور افقدته شعبيته، وجاءت محاولات التجديد في ظروف فقد فيها النموذج سند شعبي حقيقي، بل دون سند عمالي في بعض الاحيان .

ان فقدان التفويض الشعبي يرجع إلى فشل النموذج القديم في خلق فترة اقتصادية وتوفير حريات ديمقراطية، ليس فقط في المجتمع بل وداخل الاحزاب الحاكمة .



نحو المؤتمر الخامس لحزبنا - آراء ومناقشات

نظرة في اسلوب التحالفات السياسية

د. عبد الرؤوف حسين علوان

تمهيد :

يندر ان يغفل الخطاب السياسي لأي حزب سياسي أو حركة تقدمية وديمقراطية الأهمية الكبيرة لقضية التحالفات، باعتبارها: «أحد الشروط الأساسية لنجاح النضال المعادي للامبريالية والرجعية المحلية، ومن أجل الاستقلال الوطني والتطور اللاحق في طريق التقدم الاجتماعي»^(١). والملاحظ ان الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية تعبر عن ادراكها للحاجة إلى هذا التلاحم، اذ تطالب باقامة الجبهة العريضة...^(٢).

والحزب الشيوعي العراقي، متمسك بمبدأ التحالف مع الاحزاب الوطنية وكرس جهداً كبيراً لتحقيق أشكال متنوعة من التحالفات في مسيرته الكفاحية^(٣)، وامتلك تجربة ثرة تسمح، بالنظر إليها نظرة تقييمية، سواء كل تحالف على انفراد (في فترة محددة) أو ككل، وذلك في زمن يندفع فيه العالم كله لتدقيق منطلقاته القديمة تحت تأثير البريسترويكا.

ولكن هل يمكن التصدي لمثل هكذا مهمة، بأخذ مفهوم التحالفات بذاته ومعالجته، على نحو يجعل من هذا الاسلوب السياسي ذا فائدة حقيقية وفعالية لعموم القوى المتحالفة باتجاه تحقيق اهدافها الملموسة، دون المرور على الخلفيات الفكرية والايديولوجية والسياسية للتعامل في إطاره؟

يبدو، ان من الغافل الاجابة بالسلب على ذلك. فهنا يترتب على البحث فحص كتلة

غير قليلة من الاعتبارات والمنطلقات والمفاهيم الايديولوجية والسياسية، وبالتالي استخلاص المفيد منها من أجل وضعه في العملية السياسية لاحتراز نجاحات ملموسة ذات أهمية لمجموع القوى المتحالفة.

ولكن البحث الذي نحن بصدده لا يدعي انه قادر على انجاز كل ذلك. فهو يهدف إلى معالجة ماله صلة بالتحالفات، تاركاً تلك الموضوعات العقدية الفكرية والايديولوجية ذات الصلة بالمنهج على أمل معالجتها كموضوعات مستقلة.

١ - الايديولوجيا ونمطية التفكير القديم:

ان التحديد الانطولوجي الذي صاغه ف. انجلس في مؤلفه: «لودويغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» عن علاقة المادة/ الروح، واسبقية المادة على الروح كان الأساس النظري الذي طبع الماركسية - اللينينية طيلة الفترة الماضية. فالعلاقة بين الموضوع والذات، ومحاولات ايجاد علاقات متبادلة دياكتيكية بينهما، سرت ثنائياتها إلى كل المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية، الأمر الذي يعني ان المنطلق النظري اتخذ منحى ايديولوجياً، بغض النظر عن الدوافع التي حدث بانجلس إلى التأكيد على ذلك التحديد الانطولوجي.

وقد تكرر ذلك بفكرة ادخال الديالكتيك في المجال التاريخي. اذ اصبحت القوانين الديالكتيكية هي القوانين في المجتمع والسياسة ايضاً. بمعنى، ان القوانين الديالكتيكية المعروفة سلفاً اصبحت منطلقات أولية، مسبقة، لبحث أية ظاهرة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية. ولهذا اجتزئ الكل في أقطاب لا يمكن التوفيق بينها: فالمجتمع قطبان، والسياسة الدولية عالمان، والثقافة ثقافتان (المقصود هنا، الاستخدام السياسي لمفهوم الثقافة، والذي يجزئه إلى: ثقافة تقدمية وأخرى رجعية) وهكذا كانت الحصلة من كل ذلك وضع أسس مكينة للدوغمائية، التي تركت تأثيراتها الفعالة على فهم العمليات الاجتماعية والسياسية والثقافية، . . .

بيد ان الظاهرة، وفي أي مجال، لا يمكن فهمها على أساس من قوانين وقواعد معروفة سلفاً. اذ لو صح ذلك لما كانت ثمة قيمة لأية دراسة توصف بانها علمية.

ان الظاهرة تبرز تحت تأثير قوانينها الخاصة، وعلى العلم اكتشاف تلك القوانين. أما القوانين الديالكتيكية فانها ممكنة التحقق في الاتجاه العام. ومن هنا، فان من غير الضروري استخدام قوانين الديالكتيك العامة كمدخل لدراسة الظواهر التي تبرز في المجالات المختلفة.

وتأسيساً على ذلك، فإن بحث الظواهر الاجتماعية والسياسية، . . . لابد وان يمتلك مدخله الخاص، دون التقيد بأية قنونات مصاغة سلفاً تملئها التصورات عن كيفية تقدم المجتمع، أو السياسات المتوجب اتباعها لتحقيق مثل هذا التقدم. ونعتقد ان منطقاً كهذا سيكون مفيداً في بحث التحالفات السياسية.

٢ - التحديدات الكلاسيكية لمفهوم السياسة :

ثمة ثلاثة تحديدات يطرحها لينين في كتاباته عن مفهوم السياسة.

الأول - «السياسة فن الممكنات».

ان التمعن في هذا التحديد لمفهوم السياسة، يبين ان «الممكن» ليس له «فن». فـ «الممكن»، أو «الممكنات»، باعتبارها وقائع ملموسة، قابلة للاستخدام أو التوظيف، والخ . . . ولهذا فإن الفن ليس له «الممكن»، بل لاستخدامه. وعليه، فإن السياسة ليست فن الممكنات، بل هي فن استخدام الممكنات.

وان استخدام الممكنات ومحاولة توظيفها، سياسياً، باتجاه معين، لاهداف وغايات سياسية معينة، لا يعني غير المناورة. وبالتالي فإن السياسة ليست إلا فن المناورة.

والثاني، - «السياسة تعبير مكثف عن الاقتصاد».

هذا التحديد، على ما يبدو، تملئ المنطلقات الايدولوجية. فدلالاته ترمي إلى تأكيد العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، والذي هو أحد الموضوعات الهامة في المادية التاريخية، على الرغم من ان الاقتصاد لا يعني البنية التحتية. وحقيقة، فإن لينين كان يؤكد في كتاباته على ان السياسة السوفيتية تملئها اعتبارات «نمط الانتاج الاشتراكي» في حينه. فدكتاتورية البروليتاريا، مثلاً، أو التأكيد على الثنائية القطبية للعالم في مجال العلاقات الدولية، هي من متطلبات الدفاع عن «نمط الانتاج الاشتراكي» في الاتحاد السوفيتي آنذاك.

ولكن دراسة مسألة العلاقة بين السياسة والاقتصاد ليست من مهمة هذا البحث، كما وان دراسة قضية التحالفات بعيدة، على وجه العموم، عن هذه العلاقة بين السياسة والاقتصاد.

والثالث، - يشير لينين في بعض كتاباته إلى ان السياسة هي العلاقة بين الطبقات الاجتماعية، وبينها مجتمعة مع الدولة.

ان هذا التحديد يأخذ منحى سوسيولوجياً لتأكيد موضوعه (يقال في بعض الكتابات المدرسية «نظرية») الطبقات والصراع الطبقي، وهي موضوع حيوية أخرى في مجال

المادية التاريخية، وذات أهمية ايدولوجية.

ولكن مسألة التحالفات تفرض لا العلاقات الطبقية مع الدولة، وانما العلاقات السياسية، بمعنى آخر، ان التحالف يفترض احزاباً سياسية، وحركات، ومنظمات، الخ... موجودة واقعيًا، وفحص علاقاتها مع بعضها ومع الدولة. وهو الأمر الذي يعيدنا إلى امتلاك فن المناورة باعتباره سياسة.

أما عما هو ضروري للمناورة السياسية كفن، فيمكن وضع الاعتبارات والمنطلقات التالية:

١ - المرونة السياسية:

ان التفكير السياسي الذي يحاول موضعةً منظوره الايدولوجي في الحياة السياسية مباشرة، دون الأخذ بالاعتبار الوقائع الملموسة، سواء الاجتماعية أو السياسية، لابد وان ينقاد نحو واقع التزمّت السياسي، الذي يجد تجلياته، في أغلب الأحيان، في مظهر التطرف. وغني عن البيان، ان التطرف يقود نحو العنف.

وان تفكيراً سياسياً من هذا النوع يمكن تلمسه في الخطاب السياسي لاحزاب، وحركات، والخ... . تبني ما يسمى بـ «السياسة المبدئية»، أو «الموقف المبدئي»، وهو الأمر الذي يعني منطلقاتها الايدولوجية. ولكن السياسة التي تضع في هادفتها تأكيد «مبادئ»، دون الاكتراث بالنتائج المحرزة، انما هي سياسة عقيمة. رغم طابع التنديد الذي يوجه إلى تلك السياسات التي تربط مسعاها وخططها بالنتائج، بوصفها سياسة براغماتية، و«غير مبدئية».

ولكن السياسة الحكيمة هي تلك التي تتمسك بالمبادئ التي توصلها إلى نتائج عملية ملموسة مثمرة. وعدا ذلك ليس التمسك بها سوى دوغمائية تظهر آثارها المضرة عاجلاً أم آجلاً.

ولهذا، فان المناورة السياسية تتطلب اعتماد المرونة والديناميكية في طرح الحلول المناسبة التي تقود لا إلى التبعاد، والافتراق، بل إلى التقارب والتماس، حيث يمكن تجنب التهميش السياسي. وضعف القدرة على لعب دور فاعل في الحياة السياسية.

٢ - العقلانية السياسية في التعامل مع الوقائع الملموسة:

ان التطرف السياسي ينقاد، تحت تأثير وزر أزماته، إلى التبريرية. والموضوعة

البارزة في النهج التبريري هي: «الظروف الموضوعية». فهذا التعبير كان، في أغلب الأحيان، حاصلاً لمسؤولية الانتكاسات التي تجلبها السياسات غير المرنة. ذلك لأن الحزب السياسي يحاول أن يظهر ذاته كقوة سياسية مواجهة لقوة أخرى قاهرة، لا حول له أزاءها. وحيث يصبح مهمشاً في زاوية، فانه يطرح فكرة: «ماذا نفعل؟»!

غير أن هذا الوضع، في مجال التحالفات، هو نتاج الابتعاد عن العقلانية في التعامل مع الوقائع الملموسة، التي تتطلب التعامل معها، كما هي، وعلى حالها، دون تأويلها لتدخل في قالب فكري سلفي معين، لتضحى شيئاً لا - معقولاً.

يضاف إلى ذلك أن المعقولة السياسية هي اللا - عاطفية. فالكوابح العاطفية متنوعة منها الروابط الاجتماعية (الانتماء العشيري، أو القبلي، ...)، ومنها الحالة الذاتية (المحابة، التحامل، ...). وهذه يُفترض أن لا تشكل عامل ضغط روحي، أو نفسي، للاساءة إلى الوقائع الملموسة مثلما هي، وبالتالي اعاققة المناورة السياسية.

بطبيعة الحال، لا يمكن، هنا، عدم أخذ العالم الروحي للسياسي بنظر الاعتبار. فالحمس السليم، والسليقة هي بمثابة عناصر غير قليلة الشأن لتقرير العقلانية، وبنحو الخصوص، عند اتخاذ القرار، أو تحديد الاتجاه الصحيح^(١).

والمعقولة السياسية هي، أيضاً، اللا - أرادوية. إن الإرادة ضرورية، بيد أن ضابطها الأهم، وأساسها يفترض أن تكون الواقعة الملموسة، كامكانية، مثلما هي موجودة في الواقع، وليس تأويلاتها الممكنة الحدوث إرادوياً.

٣ - التنوع والتعارض في التحالف:

إن تحقيق شكل ما للتحالف السياسي لا يعني الغاء للتمايز^(٢)، والتنوع والتعارض في التحالف المعين، بل على العكس يفترضه. والفارق بين الفكرتين هام جداً. فالاعتقاد الداهب إلى أنه بمجرد تحقيق التحالف سيكون من الممكن تشكيل وحدة تامة في الرأي، وأساليب العمل، إنما يقود نحو الركود السياسي. فيما يفترض الاعتقاد بوجود التعارض، والتمايز في التحالف تلك الميول الباحثة عن امكانيات متاحة لخلق حالة من التوازن داخل التحالف، باتجاه هدف ملموس، بغض النظر عن حجمه، يخدم الاتجاه العام. أي أنه يعطي ديناميكية وحيوية لتحرك التحالف.

٤ - العامل الأخلاقي:

إن المناورة السياسية داخل التحالف لا بد وأن تكون محسوبة دائماً لخدمة ولصالح

الهدف العام، المتوحدة عليه القوى السياسية (احزاب، حركات، منظمات، ...)،
باعتداد الوقائع الملموسة. اذ ان التعامل مع الاهداف العامة، وهي كبيرة في الغالب، قد
يقود إلى مضار سياسية للتحالف نفسه.

بهذا المعنى، فان المناورة السياسية لا تدخل في اعتباراتها الروح الانتهازية،
و«الغدر»، و«عدم الثبات»، و«ضعف المصداقية»، و«المراوغة»، وما إلى ذلك من
الأمور التي تشيع عدم الثقة، وبالتالي تهدد التحالف بالانهيار، أو الركود في أقل الاحوال.



ان السياسة كفن للمناورة تقتضي التمييز بين نوعين من التكتيك. والاول يعني
الموقف العام للحزب، اقراره لمبدأ التحالفات مثلاً. وبالتالي فانه بوصفه موقفاً سياسياً
للحزب ازاء الدخول في التحالفات، يُشكل الأساس للتحركات السياسية التي تتجسد في
إطار التحالف ذاته - فيه ومعه.

وان تجربة حزبنا تعطي نماذج لنوعي المناورة الموصوفين أعلاه.
أولاً، - يمكن اعتبار «جبهة الاتحاد الوطني» التي أعلن عنها في ٩ آذار ١٩٥٧،
التحالف الأول من نوعه الذي يحقق من خلاله الحزب تكتيكاً سياسياً فعالاً. فمن
المعلوم، ان بعضاً من الاطراف التي ارتبط معها الحزب في تحالف، رفضت، لاسباب
خاصة بها، ضم الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى الجبهة.

وازاء وضع كهذا، فان الحزب لم يُملِ شروطاً على هذه الاحزاب، بل مال إلى
المرونة السياسية، بأن انظم مع «الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى جبهة ثنائية»...
«لتنسيق نشاطه مع اطراف جبهة الاتحاد الوطني»^(١).

ثانياً، - ولكن، في ظروف أخرى، كيف تعامل الحزب مع الحزب الديمقراطي
الكردستاني، وبنحو الخصوص، في سنوات السبعينات؟

يذهب التقييم لتجربة حزبنا في سنوات تحالفه مع الحزب الحاكم في العراق إلى
ان الحزب كان: «منذ البداية يقدر الأهمية الكبيرة لانضمام (حذك) إلى الجبهة بما يمثله
من ثقل سياسي وعسكري في ذلك الوقت، ومن هذا المنطلق بذل جهوداً كبيرة لاقتناع
(حذك) بالانضمام إلى الجبهة، بأمل زيادة وزن القوى الديمقراطية داخلياً لصالح النضال
من أجل الحقوق والحريات الديمقراطية، وانهاء فترة الانتقال واقامة الاوضاع الدستورية،
وتحقيق الحكم الذاتي، وتشريع قانون له واقامة مؤسساته التشريعية والتنفيذية على أسس
ديمقراطية».

غير ان حذك وقف موقفاً سلبياً، عكسته توجهاته الداخلية، في العديد من الخطوات
التقدمية التي أقدم عليها الحكم، كعقد معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد

السوفيتي . . . ووقف موقفاً سلبياً من المساهمة في الحوار بشأن الجبهة، جراء رفضه اشراك حزبنا فيها، وأصر على حصره بين «الحزبين الرئيسيين» - حرك والحزب الحاكم - «ممثلي القوميتين الرئيسيتين»، وان كان قد أبدى بعض الاعتراضات الصحيحة على بعض جوانب الميثاق، واتخذ مواقف مناهضة لحزبنا، وقام بملاحقة رفاقنا في مناطق نفوذه، وقتل العديد منهم»^(٣).

ويضيف التقييم إلى ذلك: «... أما الحزب الديمقراطي الكردستاني، فقد رفض ان يأخذ مع حزبنا منبراً مشتركاً في المحادثات، مما أضعف موقف الحزبين أزاء الحزب الحاكم جراء رفض (حرك) صيغة القانون وعلان استئناف القتال في آذار ١٩٧٤، رغم نصائح حزبنا بعدم الاقدام على هذه الخطوة وتحذيرنا له من نتائجها»^(٤).

ان الحزب، في التقييم، يعطي تصوراً واضحاً عن حقيقة الوضع آنذاك بالعلاقة مع الحزب الديمقراطي الكردستاني. وبمعنى آخر، فان الحزب اتخذ موقفاً سياسياً ضد عودة القتال، في كردستان، باعتباره محاولة للضغط على (حرك) بهدف دفعه نحو التحالف لزيادة وزن القوى الديمقراطية، وليس العمل على انهيار الحركة القومية الكردية التي سببته بصورة أساسية اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بين العراق وإيران.

وفي حينه، وحتى بعد انتقال الحزب إلى صف المعارضة للنظام، لم يكن تقييم التحرك عملية سهلة، وخصوصاً في الواقع الكردستاني، الذي كان يتعرض بشدة للممارسات الشوفينية للنظام الدكتاتوري.

ولكن المراجعات التقييمية للأحزاب السياسية فيما بعد وضعت القضية في حدودها الواقعية. فإذا كان تقييم حزبنا هو المعروف هنا، فان (حرك) مارس النقد الذاتي لسياساته في تلك الفترة في مؤتمره التاسع الاستثنائي عام ١٩٧٩.

وقد بينت التجربة ان مثل هذه المراجعات التقييمية لسياسات سابقة ذات أهمية في تفتين علاقات التقارب والتحالفات، والتي ابتدأت تظهر في الثمانينات، ومن مواقع المعارضة، وحتى الآن.

٣ - الديمقراطية كإطار هام لفاعلية التحالفات :

ثمة ثلاث متلازم ذو صلة مباشرة بالمجال السياسي وهو: الحق (= قانون في مجال الدولة) - القوة (المؤسسة العسكرية للدولة) - الحرية (= الديمقراطية السياسية).

وان الحديث عن فهم معين للديمقراطية غير ممكن بدون ترابطاته تلك. ذلك لأن الديمقراطية ليست مفهوماً قائماً بذاته ولذاته، بمعنى آخر، لا وجود لديمقراطية خالصة.

فحدود الديمقراطية (الحرية) مصاغة في قوانين (الحق) وتحرسها القوة. ويمكن تلمس ذلك في تجارب مختلف البلدان.

ففي البلدان الرأسمالية، التي تتمسك بمفهوم الديمقراطية الليبرالية، لا يمكن الحديث عن حرية منفلة غير مؤطرة بقوانين ومحروسة بالقوة.

كما ان مفهوم الطابع الطبقي للديمقراطية، في البلدان التي كانت تسمى اشتراكية، لا يمكن اعتباره منطلقاً يمكن بتحقيقه تخلص الديمقراطية من ترابطاتها تلك مع الحق والقوة. فهذا الفهم اذ مال إلى الأخذ بالمفهوم الكمي عن الديمقراطية، أي انه ذهب إلى كون الديمقراطية هي ديمقراطية الأكثرية (= عمال وفلاحين ومثقفين... وهم أغلبية الشعب). فانه، في الواقع العملي، وكما كشفته التطورات للاحداث لاحقاً، لم يكن إلا تعبيراً عن الكليانية، حيث تجليات القوة، أي القمع، احتل الحيز الأكبر في الحياة السياسية، وتحولت القوانين إلى أوامر بيروقراطية، حسبما يظهر جلياً في الخطاب السياسي للبريسترويكا.

يضاف إلى ذلك، ان الديمقراطية تكون عملية سياسية بمقدار ارتباطها بالسيروية الاجتماعية التاريخية. ويوصفها كذلك، أي عملية سياسية، فان لها زمنها الخاص بها. لذا فان من غير الممكن النظر إلى تحقق الديمقراطية وكأنه وليد اللحظة.

ويعود السبب في ذلك إلى ان: «الديمقراطية، كما هي في الحقيقة، وكما ينبغي ان تكون في الواقع، وفي مفهومنا المعاصر لها، هي نمط حياة، وسلوك شخصي، وعلاقات اجتماعية، وعلاقات اقتصادية وسياسية وثقافية وروحية بين السلطات والشعوب، وفيما بين الجماعات البشرية، وفيما بين الشعوب والأمم، وفيما بين الدول»^(١).

بهذا المعنى، الذي يطرحه الحزب الشيوعي اللبناني، فان الديمقراطية هي تكوين اجتماعي - بنيوي يتطور خلال سيروية اجتماعية تاريخية معينة، تلعب فيها دورا عوامل عديدة من بينها المستوى الاقتصادي الاجتماعي الموجود فعلياً، وبصورة ملموسة في بلد معين. ومن وجهة النظر الاجتماعية، فان الديمقراطية كتكوين اجتماعي - بنيوي تفترض وجوداً واقعياً للمجتمع المدني المتطور.

وعليه، فانه، طالما كانت مستويات التطور الاقتصادي - الاجتماعي، ومستوى تبلور المجتمعات المدنية متفاوتاً بين مختلف البلدان، فان الديمقراطية المتحققة في كل بلد هي كمستوى، أو في طور، مختلف عما في بلد أو بلدان أخرى. وبالتالي فان الضرورة تقتضي بالتعامل مع الديمقراطية المتحققة بصورة ملموسة، وليس التعامل مع تصوراتنا عنها، والتي غالباً ما تكون صافية، ونقية، وخالصة. إذ ان تصوراً كهذا عن الديمقراطية يدفع نحو طرح أهداف غير واقعية، وبالتالي يعيق عملية تشكل الديمقراطية

بوصفها تكويناً اجتماعياً - بنيوياً في السيرة الاجتماعية التاريخية .
وفي هذا السياق، يمكن التوقف عند التجربة القريبة للحزب الشيوعي اللبناني .
ففي وثيقته، المطروحة للنقاش جرى التأكيد على : «ان حرية المشاركة في السلطة تأتي قبل حرية المعارضة»^(١١).

بطبيعة الحال، ان للديمقراطية المتحققة بصورة ملموسة، مؤشرات وثوابت .
فالانفتاح الديمقراطي يتجلى عبر التجسيد الحقوقي (في قوانين دولية) لحرية المعارضة،
ولحرية المشاركة في السلطة، وحتى تداول السلطة .

ولكن ترتيب أولويات بين حرية المعارضة، وحرية المشاركة في السلطة، رغم ان
الجانب الأول يفترض الثاني، لا يمثل ملمحاً معتداً به للديمقراطية المتحققة فعلاً .
والواقعة القريبة على ذلك هي عدم دخول الحزب الشقيق في مؤسسات دولية هامة، أي
انه لم يشارك عملياً في السلطة، ولكن ذلك لا يعني عدم وجود مستوى معين من
الديمقراطية في لبنان .

٤ - دروس واستنتاجات :

ان الأمور المبحوثة اعلاه تشكل مدخلاً للنظر في تجربة حزبنا بهدف استخلاص
بعض الدروس والاستنتاجات التي نعتقد انها ذات أهمية وفائدة في مجال التحالفات .
أولاً، - درس من جبهة الاتحاد الوطني

كانت جبهة الاتحاد الوطني المعلن عنها في ٩ / آذار / ١٩٥٧ قد شكلت «القاعدة
السياسية لثورة تموز ١٩٥٨» ، واستطاعت ان تلف أوسع الجماهير حولها وتتحوّل إلى حركة
جماهيرية فاعلة ضد الحكم الملكي»^(١٢).

ولكن بعد انتصار الثورة : «لم تواصل الجبهة جهودها من أجل تعزيز المكاسب
الثورية التي رأى العديد من أطراف الجبهة ان مهمتها قد انتهت . وبذل الحزب الشيوعي
العراقي محاولات عديدة من أجل ان تكون الجبهة أداة فاعلة في الحياة السياسية
والاجتماعية والاقتصادية في البلاد إلا ان هذه الجهود قوبلت بعدم الاهتمام من جانب
القوى الأخرى»^(١٣).

وتوضح دراسات تاريخية أخرى لهذه التجربة كيف ان القوى الأخرى رأت ان
«الجبهة انتهت مهمتها» ، اذ يشار إلى الشعارات السياسية التي رفعتها القوى القومية والتي
لم يحن أوانها، وكذلك يشار إلى توجهات البرجوازية الوطنية العراقية لاحتواء حكم عبد
الكريم قاسم .

وعلى ما يبدو، فإن مثل هذه الأمور، وفقاً للمنظور الذي يمليه واقع العالم الراهن، ليست كافية لتقييم قضية ذات أهمية كبيرة في تاريخ البلاد السياسي، دون التقليل من أهميتها.

وحقيقة الأمر، ان التمعن في هذه التجربة لا يظهر ميولاً للحلول الوسط، أو إيجاد توازنات معينة، بل ان التجربة أوضحت العكس. فهنا تبرز ميول الاستقطاب الحزبي بصورة واضحة. وهو الأمر الذي قاد إلى العنف الشديد، جراء تصارع القوى السياسية، كما هو معروف.

صحيح ان الحديث يجري عن حدث هام في الحياة السياسية للعراق في عصر مغاير لذلك الذي جرى فيه الحدث. ولكن استلهم درس هام لقضايا التحالفات في الوقت الحالي لا يخلو من أهمية. ويكمن هذا الدرس في تمثل المنطلقات والاعتبارات السياسية المتحالفة، ونعني المرونة السياسية، والحلول الوسط، وإيجاد توازن مستقر داخل التحالف مبني على أساس «توازن المصالح»، والخ...

ثانياً، - التحالف مع حزب حاكم

ان تقييم تجربة الحزب للأعوام ١٩٦٨ - ١٩٧٩، انما يهدف إلى القيام بمراجعة نقدية، تقييمية لتحالفة مع الحزب الحاكم. ويشير التقييم بهذا الصدد إلى ما يلي:

١ - «ان تجربة التحالف مع حزب حاكم كانت الأولى من نوعها في ممارسات حزبنا النضالية»^(١٣).

٢ - ان هذه التجربة بينت: «ضرورة اتباع الحزب سياسة تنظيمية تأخذ بنظر الاعتبار تذبذب البرجوازية الصغيرة وحزبها، واحتمالات ارتداد سلطة الحزب الحاكم ومعاداته للديمقراطية وفكره الشوفيني وخوفه من الحركة الجماهيرية ومن نشاط الطبقة العاملة المستقل. وذلك يعني اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة الكادر ومنظمات الحزب، والجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري ورفع البقعة الثورية الدائمة»^(١٤).

في هذين النصين يتداخل عدد من الاشكاليات التي تنطوي على طبيعة فكرية، وايدولوجية، وسياسية. وهذه هي:

أ - التحالف مع حزب حاكم.

ب - مسألة «الحزب القائد» - مشروطياته ومخاوفه.

ج - التوقع المسبق للارتداد.

د - الاعلان عن كيفية معينة للتعامل مع وضع متذبذب في السياسة التنظيمية. بطبيعة الحال هذه اشكاليات غير قليلة الأهمية، ولكن، يبدو، ان المدخل لمعالجتها لا بد

وان ينطلق من مسألة الديمقراطية . وحيث ان المنظور العام للموقف من الديمقراطية أصبح واضحاً، كما يفترض، فان الأمر المطلوب هو كيفية التعامل مع هكذا ديمقراطية متحققة بالفعل . والمسألة هذه بالدات تدفع نحو التناول النظري أكثر من معالجة المسائل السياسية الملموسة، التي يمكن لها ان تدعم الاستنتاجات النظرية ذات الأهمية .

ان النقطة الجوهرية تكمن في وجود ميول ضاغطة على الحزب الحاكم تدفع به نحو البحث عن تحالفات ممكنة . وهذه الميول تملئها الحاجة إلى الوحدة الاجتماعية والسياسية الضرورية، ضرورة قصوى، لتسيير آلية الدولة على نحو مطمئن ومستقر، لكي تؤدي، أي الدولة، وظائفها الاجتماعية .

وهنا تظهر مسألتان :

الأولى، ان هذه الحاجة تملئها الدولة على الحزب الحاكم وليست ارادته .
والثانية، انها نقطة ضعف الحكم الممكنة الاستخدام من قبل القوى الداخلة في التحالف .

والمسألتان مأخوذتان في آن واحد تشكلا موطناً للتنازع المحتوم، أي تتخلق، هنا ميول متصارعة بين اتجاهين : الدكتاتوري والديمقراطي . فالقوى السياسية المتحالفة مع حزب حاكم اذ تحاول ان تحصل على وضع ديمقراطي أفضل (كحرية معارضة، أو حرية مشاركة في السلطة، أو تداول السلطة، ...)، فان الحزب الحاكم، ومن موقع السلطة، يُظهر ميولاً لكبح هذه العملية، مستخدماً مشروعيته أولاً، والقمع ثانياً . وهذه تعبيرات عن مخاوف الحزب الحاكم .

وتجربة حزبنا مع الحزب الحاكم بينت ذلك على نحو جلي في مرحلتين :

١ - سياسة الحزب الحاكم «المعادية للشيوعية والديمقراطية، التي تجسدت في جملة من الاجراءات، استهدفت منذ البداية محاصرة الحركة الجماهيرية والحيلولة دون نمو تأثيرها على سير البلاد اللاحق، وقد تمثلت هذه السياسة في الموقف من النشاطات الجماهيرية والعمالية . اذ جرى اطلاق النار على عمال الزيوت النباتية المضربين في ١٩٦٨/١١/٥ وقتل عاملين، والهجوم على التجمع الجماهيري الذي نظمته حزبنا في ساحة السباع في بغداد في ١٩٦٨/١١/٧ في الذكري (٥١) لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، وقتل رفاقنا، ومواصلة ملاحقة القوى والشخصيات الوطنية واضطهادها بشكل وحشي وتصفية بعضهم جسدياً والتعريض بالعقيدة الشيوعية في اجهزة الاعلام الرسمية، ومواصلة الحرب الشوفينية ضد شعبنا الكردي»^(١) .

٢ - وفي تناوله لتقييم الفترة من عام (١٩٧١ - حتى ١٩٧٥) أشار إلى ان : قيام الجبهة كان «باتفاق فوقي لم يسند أو يعزز بقاعدة متينة من التلاحم النضالي

المشترك، . . . وقد أثر هذا على عمل الحزب المستقل في تحريك الجماهير للمطالبة بحقوقها والضغط على السلطة، . . . في الوقت الذي كانت تمنع، تحت طائلة العقوبات القاسية، نشاط المنظمات الجماهيرية غير الحكومية وترفض حتى الاعمال الجماهيرية المشتركة وتطویر نضال الجماهير الذي كان يهدف اليه حزبنا، الأمر الذي اضعف قدرة الحزب على التأثير في الاحداث عن طريق تحريك الجماهير بقيادته وتعبئتها حول شعارات وتغير ميزان القوى لصالح الطبقة العاملة»^(١١) (التشديد لنا - ر. ح).

ان مآل الأمور هذا، حيث ضعفت «قدرة الحزب على التأثير في الاحداث»، كان قد أملاه التناوب المشار اليه اعلاه، فهاجس الحفاظ على تسيير آلية الدولة بصورة مستقرة، يدفع الحزب الحاكم نحو ابراز مظاهر دكتاتورية أكبر، ونحو الخصوص، تضخيم الاجهزة غير المرئية (الأمنية)، وفي العراق سحر النظام الحاكم المنظمات الجماهيرية أيضاً لهذا الغرض). وكان من شأن ذلك ان يضيق من مساحة العمل السري. وهذا ما دعا «التقييم» إلى الاستنتاج الآتي:

« . . . بينت التجربة ضرورة اتباع الحزب سياسة تنظيمية تأخذ بنظر الاعتبار تذبذب البرجوازية الصغيرة وحزبها واحتمالات ارتداد حزب السلطة ومعاداته الديمقراطية وفكره الشوفيني وخوفه من الحركة الجماهيرية ومن نشاط الطبقة العاملة المستقل. وذلك يعني اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة الكادر ومنظمات الحزب، والجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري، ورفع اليقظة الثورية»^(١٢).

وهكذا، فان الدرس الذي يمكن استخلاصه من دراسة هذه التجربة، والذي يبدو ذا أهمية فائقة للمستقبل ليس «الجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري»، وانما هو الاصرار على العلانية في وضع ديمقراطي متحقق بالفعل. ذلك لأن التجربة بينت، أيضاً، انه لا بد من التعامل مع الوضع القائم كما هو في عيانيته، وواقعيته. فاندفاع النظام الدكتاتوري الارهابي نحو الكليانية، افضى، مثلما هو معلوم إلى تبني الحزب لاسلوب الكفاح المسلح، وتحددت سياسة تنظيمية تعتمد مبدأ السرية في التنظيم الحزبي.

وهكذا، فان الوضع التاريخي الملموس يتطلب سياسة عقلانية ملموسة. ثمّة وجه آخر للقضية. فالدولة اذ تُملي متطلباتها على حزب حاكم، فانه هو الآخر، يمتلك القدرة على املاء توجهاته على الدولة. وهذه موضوعة أخرى هامة في قضية الدولة. ان مفهوم «الحزب القائد» يعادل مفهوم «السلطة». وسلطة الدولة ليست الدولة وليست آليتها، انما فاعليتها. والسلطة، بوصفها فاعلية دولة، تتأثر بصورة مباشرة بالايديولوجيا (طبعاً، ايديولوجيا الحزب الحاكم).

ويقدر ما يظهر الحزب الحاكم ميولاً لموضعة ايديولوجيته في الحياة الاجتماعية والسياسية، دون التعامل مع وقائع هذه الحياة العيانية، أي بتطرف، بنفس القدر تظهر الدولة في آلياتها تجاوباً متطرفاً ضد المجتمع، والاحزاب السياسية، والمواطن. والعكس صحيح تماماً. ولهذا فان آلية الدولة وتوجهاتها هي بمثابة مرآة عاكسة لمدى عقلانية المنطلقات والاعتبارات الايديولوجية المنعكسة في المجال السياسي.

ومع ان تجربة بلدان ما تسمى بـ «الاشتراكية» سابقاً تعطينا برهاناً مقنعاً على ذلك. فان تجربة التحالف لحزبنا مع حزب حاكم تؤكد ذلك أيضاً.

لهذا السبب، وعلى ما تأتي به الذاكرة، فان تقرير ل. م لحزبنا الشيوعي العراقي عام ١٩٧٧ كان قد أكد على اشتداد الصراع على الجبهة الايديولوجية، (حسبما اذكر لأن التقرير ليس متوفراً لدي الآن). فقد ابتدأت تظهر ملامح ما سمي فيما بعد «بالتأطير الاجتماعي»، الذي لم يكن يعني غير «قومته» المجتمع، والمواطن، والفكر، وبصورة متطرفة، ومتقللاً نفلة نوعية نحو الكليانية، المغيبة لأية ديمقراطية.

وبطبيعة الحال، فان كل ذلك، كان قد شحذ التنابذ المشار اليه، إلى أقصاه، مفضياً إلى الوحدانية الحزبية: أو ما يسمى بـ «الحزب الواحد».

ان وضعباً، هكذا، على الجبهة الايديولوجية، المتجسدة في سياسات عملية، يتعذر معه ايجاد توافق بمستوى معين للقوى المتحالفة. ولهذا كان الافتراق أمراً واقعاً. وقد تعامل الحزب معه على هذا النحو.

وعليه، فان الدرس الآخر، من تجربة حزبنا مع حزب حاكم، يكمن في ضرورة التخلي عن التزمّت الايديولوجي للتعامل مع واقع سياسي ملموس.

ونعتقد ان مثل هذا الدرس مفيد ليس لحزبنا وحسب، وانما لمختلف قوى المعارضة التي تناضل في الوقت الراهن لاسقاط النظام الدكتاتوري الارهابي في العراق، واقامة البديل الديمقراطي، وبنحو الخصوص، إلى تلك القوى الدينية الاسلامية التي تبدي ميولاً للتعامل بالمنطلقات الايديولوجية مع الواقع السياسي.

ثمة قضية ثالثة، ذات صلة بالمناورة السياسية في إطار التحالف. ونعتقد ان هذه القضية ممكن النظر بها بعد تحليل موضوعة الدولة بصورة شاملة: تكوينها، تركيبها، آلياتها، وظيفتها وفعاليتها. وهو موضوع آخر لا يتسع له هذا البحث. ولكنه مهم لسببين اثنين:

١ - وضع خاتمة للعمل بنظرية «لمن الغلبة؟» السوفيتية المصممة لبلدان العالم الثالث، والتي تشيع روح الانتظار (انتظار الفرز الطبقي داخل البرجوازية الصغيرة في موقع السلطة، إلى جناحين: يميني وديمقراطي ثوري كما تزعم)، ومحاولة اللعب الخضر مع

عناصر السلطة (تحت ذريعة دعم الاجنحة التقدمية، أو «اليسارية» في البرجوازية الصغيرة في موقع السلطة، كما تدعي)، وما إلى ذلك . . .

٢ - بهدف اكتشاف الممكّنات المعقولة والمناحة للمناورة في إطار الديمقراطية المتحققة بالفعل.

ثالثاً، - الايديولوجيا واعاقة المناورة في الخطاب السياسي

ان الايديولوجيا السياسية التي تنعكس بوضوح في خطاب حزبنا السياسي، بكل تنوعه، لا يمكن ان تمر بدون ان تحدث تأثيراً معيناً على أطراف التحالف، سلباً أو ايجاباً. ويبدو، ان السلب هو الغالب لأن الخطاب السياسي يعبر ايديو- سياسياً عن روح الاستقطاب في ثنائي اجتماعي وسياسي.

ولنتظر الآن في بعض النصوص من هذا الخطاب:

أ - يؤكد المؤتمر الوطني الثالث لحزبنا على: «ان الطبقة العاملة في بلادنا مؤهلة للاضطلاع بالدور الطليعي والقيادي في النضال الثوري الشعبي» . . . (١٨)

ب - يشير «التقييم» إلى: « . . . ان جوهر استقلالية الحزب الشيوعي في الجبهة هو ممارسته لدوره القيادي في طليعة الطبقة العاملة وسائر الكادحين في النضال» (١٩).

ج - وجاء في «التقييم»: «وتؤكد تجربة حزبنا ان قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي للسلطة السياسية هي شرط ضروري لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال بها إلى الثورة الاشتراكية، وان ليس بمقدور الاحزاب البرجوازية الصغيرة انجاز ذلك حتى لو انتهجت لفترة معينة سياسة تقدمية معادية للامبريالية» (٢٠).

معلوم ان «الطبقة»، بوصفها هكذا، لا يمكن ان تلعب دوراً سياسياً بطبيعة ثابتة ومستديمة (نستثني هنا الاعتبارات التي يملها الوضع الثوري). ولكن الطبقة الاجتماعية تجد حضورها في الحياة السياسية عبر امتداداتها في الحزب السياسي الذي يعبر، برنامجياً، عن مصالحها واهدافها. والحزب الشيوعي هو هذا الامتداد للطبقة العاملة في الحياة السياسية، فهو المعبر عن مصالحها، وطموحاتها، وآمالها والخ . . . والخطاب السياسي لحزبنا الشيوعي يعلن ذلك، والقوى السياسية تفهمه، ايضاً، على هذا النحو. يضاف إلى ذلك، ان مشروع الحزب الشيوعي للتطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي معروف ايضاً من قبل القوى ذاتها، سيما وان هذا المشروع يتمثل تجربة «البلدان الاشتراكية».

وحيث ان الاحزاب السياسية، التي يتحالف معها الحزب، أو تلك التي يتعايش معها على الساحة، لها مصالح متنوعة: اقتصادية، اجتماعية، وسياسية فانها تفهم الخطاب السياسي لحزبنا على انه محاولة للتفرد السلطوي (وما يستتبع ذلك من تعبيرات

من قبيل: اختطاف السلطة، أو التآمر، رغم اعلان الحزب ايدولوجياً وسياسياً عن عدم نبيه لمثل هكذا ميول ويدينها، والخ...)، بهدف اقامة نظام حكم يؤثر بصورة حادة على مصالح الاحزاب السياسية الأخرى.

وهكذا، فان المنطلق الايدولوجي السياسي يصع أساساً لميول الافتراق بدلاً من اشاعة الطمأنينة، وشحن ميول التقارب.

بيد ان واقع الأمور، والتجربة التاريخية، تؤكدان انه لا الطبقة العاملة، ولا ممثلوها السياسيون، الاحزاب الشيوعية، يمتلكون القدرة الفعلية لقيادة الوضع بهدف انجاز مرحلة توصف بكونها «مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية».

«ويناضل حزبنا من أجل ان يقوم التحالف على صعيد قيادات الاحزاب وبين قواعدها، وعلى صعيد الجماهير اللاحزبية الواسعة لكي يصبح وسيلة فعالة لتعبئة قوى الشعب واطلاق طاقاته النضالية من أجل انجاز الاهداف الوطنية المشتركة ولبناء قواعد السلطة الديمقراطية، كما ويناضل لاستثمار الامكانيات الموضوعية لتطوير هذا التحالف ليس فقط لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية، وانما في مرحلة الاشتراكية ايضاً، حسب قوانينها العامة، واحتساباً لظروف وخصائص بلادنا»^(١).

ان هذا النص من البرنامج يُجمل الامرين. فمن جهة يستدعي التحالفات السياسية والطبقية، ومن جهة أخرى، يطلب «الزعامة» من خلال التأكيد على «القوانين العامة لبناء الاشتراكية» والأمران يعينان ان الخطاب السياسي واقع في تناقض.

وبالطبع، فان الايدولوجية السياسية التي تقود نحو المآرق تضعف امكانيات المناورة في التحالف، هذا اذا لم نقل انها تنهيه، بسبب من كونها تشحن الصراع غير المحمود العواقب على الجبهة الايدولوجية.

ولنرى، بالملاموس، كيف تعاملت الاحزاب السياسية مع الخطاب السياسي للحزب الشيوعي.

معلوم ان القوى الخارجية التي يستند اليها الحزب الشيوعي لعرض امكانياته لبناء الاشتراكية وفقاً لنمطه الخاص هما وجود «المعسكر الاشتراكي»، والثقل السياسي العالمي للقوى الثورية، بغض النظر عما آلت اليه الاوضاع الآن، وما كشفت عنه.

ولكن تجربة التحالفات للحزب مع «الحزب الحاكم» بينت ان مصادر القوة هذه يمكن سحبها بيسر، بالاستناد إلى العلاقات الدولية، الممكنة التوظيف من قبله بفعالية كبيرة، وبالتالي الاحلال «بتوازن القوى» لصالحه. فتسلمه للسلطة «وبدء المعركة ضد الاحتكارات النفطية، وتعاون حكمه مع البلدان الاشتراكية، وقيامه باصلاحات هامة في الاقتصاد، اكسبه ثقلاً في توازن القوى» كان يقتصر اليه^(٢).

أما الأحزاب السياسية الأخرى، ومن مواقع خارج السلطة، فقد تعاملت مع الخطاب السياسي بردود أفعال متباينة، تبعاً للمرحلة والظروف التاريخية التي قام فيها التحالف. ولكن السمة العامة لردود الأفعال هذه هي اظهار الميل لعزل الحزب الشيوعي، وتهميشه سياسياً بهدف ابعاده عن السلطة.

ان التحليل اعلاه يتجه، مثلما هو واضح، نحو إحداث تغيير جذري في المنطلق الايديو- سياسي في خطاب الحزب السياسي التحالفي، لابعاد تلك الآثار السلبية على القوى المتحالفة معها. فمن الوجهة النظرية، لا بد وان ينطلق من التناقض المشار اليه، أي بين ضرورة تحقيق تحالف طبقي وسياسي لانجاز مهمات مرحلية، وبين «قوانين بناء الاشتراكية».

وحيث ان الخبرة التاريخية للحركة الشيوعية والعمالية لم تفض إلى نتائج ايجابية، كما تبينه التطورات الحالية، فان فكرة الاشتراكية، والبحث عن كيفية جديدة لبنائها، باستلهم التجربة التاريخية، تصبح مهمة ملحة أمام الجميع. وهذا هو الشرط الهام لاحداث التغيير الجذري، والجدري، في الايديولوجيا السياسية القديمة.

ولكن، رغم ذلك، فان من الممكن اشاعة الميول لتحقيق ديمقراطية ممكنة، وبمستوى معين، في الخطاب السياسي التحالفي لحزبنا.

ونعتقد ان المنطلقات الجديدة الواردة في: «مشروع الموضوعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتنظيمية التي أعدها المكتب السياسي»، وأقرها اجتماع اللجنة المركزية الكامل في آذار/ ١٩٩٠، ذات أهمية كبيرة بهذا الصدد:

«ولم تعد الديمقراطية مفهوماً علماً مجرداً، قابلاً للتجزئة أو التفسير الكيفي، بل اصبحت بنية سياسية ملموسة تجد تعبيراتها في دولة القانون الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، والحياة البرلمانية، والانتخابات الحرة المباشرة، وحرية التنظيم والصحافة والأحزاب، وكل ما يلغي اغتراب الانسان عن السلطة في المجتمع المتوجه اشتراكياً، وكل ما يلغي حرية الانسان في المجتمع الرأسمالي»^(١).

رابعاً، - الثقة بدلاً من «القوة»

ان الخطاب السياسي التحالفي للحزب الشيوعي، وخصوصاً مع حزب حاكم، يميل، في أغلب الأحيان، إلى الرد على هاجس الرية الذي يتتاب حزب السلطة من خلفائه، حسبما جرت الإشارة اليه آنفاً.

ولهذا، فانه، أي الخطاب السياسي، يحاول إيجاد صياغات تبدو وكأنها مطمئنة، مقنعة، ولكنها تستثير الهواجس أكثر. ومن بين تلك الصياغات أو الموضوعات هي موضوع «القوة»، والتي يمكن ملاحظتها ايضاً في الخطاب السياسي لحزبنا. اذ ان تقرير الاجتماع

الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في آذار ١٩٧٨ يذهب إلى القول: «ان الجبهة، التي تضم احزاباً تقدمية، هي ليست حاصل جمع بسيط لقوى الاحزاب المتمتعة اليها، بل انها الجهاز... السياسي والتنظيمي لكل قوى شعبنا التقدمية وهي وسيلة أساسية لنزع جماهير احزابها في عمل وطني مشترك...» وان تنامي قوة الجبهة وتعاضل نفوذها...، قوة لكل طرف فيها، وان تعزز مكانة كل حزب مشارك فيها، هو قوة اضافية إلى الجبهة»^(١).

ان تعبيرات «القوة»، هي تعبيرات رياضية، وميكانيكية، أما مغزاها السياسي فاصبح واضحاً. ولكن القضية كلها تكمن في كيفية تحويل منطلق «القوة» هذا، إلى فعل سياسي. اذ كيف يمكن ان تصبح «قوة» الحزب بمثابة «قوة» للمجموع؟ وكيف يمكن تجسيد كل ذلك؟ وكيف يمكن توفير قناعة للاحزاب الأخرى في التحالف بأن تضخيم القوى الحزبية، لحزب معين، هي «قوة» للجميع، دون تسعير أوار المنافسة، وتلافي التماسات، التي قد تقود إلى صراعات حزبية شديدة، وعنيفة؟ والخ...

بطبيعة الحال، ان اشكاليات من هذا النوع يتعلم تجسيدها في الواقع العملي بغير القدرة على تحريك التحالف، الأمر الوحيد القادر على ابراز «قوته»، وهذا التحريك غير ممكن، أيضاً، إلا في التحالف ومع قواه.

وبهذا المعنى، فانه من غير الممكن طرح مفهوم «القوة» بوصفه حصيلة متوقعة لقيام التحالف وحسب. ذلك لأن «قوة» التحالف تكون مضمرة دائماً، ولا يمكن ان تبرز إلا في حركة التحالف ذاته. فالتحالف لا يمكن، مثلاً، ان يبرز قوته في سكونه، وركوده. انه يظهر فقط في مسار ديناميكيته الحركية.

وعليه، فان القضية، اذ تعاد إلى مسألة تحرك التحالف، فلا بد من ابراز العنصر الأكثر فاعلية، وضرورة لمثل هذا التحريك، والذي هو الثقة.

ولهذا السبب بالذات، فان العمل على اشاعة روح الثقة في التحالف وتوطيدها ينطوي على أهمية كبيرة. ويمكن القول ان هذه المسألة تجب على ذلك اللغز الذي يتردد في الخطاب السياسي لمختلف القوى السياسية، ونعني به الاشارات المتكررة في خطابها عن كون التحالفات «فوقية»، و«غير جماهيرية»، واقتصرارها «على القيادات»، وما إلى ذلك.

وحقيقة، فان شيوع الهواجس المتنوعة في اوساط قيادات الاحزاب السياسية المتحالفة، والفرق بافكار التنافس الحزبي وتضخيم القوى الحزبية باعتباره مظهراً للقوة، والمنطلقات الايديولوجية - سياسية ذات الابعاد السلبية، والخ... من شأنها ان تغيب الثقة، وبالتالي اعاقا عملية تطور الديمقراطية كتكوين بنيوي اجتماعي - سياسي، أي، بعبارة

أخرى، هو الذي يغلط الأحزاب السياسية في دوائر متماسة عند القيادات، ومتابعة، ومنعزلة عن بعضها البعض قاعدياً، وهذا، باختصار، يجعل التحالفات، أبعد من أن تكون ذات طابع جماهيري.

الثقة، إذن، أساس التحالف بطبيعة جماهيرية، وبالتالي فهي أساس المناورة السياسية.

ولكي تتجسد الثقة في الواقع العملي يتوجب الامساك بروحها. ونعني: الاستماع إلى رأي الآخر، والبحث عن مختلف الامكانيات المتاحة للتجاوب معه، عبر إيجاد الحلول الوسط، وخلق حالة مستقرة للتحالف على أساس «توازن المصالح»، حسبما يريد في الخطاب السياسي للبريسترويكا.

ولكن، ثمة عناصر أخرى لتوطيد الثقة، كإبراز أهمية تمثيل العامل الأخلاقي في السياسة، وأهم مضامينه هو اقران الأقوال بالأفعال، مثل الالتزام بالاتفاقات، والوفاء بالتعهدات، والخ...، واستبعاد أية هواجس أو توقعات وهمية مسبقة تملئها روح المنافسة الحزبية الضيقة، وغيرها... .

وتدخل في هذا الباب عناصر ذات أهمية من شأنها توطيد الثقة بين الأحزاب المتحالفة من قبيل: الدعم والمساعدة المتبادلة، والدفاع عن الحليف، وتبادل المعلومات، والتشاور في الأمور الهامة، وما إلى ذلك. خامساً، «كفاح وتضامن»، أم «تعاون ثقة»؟

إن شعار «كفاح وتضامن» هو من الشعارات الشائعة في خطاب حزبنا السياسي التحالفي. وهو اشتقاق، كما يبدو، من الموضوعية النظرية الديالكتيكية: «وحدة وصراع». أما مغزاه السياسي فيوضحه التقييم: «... تحدد وتبلور بصورة أكثر نهج حزبنا القائم على: (الكفاح والتضامن)، أي الضغط من أجل تعميق الاتجاهات الايجابية، والنضال ضد الاتجاهات السلبية في جميع الميادين»⁽¹⁾.

والكفاح يملئ الاستقلال الايديولوجي والسياسي والتنظيمي للحزب، باعتباره يمتلك مشروعاً برنامجياً يغطي مرحلة كاملة هي: «مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية».

على هذا النحو، يتبدى الطابع الاستقطابي الحزبي بصورة واضحة وفي إطار التحالف ذاته. وهو الأمر الذي لا يساعد، بأية حال، على لحمة التحالف، أو وحدته.

فالسويدة، هنا، ونقصد المجال التحالفي، لا يمكن النظر إليها وكأنها وحدة بين «شيئين»، على غرار التجريد النظري، وإنما يتوجب النظر إليها بوصفها وحدة حية بين قوى سياسية ناشطة في الحياة السياسية، في المرحلة التاريخية المعينة. ولكل منها مصالح، وأهداف، آمال، وطموحات، والخ... متباينة. وإن التوفيق بين هذا الكل المتوحد

والمتمايز غير ممكن على أساس ما يمليه الافتراض النظري التجريدي، حتى وإن كان بطبيعة دياكتيكية. ونعني بذلك، أن مستلزمات الديمومة لوحدة كهذه هي ليست عناصر الشد، والتوتر أو، يمكن القول، التطرف، في التحالف، والتي يفترضها: الصراع، أو الكفاح، بل المرونة السياسية، وإبداء الميول للتعاون المتبادل المبني على أساس الثقة، وهو المعبر عن مضمون شعار: تعاون ثقة! ونعتقد أن شعاراً كهذا يجعل حزبنا منسجماً في كونه طلياً للتحالف، وديمقراطي النزعة.

١٥/ تموز/ ١٩٩١

الهوامش

- (١) د سامي خالد: «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق»، «الثقافة الحديدة»، العدد ١٨٧، تموز ١٩٨٧.
- (٢) «نحو لقاء وطني واسع»، «الثقافة الحديدة»، العدد ١٩٦، نيسان ١٩٨٨.
- (٣) «تقييم تجربة حربا النضالية للسنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٩»، المقرر من قبل المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي العراقي ١٠ - ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٥.
- (٤) «السياسة والعلم: أخصوع أم مساواة؟». حوار بين البروفيسور فودولازوف (الاتحاد السوفييتي) مع خوليو اينفيا السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسباني «الثقافة الحديدة»، العدد ٢١٥، تشرين الثاني، ١٩٨٩، ص ٤١.
- (٥) راجع: «التفكير السياسي الحديد: التحالفات - القيم - الديمقراطية» (ندوة)، العدد ٧، ١٩٩٠، ص ١٥.
- (٦) د. سامي خالد «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق»، مصدر مشار اليه، ص ٣٨.
- (٧) «تقييم تجربة حربا النضالية للسنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ٣٢ - ٣٣.
- (٨) نفس المصدر، ص ٣٧.
- (٩) راجع: «الوثيقة البرنامجية الفكرية - السياسية - التنظيمية تحضيراً للمؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي اللباني»، مشروع للقاء في الحزب، كانون الثاني ١٩٩١، ص ١١.
- (١٠) نفس المصدر، ص ١٢.
- (١١) د. سامي خالد: «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق»، مصدر مشار اليه، ص ٣٩.
- (١٢) نفس المصدر، ص ٤٠.
- (١٣) «تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ٣٨.
- (١٤) نفس المصدر، ص ٧١.
- (١٥) نفس المصدر، ص ١١.
- (١٦) نفس المصدر، ص ٣٨ - ٣٩.

- (١٧) نفس المصدر، ص ٧٥ .
- (١٨) نفس المصدر، ص ١٩ .
- (١٩) نفس المصدر، ص ٤٠ .
- (٢٠) نفس المصدر، ص ٤٠ .
- (٢١) «برنامج الحزب الشيوعي العراقي»، المُقر من قبل المؤتمر الوطني الرابع» .
- (٢٢) «مشروع الموضوعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتطبيقية»، أقرها اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. آذار/ ١٩٩٠، ص ٢٦. وتعتمد في هذا البحث نفس الصيغة التي أوردناها آنفاً من وثيقة الحزب الشيوعي اللبناني.
- (٢٣) «تقرير الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٠/ آذار/ ١٩٧٨»، ص ١٨ .
- * الوسيلة، تعني، قاموسياً، ما يُتقرب به إلى الغير، وتعني، ايضاً، الدرجة. ولكن التحالف السياسي لا يهدف في مضمونه، إلى التقرب من الغير (الاطراف الأخرى) فقط، بل التقرب إلى الهدف العام المشترك مع الغير. اذ ان التقرب من الغير، ومن ثم الانقياد نحو الركود السياسي، يجعل من التحالف هدفاً بذاته. أما التحالف الساعي إلى التقرب من الهدف العام المشترك فلا يكتفي بالتقرب من الغير، بل لابد ان يتحرك باتجاه هدفه. وهذا التحريك غير ممكن بدون المناورة، سواء كانت سياسية أو تكتيكية.
- عليه، فان المنظور الأداتي ليس هو المطلوب للتحالف بل النظر اليه بوصفه اسلوباً سياسياً، يتعامل الحزب، أي حزب، فيه ومعه، من موقع المناورة لتحريكه، وليس من موقع المناشدات العاطفية المألوفة.
- (٢٤) «تقييم تجربة حزينا النضالية للسنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ١٠ .



تقرير من كردستان

نصف عام بعد الانتفاضة

عصام الخفاجي

مشهد واحد يتكرر حيثما انتقلت في كردستان. من زاويته في أقصى الغرب إلى بنجوين في أقصى الشرق سلاسل بشرية تنام وتعيش في العراء بالمعنى الحرفي للكلمة. بالنسبة لكثيرين يتلخص الحلم بالحصول على خيمة الأمم المتحدة المبطنة، التي لا مجال لمقاومة شتاء كردستان القادم بدونها. وما عدا هذا ليس غير تفاصيل ابعاد شبح الموت برداً أولاً، ومن ثم يمكن التحايل على الجوع والسعي لتأمين لقمة العيش. الوضع اللاانساني لأكثر من مليون من أبناء كردستان ليس نتاج اليوم، لكنه تفاقم بشكل مريع بعد انكسار انتفاضة آذار.

أكثر من مليون كردي يتربعون مجيء الشتاء بقلق، لا يعرفون شيئاً عن المفاوضات التي تجري في بغداد بين السلطة وبين قادة الجبهة الكردستانية ويعلقون آمالاً على المجهول.

من هم هؤلاء المشردون؟ كيف يعيشون؟ وكيف يفكرون؟
اتخذت قضية المهجرين ابعادها الراهنة منذ عام ١٩٨٨، أثناء المأساة التي لم تروَ كامل فصولها حتى اليوم، مأساة الانفال الأولى والثانية والثالثة.

في هذه المجزرة التي رافقت الانكسار العسكري لحركة الانصار توجه قادة الجحوش والافواج الخفيفة إلى السكان غير المسلحين طالبين منهم النزول والتجمع في السهول لكي تستطيع السلطة تأمين الغذاء والمسكن لهم وتوزيع الاراضي عليهم. صدقت

العوائل هذه الوعود، أو انها كانت مضطرة إلى الرضوخ بعد ان فقدت الظهير العسكري الذي يدعمها، أي البيشمركه. وهناك اقنيد ١٨٠ الف نسمة إلى أماكن لا يعرف أحد عنها شيئاً حتى اليوم. وتم تدمير ما يزيد عن أربعة آلاف قرية وقصبة مُنع سكانها من العودة إليها، واستبيحت الاراضي الزراعية والممتلكات التي لم تستطع الأسر اصطحابها معها، وتم، على عجل، بناء مجمعات قسرية أشبه بمعسكرات الاعتقال على مقربة من المدن. طوال أكثر من سنتين، حين كان كثيرون يستنكرون «الحملات لتشويه موقف القيادة العراقية من الشعب الكردي» بدا ان مؤامرة الصمت هذه ستكفل بالهاء الرأي العام وجعله ينسى هذه المأساة. بل ان هذه المؤامرة ساهمت في تشجيع السلطة على ارتكاب جرائم جديدة.

في عام ١٩٨٩ مُحي قضاء قلعة ذزه من الوجود بعد ان تم تهجير سكانه البالغ عددهم حوالي ٧٠ الف نسمة، لكن رد الفعل العالمي على ذلك كان أضعف بكثير من الاحتجاج على جريمة حلبجة.

ثم جاءت انتفاضة آذار والانكسار العسكري الذي تلاها، وانضاف مئات الوف جدد إلى مئات الألوف الذين سبقوهم. محافظات ومدن انتفضت برمتها، ثم جاءت قطعان الحرس الجمهوري لتنتقم منها ومن سكانها انتقام المحتلين.

بعد ستة أشهر الوضع أكثر من ملتبس. والشيء الوحيد الواضح هو ان أكثر من مليون ونصف من السكان لا يمتلكون مأوى، أو لا يستطيعون العودة إلى بيوتهم، أكرد و تركمان من كركوك وجمجمال يتحشدون في السليمانية واربيل وحواليهما، أكرد من سنجار والشيوخان وكلدانيون وأشوريون من المناطق المحيطة بالموصل ينتشرون في الوديان والطرق المحيطة بدهوك، أسرى المجمعات السكنية حملوا ما لديهم من متاع وعادوا إلى اراضيهم العارية من أي بناء أو غطاء يسكنون فيه.

الكل ينتظر، ثمة من ينتظر الأمم المتحدة، ومن ينتظر المجموعة الأوروبية، ومن ينتظر سقوط صدام، ومن ينتظر التوصل إلى اتفاق معه.

ثمة جهود جديدة تُبذل، لكنها لم تحقق شيئاً ملموساً لحل قضية لا تحتمل التأجيل. الاستاذ جلال الطالбاني، في حديثه «لطريق الشعب» (اواسط ايلول/١٩٩١) أعترف بأنه «كان بوسعنا بذل جهود أوسع وأعظم من أجل تلافي المأساة» وكشف عن قرار المجموعة الأوروبية تخصيص ١٢ مليون دولار كمساعدة أولية لبناء مجمعات للسكان المشردين، فضلاً عن خطط لبعض الحكومات الأوروبية بتولي اعمار اقسام من مناطق كردستان. لكنه أشار في الوقت نفسه إلى انه لا يعتبر هذا حلاً دائماً، إنه حل مؤقت لمواجهة الشتاء، أما الحل الدائم فيتمثل وفي إعادة اعمار الريف الكردي. واذا لم يعاد بناء الاقتصاد الكردي

لا يمكن وضع حد لمشكلة المشردين في كردستان.

هذا التدمير للاقتصاد الكردي يصفه الأخ بروسك نوري شاويس من قادة حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني وصفاً معبراً: «انحلال اجتماعي» يتمثل في اقتلاع الناس من بيئات عملهم وتحويلهم إلى مهّشين. يقول الأخ بروسك في لقاء أجريناه مع أعضاء الهيئة العامة للجبهة الكردستانية (وهي الجهاز التنفيذي الذي يلي مباشرة القيادة السياسية للجبهة) «يتمثل الانحلال الاجتماعي في غياب الفلاح الكردي عن أرضه، وفي حقيقة أن غالبية الفلاحين يعيشون في مجتمعات قسرية مزرية وتماثل شروط حياتهم شروط حياة المقيمين في معسكرات الاعتقال النازية». ويعطينا ارقاماً تفصيلية: عدد المهجرين الذي يعيشون في المناطق المحررة فقط يبلغ ١,٨ مليون بما فيهم المهجرون من كركوك. فإذا أضفنا اليهم المقيمين في معسكرات اللاجئين بتركيا وإيران فإن الرقم سيتضاعف على أقل تقدير. من أين جاؤوا؟ تذكروا هذا الرقم جيداً: ثمة ٤٣٧٥ مدينة وقرية كردية مدمرة.

كل من التقينا من القادة، يرى الوضع القائم شديد الخطر لأنه وضع شلل تدل كل المؤشرات على أن السلطة تريد بقاءه هكذا. الجبهة الكردستانية، لأسباب سياسية معقدة، لا تريد أن تطرح نفسها سلطة لإدارة المناطق المحررة، وهي ليست كذلك بالفعل. إذ حتى في المناطق التي ينعدم فيها الوجود الملموس للسلطة، أي وجود أجهزة القمع، مثل دهوك ثمة أجهزة تنسيق مع المحافظين ومديريات التربية والصحة... الخ. أما السلطة فتصرف عكس ذلك، مستثمرة هذا السلوك من جانب الجبهة لكي تغيب وجودها وتتبرأ من مسؤولياتها وتحاول الإيحاء بأن المآسي القائمة ناتجة عن «سيطرة المعارضة وعجزها عن تقديم بديل إيجابي». فضلاً عن هذا فإن السلطة تريد ابتزاز الجانب الكردي وتحويل هذه المأساة الإنسانية إلى ورقة للضغط بحجة أن تولي مسؤولياتها مرهون بالوصول إلى اتفاق مع الجبهة الكردستانية.

حين تسأل قادة الأحزاب وممثلها في الهيئة العامة عن كيفية تصورهم للعلاقة بين الأعمار والاتفاق مع السلطة لا تجد أوهاماً عن حسن نية السلطة أو عن جديتها في معالجة قضية المشردين. انتظار نتائج المفاوضات يعني، كما يقول ممثل الحزب الاشتراكي الكردستاني في الهيئة، أن نطمئن الناس على أن بيوتهم التي سيعمرونها لن تتعرض للتدمير مجدداً. ومن جهة أخرى فسواء تم التوصل إلى اتفاق أم لا، كما يقول الأخ قادر عزيز سكرتير حزب كادحي كردستان في لقاء معه، لا بد أن يجري الأعمار. ويضيف «نفضل أن يبقى الوضع شبيهاً بهدنة إذا لم نتوصل إلى اتفاق يتحقق حوله اجماع. لكن قرار شن العدوان علينا ليس بيدنا، إنه بيد الطرف المقابل». ومن هذا المنطق بالذات يؤيد الأخ بروسك أن تتولى المنظمات الدولية أو الحكومات إعادة بناء مدن وقرى كردستان، من

منطلق عدم الثقة بالسلطة . يقول «إذا تولت المنظمة أو الحكومة الفلانية إعادة بناء حلبجة وقلعة دزه مثلاً فسيتحول تدميرها مجدداً إلى قضية سياسية دولية» .

في وضع الترقب هذا تزدهر الشائعات في كردستان . مرة تسمع عن قرب وصول السيدة ميران إلى قلعة دزه للإشراف على اعمارها، ومرة يقال لك ان وزيراً بريطانيا سيصل الاسبوع القادم، وهكذا. والناس العاديون ينتظرون حداثاً أدنى من المساعدات وتطمئناً حول المدى القصير لا غير، لكي يعرفوا هل يهيئون انفسهم للزراعة أم للحرب؟

الخروج من الأسر

لقائنا مع قادة جك كان الحديث يدور عن ضرورة فك المجمعات وتشجيع الفلاحين على العودة إلى قراهم . هذه الضرورة لم تعد مجرد حديث سياسي يدور حول حق الشعب الكردي في العودة، بل باتت مع تفاقم الأزمة الاقتصادية تهدد بتفسخ اجتماعي كبير.

البطالة، الاعتماد على مساعدات من الغير، الارتفاع الجنوني في الاسعار وغيرها اخذت بنشر آثارها : انتشار الجريمة على مستوى العراق ككل بشكل جنوني وفي كردستان خصوصاً، ظاهرة تعاطي المخدرات في أربيل، البغاء في المجمعات القسرية . . الخ . كثير من العوائل لم تنتظر اجراءات من فوق، بل حملت مؤننها وعادت إلى قراها. قره داغ كانت مركزاً حضارياً وتاريخياً تتبع محافظة السليمانية وكانت تضم ٨٥ قرية. ومنطقة سهل كرميان، ضحية الانفال الرئيسة، كانت تضم أعضاء هذا العدد من القرى بدأ تدمير قره داغ قبل الانفال، في عام ١٩٨٧ وصارت، هي وكرميان، تقع ضمن ما يسمى المناطق المحظورة أمنياً، وأفرت من السكان كلياً.

بعد نصف عام على الانتفاضة، ومع وجود حواجز للجيش هناك، ثمة اليوم حوالي مائة عائلة شقت طريقها إلى اراضيها واستقرت هناك . بعض هذه العوائل استخرجت اوراقاً تمنحها الاذن بالعودة إلى قراها لمدة اسبوع واحد لجني المحاصيل . ولكن أين يسكنون؟ في «الكبرات»، سقوف من اغصان الشجر تستقر فوق أربعة جذوع بلا جذود، وعلو اغصان الاشجار القريبة تعلق الملابس والطنانج وأكياس الطعام .

عائلة كاكما جميل كانت تملك اربعين دونماً وجراواً وتزرع ارضها تبغاً . الآن لم يعد الوقت مناسباً لزراعة التبغ، ويتركز السعي على حصاد ما تم زرعته من حبوب وفواكه . تسألهم، هل بقون هنا إذا حل الشتاء؟ يقولون باصرار، نعم اذا جاءتنا خيم الأمم المتحدة . - وإن لم يحصل ذلك؟ - نذهب إلى السليمانية ومصيرنا بيد القدر. عائلة أخرى

[illegible]

(١) نموذج للاوراق التي تخول المواطنين الذهاب إلى بيوتهم ، ولكن لمدة اسبوع واحد فقط وذلك لجثي المحاصيل! استمارة تذكر باجراءات سلطات الاحتلال الصهيوني تجاه سكان الضفة وغزة.

تقول سنبقى رغم ان «العقيد» يأتينا يوماً ليهدنا بضرورة الخروج فوراً من المناطق المحظورة. نسأل، هل تخافون الجيش؟ - كلا فهم مثل اخوتنا، انظر اليهم، لقد تعبوا من الحرب مثلنا، لكن «العقيد» شيء آخر!

لكن هناك من لا يزرع ولا أرض له، ومع هذا أصر على ترك المجمعات والمجيء إلى أرضه. أحمد ذووجه يشبه وجوه الدراويش، له ثلاثة اخوة اختفوا أثناء الانتقال المشؤومة وهو الآن مسؤول عن اعادة ٢٥ طفلاً وامراً. أحمد يعيش على «الزكاة»، أو بصريح العبارة من التسول. ولكن من يعطي رغيماً اليوم وقد صار سعره ١٥٠ فلساً؟

ثمة تفاوت، مع هذا، بين منطقة وأخرى في كردستان. هناك أماكن السياحة التي تشبه جيواً استثنائية داخل بحر البؤس.

في منطقة هيران، التدمير مماثل لكل ما شاهدنا من قره داغ مروراً ببرزان وغيرها. الكتل الكونكريتية المتكومة على الأرض لا تزال كما هي منذ الانفال، هنا كان الجامع، هنا التكية، هنا المستوصف... الخ. هيران كانت تضم ٦٠٠ بيت وقرية منها قرية كاموساك التي كانت تضم ١٥٠ بيتاً. الآن تجد الكبريات منتشرة بكثافة أكبر، الناس تشعر

بأمان أكثر اذ لا وجود للسلطة هنا . والكازينوهات السياحية والمواد المهربة تشكل مصدر عيش قسم لا بأس به من السكان .
في هيران ، سألنا الشيخ ابراهيم وهو مسؤول مستوصف ميدان اقامه الاتحاد الوطني الكردستاني هناك - هل تشعرون بالاستقرار؟ أجاب بدون تردد ، مادام صدام في الحكم لن نشعر بالاستقرار .

* * *

ومع هذا ، تستمر الحياة ، بل ان هذا الشعب يجبر الحياة على الانصياع له برغم المصائب الاستثنائية .

الزراعة تشكل حلم الجميع حتى من اضطر إلى تركها ، ومن توافرت له فرص كسب غيرها . شاب وأمّه وزوجته وطفلته الرضيعة كانوا ضمن من التقينا في إحدى القرى «المحظورة أمنياً» . سألناه عما يزرع ، فأجاب انه لا يزرع شيئاً الآن لكنه يعول على امكانية زراعة أرض خلال الموسم الوشيك . - ولكن كيف تعيش الآن؟ أجاب انه يقترض مبلغاً زهيداً يذهب به إلى رانيه ، أحد أهم مراكز التهريب في كردستان ، ليشترى بعض السلع ويبيعها في السليمانية مقابل ربح يكفي لتأمين الكفاف . لكنه مصر على العودة إلى الزراعة .

المشكلة ان السلطة لم تكف بقلب الواقع السكاني وبالتشريد ، بل انها خلقت مشاكل معقدة تحول بين الفلاح وأرضه . باختصار ، السلطة تحكم على الشعب بالجوع فيما تنبأكي من الحصار المفروض من الخارج .
في شقلاوة حدثنا اعضاء من اللجنة الزراعية التابعة للجهة الكردستانية عن الحلول التي قدموها لمعالجة بعض هذه المشاكل .

بعد جريمة التهجير اعتبرت السلطة الأراضي الزراعية المسجلة قانونياً باسماء الفلاحين الاكراد ، خاضعة لاحكام قانون تأجير الاراضي الزراعية رقم ٣٥ لسنة ١٩٨٣ . هذا القانون يسري على الاراضي العائدة للدولة والفاضة عن حاجات التوزيع على الفلاحين ، أي كأن السلطة صادرت أراضي الفلاحين بدون اشعار . وقامت بتأجيرها لازلامها من أبناء المحافظات العربية أو لأمرء الجحوش ومستشاري الافواج الخفيفة من الاكراد .

الآن عاد كثير من الفلاحين إلى أراضيهم وطالبوا باستعادتها ، وهو أمر قانوني . وشكلت الجهة الكردستانية لجناً زراعية في كل من محافظات كردستان ، اتخذت قرارات أبعد ما تكون عن الانتقامية . اذ عومل ايجار الأرض بوصفه اجراء قانونياً ، حتى يتم اتخاذ

قرار مركزي بفسخ العقود وإعادة الأرض إلى مالكيها، وتم اتخاذ قرار بأن يوزع حاصل هذا الموسم وفق نظام المناصفة، نصف العائد للفلاح مالك الأرض والنصف الآخر للمستأجر «حتى إذا علمنا بأن المستأجر ينتمي إلى مرتزقة الحزب الحاكم، وهو واقع الحال في مناطق مثل مخمور في محافظة التأميم» كما يقول الرفيق روان.

لكن المشاكل أبعد ما تكون عن التسوية. صحيح ان الغالبية تشعر بعدالة الاجراءات المتخذة، لكن هذه الاجراءات لم تمس حقوق الملكية والتصرف بل تركّزت على توزيع الناتج الزراعي. ومع هذا فقد حاول الأغوات التأثير على قرارات اللجان ففشلوا. وهكذا تم تطبيق اجراءات موحدة في التوزيع في اربيل والسليمانية ودهوك. ضريبة الثروة التي تستوفى لتمويل نشاط اللجان الزراعية وغيرها من حاجات الادارة كانت تفرض على حصة الفلاح المستأجر في السليمانية مثلاً، أما الآن فقد باتت تفرض على حصة المستأجر فقط جرياً وراء التقليد المتبع في اربيل.

في مناطق عديدة من كردستان ثمة عشرات الوف الدونمات لم تحصد هذا الموسم، برغم الحاجة الماسة إلى المحاصيل الزراعية، لأن المستأجرين من اذلام السلطة هربوا من اراضيهم.

Abstract

الكتاب الثاني: الأسماء والصفات

— ۱۱۱ —

- [illegible]

1997

Abstract

— ۱۲۸ —

— ۱۱۳ —

- [illegible]

2000

3999 72.7 5%

(٢) كتاب من مديرية الاستخبارات العسكرية حول سليات مفارز الجحوش.

من جانب آخر هناك فلاحون اجبروا على ترك اراضيهم والتشرد في المدن منذ عام ١٩٨٨. هؤلاء تغيرت «مهنهم» قسراً حيث سُجلوا في دوائر الاحوال المدنية كعمال أو سواق سيارات. والان لا بد من إعادة تغيير مهنهم لكي لا تضيع حقوقهم في أراضيهم إلى الأبد.

وينطلق اعضاء اللجان الزراعية من تقدير يقوم على ضرورة عدم تأجيج الصراعات التي تريد السلطة تعميمها، بين الفلاحين من جهة وبين قسم كبير من المستأجرين لا يتحمل بالضرورة مسؤولية تهجيرهم. فهناك مئات من خريجي كليات الزراعة الذين استفادوا من قانون تأجير أراضي الاصلاح الزراعي «المتركة» للمترفين للزراعة. وهؤلاء استأجروا قطع اراض لا تتجاوز مساحتها مائة دونم. لكن الأراضي تعود للفلاحين المشردين. هنا لم تطبق اللجان الزراعية قرارات التوزيع بالمناصفة بل ألزمت المستأجر بدفع مبلغ مقطوع (٤٠٠ دينار) للفلاح.

المشكلة الكبرى لا تكمن هنا. فبجهود كبيرة نجحت اللجان الزراعية بهذا القدر أو ذاك، في حل قضية حصاد هذا العام. لكن السؤال الأساسي، على حد تعبير الرقيق روان: من يزرع كردستان؟

موسم بدء الزراعة بدأ في اوائل ايلول. وحتى لو اهتمنا عامل القلق من الوضع السياسي غير المستقر، فمستأجر العام الماضي لن يزرع الأرض هذا العام لأنه يعرف ان مالكها الحقيقي يطالب بها، والمالك الشرعي لا يجرؤ على زراعتها خوفاً من ان يتلعب المستأجر حقوقه. والمناصفة حل وقفي نجح لأن المستأجر كان بوسعه الادعاء انه تكفل بالحرثة والبذار ورسوم ايجار الأرض قبل الانتفاضة، لكنه لن ينجح الآن، فضلاً عن ان نصف العائد لن يكفي معيشة الفلاح. ففي ظل الاوضاع الراهنة تحتاج العائلة الكردية المتوسطة إلى عائد زراعة ستين دونماً من الحبوب لكي تسد حاجاتها الأساسية.

وفوق هذا كله فان الصراع على الأرض لا يمكن تسكينه بتشغيل الفلاحين المعدمين كعمال اجراء، لأن زراعة الحبوب لم تعد تتطلب أكثر من سائق جرار وما لا يتجاوز الخمسة عمال ودراسة.

والسؤال هو، هل تتخذ القيادة السياسية للجهة الكردستانية قرأراً من طرفها يعيد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٨٨ ويتم فسخ عقود التأجير الجائرة؟ أم تنتظر الجهة قرأراً من السلطة المركزية بذلك؟

لبننة كردستان

للاصلاح الاجتماعي وجهه الآخر الأكثر بشاعة لارتباطه بمساعي السلطة المتعمدة

لقطع ارتباط المواطن بالعمل الانتاجي وجعله يعتمد على الارتزاق. هذا الموضوع لم يقتصر على كردستان وحدها، بل امتد إلى محاولة تجيش عشائر ومناطق عربية بأكملها بانارة نزعات التضامن القبلي أو الاقليمي أو الطائفي عند بعض الفئات المتخلفة وتحويلها إلى درع للنظام يقه من الشعب.

غير ان الظاهرة تكتسب ابعاداً أكثر خطورة هنا لأن السلطة، كما لاحظنا، اتبعت مخططاً متظماً لتدمير بنية المجتمع الكردي واجباره على الاعتماد على ما تضخه الدولة له مقابل خدمات الارتزاق. وفضلاً عن ذلك، لما كانت كردستان عملياً ساحة حرب ضد السلطات المتعاقبة منذ ثلاثين عاماً فان وظيفة المرتزق الكردي كانت تحويله إلى قاتل لاشيخ الكردي في حرب ارادت السلطة تصويرها حرباً أهلية كردية بعين أنصارها ومعارضيهها. لكن التسمية التي شاعت على السن الاكراد لهؤلاء المرتزقة: الجاش (الجحوش) ذات دلالة كبيرة هنا، اذ نجح المجتمع الكردي في عزل هؤلاء عن جسمه، برغم ان اعدادهم لم تكن قليلة، من خلاله تصويرهم مطايا لاعدائه.

في الجزء العربي من العراق، حولت السلطة التنوع الاثني - الحضاري الغني للمجتمع العراقي إلى انقسامات طائفية - اقليمية عميقة تعيق التفاعل الخصب الذي يكسب الشخصية العراقية سماتها المميزة. لكن التماسك العشائري - الطائفي دفاعاً عن عن طبقة حاكمة لم يصل إلى حد وضع طائفة في مواجهة أخرى، أو عشيرة في مواجهة أخرى، أولاً بسبب تحلل البنى القبلية بسرعة أكبر في الجزء العربي نتيجة درجة التطور والرسمة السابقة فيه، وثانياً لأن المعارضة لم تتخذ شكل حرب أنصار مسلحة في أحد أجزاء العراق العربي تتطلب تجيش كتلة سكانية في مواجهتها. ان وثائق اجهزة الأمن التي وقعت في أيدي المتفضين تبين بجلاء سعي السلطة إلى استشارة الغرائز العشائرية - المناطقية بالتركيز على عشائر محددة ومناطق محددة (الجبور، طي، مناطق الشرايط والدليم وتكريت... الخ). لكن عنصر الأمن أو الاستخبارات العسكرية أو المخابرات الذي يتم تجنيده من هذه العشائر و/أو المناطق لا يشترط فيه ان يعمل مباشرة إلى جانب أبناء عشيرته أو منطقته.

في كردستان استثيرت الخلافات الطبيعية التي كانت قائمة بين العشائر المتجاورة، وهي خلافات حول حدود اراضي كل قبيلة، لتشكيل ما سمي بالافواج الخفيفة، حيث يتولى أحد أبناء عشيرة ما حشد عدد من أبناء عشيرته لتشكيل فوج يقوم على أساس عشائري بحري تسليحه وتمويله من قبل السلطة نفسها. وعلى هذا الأساس وجدت السلطة في شيوخ بعض العشائر (الزيباريين، الهركيين، السورجيين، الدوسكي) مجالاً طبيعياً لتجنيد رجالها.

رقم الوثيقة	الوصف	التاريخ	الموقع	الجهة	الاسم	اللقب	الدرجة	الوظيفة	الملاحظات
1	الوثيقة الأولى	1990	العمارة الأولى	الجهة الأولى	الاسم الأول	اللقب الأول	الدرجة الأولى	الوظيفة الأولى	الملاحظات الأولى
2	الوثيقة الثانية	1991	العمارة الثانية	الجهة الثانية	الاسم الثاني	اللقب الثاني	الدرجة الثانية	الوظيفة الثانية	الملاحظات الثانية
3	الوثيقة الثالثة	1992	العمارة الثالثة	الجهة الثالثة	الاسم الثالث	اللقب الثالث	الدرجة الثالثة	الوظيفة الثالثة	الملاحظات الثالثة
4	الوثيقة الرابعة	1993	العمارة الرابعة	الجهة الرابعة	الاسم الرابع	اللقب الرابع	الدرجة الرابعة	الوظيفة الرابعة	الملاحظات الرابعة
5	الوثيقة الخامسة	1994	العمارة الخامسة	الجهة الخامسة	الاسم الخامس	اللقب الخامس	الدرجة الخامسة	الوظيفة الخامسة	الملاحظات الخامسة
6	الوثيقة السادسة	1995	العمارة السادسة	الجهة السادسة	الاسم السادس	اللقب السادس	الدرجة السادسة	الوظيفة السادسة	الملاحظات السادسة
7	الوثيقة السابعة	1996	العمارة السابعة	الجهة السابعة	الاسم السابع	اللقب السابع	الدرجة السابعة	الوظيفة السابعة	الملاحظات السابعة
8	الوثيقة الثامنة	1997	العمارة الثامنة	الجهة الثامنة	الاسم الثامن	اللقب الثامن	الدرجة الثامنة	الوظيفة الثامنة	الملاحظات الثامنة
9	الوثيقة التاسعة	1998	العمارة التاسعة	الجهة التاسعة	الاسم التاسع	اللقب التاسع	الدرجة التاسعة	الوظيفة التاسعة	الملاحظات التاسعة
10	الوثيقة العاشرة	1999	العمارة العاشرة	الجهة العاشرة	الاسم العاشر	اللقب العاشر	الدرجة العاشرة	الوظيفة العاشرة	الملاحظات العاشرة

رقم الوثيقة	الوصف	التاريخ	الموقع	الجهة	الاسم	اللقب	الدرجة	الوظيفة	الملاحظات
1	الوثيقة الأولى	1990	العمارة الأولى	الجهة الأولى	الاسم الأول	اللقب الأول	الدرجة الأولى	الوظيفة الأولى	الملاحظات الأولى
2	الوثيقة الثانية	1991	العمارة الثانية	الجهة الثانية	الاسم الثاني	اللقب الثاني	الدرجة الثانية	الوظيفة الثانية	الملاحظات الثانية
3	الوثيقة الثالثة	1992	العمارة الثالثة	الجهة الثالثة	الاسم الثالث	اللقب الثالث	الدرجة الثالثة	الوظيفة الثالثة	الملاحظات الثالثة
4	الوثيقة الرابعة	1993	العمارة الرابعة	الجهة الرابعة	الاسم الرابع	اللقب الرابع	الدرجة الرابعة	الوظيفة الرابعة	الملاحظات الرابعة
5	الوثيقة الخامسة	1994	العمارة الخامسة	الجهة الخامسة	الاسم الخامس	اللقب الخامس	الدرجة الخامسة	الوظيفة الخامسة	الملاحظات الخامسة
6	الوثيقة السادسة	1995	العمارة السادسة	الجهة السادسة	الاسم السادس	اللقب السادس	الدرجة السادسة	الوظيفة السادسة	الملاحظات السادسة
7	الوثيقة السابعة	1996	العمارة السابعة	الجهة السابعة	الاسم السابع	اللقب السابع	الدرجة السابعة	الوظيفة السابعة	الملاحظات السابعة
8	الوثيقة الثامنة	1997	العمارة الثامنة	الجهة الثامنة	الاسم الثامن	اللقب الثامن	الدرجة الثامنة	الوظيفة الثامنة	الملاحظات الثامنة
9	الوثيقة التاسعة	1998	العمارة التاسعة	الجهة التاسعة	الاسم التاسع	اللقب التاسع	الدرجة التاسعة	الوظيفة التاسعة	الملاحظات التاسعة
10	الوثيقة العاشرة	1999	العمارة العاشرة	الجهة العاشرة	الاسم العاشر	اللقب العاشر	الدرجة العاشرة	الوظيفة العاشرة	الملاحظات العاشرة

(٣) نموذج الاستثمارات التي تعدها مديريات الأمن لتقييم رؤساء العشائر والمتفذين في كردستان.

بالطبع، لم يخل الأمر من استثناءات مهمة. ولم يحصل قط ان انحازت عشيرة بكاملها وبصورة متجانسة إلى جانب السلطة، فثمة أسماء بارزة من مناضلين في صفوف الثورة الكردية والحركة الوطنية العراقية يتمون إلى كل من تلك العشائر. أكثر من هذا، انعكست الصراعات والتنافس بين أجهزة السلطة القمعية، وسعي كل منها لتجنيد مرتزقة خاصين بها، على هذا الوضع وفاقمته. وسنقتطف أدناه، ببعض التفصيل، من ملفين من ملفات الأمن، أحدهما بعنوان «آخر تطورات الوضع العشائري» والآخر بعنوان «دراسة العشائر العربية في محافظة اربيل» لما تلقيانه من ضوء على مادة دراستنا.

ملف العشائر العربية يعدل ثماني عشائر، ويقدم نبذة عن «رؤسائها الحاليين والمرشحين لرئاستها مستقبلاً» ثم يحدد امكانية ومد جسورنا للتأثير عليهم ايجابياً من خلال

رئيس العشيرة» بعد ان يشير إلى «مواقفهم من الحزب والثورة» وطبيعة علاقاتهم مع «المخربين» وعلاقاتهم مع العشائر الكردية والعربية المجاورة وامكانية استثمار الصراعات والخلافات الموجودة فيما بين العشائر. ثم ينتقل الملف إلى متابعة تفصيلية لامكانية التجنيد من خلال جرد أبناء العشيرة الذين يتباون مواقع في الحزب الحاكم أو جهاز الدولة، وعناصر العشيرة المنتمين إلى جهاز الأمن من «المتفوقين دراسياً» في دورات الأمن بغرض ترفيعهم ووضعهم في مراكز أكثر أهمية.

أما ملف تطورات الوضع العشائري فيتابع المشاكل المسلحة بين الهركيين الذين قامت اجهزة السلطة بنقل بعضهم من أماكنهم في قضاء عقرة إلى المنطقة المحيطة باربيل «على أساس ان هؤلاء يشكلون حزاماً للمدينة لحمايتها». لكن هذه العملية انتهت إلى تأجيج الصراعات بينهم وبين عشيرة الزرارية التي تجاوزوا على أراضيها مما أدى إلى معارك ذهب ضحيتها كثيرون من أبناء العشيرتين.

والطريف في أمر هذه «الأزمة» ان جهود السلطة توجهت إلى ايجاد حل لها حرصاً على كسب الطرفين إلى حد ارسال خير الله طلفاح وعضو القيادة القطرية آنذاك عبد الفتاح الياسين لمصالحة رئيسي العشيرتين في ١٩٨٣/١٠/٧ (كتاب مديرية أمن اربيل إلى مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي، سري للغاية، العدد ش. س. ١٢٥١٠ في ١٩٨٣/١٠/١١). وقد اضطرت السلطة إلى ذلك لأن «معظم أبناء عشيرة الزرارية منتمين إلى الجيش الشعبي» (كتاب محافظة اربيل، المراسلات السرية إلى مجلس قيادة الثورة - لجنة شؤون الشمال، (سري وشخصي) رقم ٣٣١٩/٤ بتاريخ ١٩٨١/٨/١١) في حين ان اسلحة جزء كبير من الهركيين جاءت عن طريق الاستخبارات العسكرية (كتاب أمن اربيل إلى مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي، «سري للغاية» العدد ش. س. ١٢٤٧٧ بتاريخ ١٩٨٢/٩/١١)، بل يظهر من خلال المراسلات ان هناك قرى باكملها تابعة للاستخبارات العسكرية يسكنها هؤلاء مثل قرية جرة (تقرير قيادة الجيش الشعبي لمنطقة اربيل بخصوص التحقيق مع عناصر الجيش الشعبي، غير موجه إلى جهة محددة وبدون رقم أو تاريخ).

وهكذا كانت كل جهة من جهات اجهزة القمع تحاول ابعاد تهمة التسبب بالمعارك عن عملائها لتلقيها على الطرف الآخر، الأمر الذي يوضح إلى أي حد ساهمت هذه الاجهزة بتشويه تركيب المجتمع الكردستاني.

الاستمارات التي تنظم بعنوان «نموذج معلومات رؤساء العشائر ومستشاري افواج الدفاع الوطني والاشخاص المتفصلين في المنطقة الشمالية» (سري وشخصي) توضح إلى أي حد غدت السلطة النوازح العشائرية وتعزير روابط المصالح عن طريق القرابة في الوقت



(٤) مشهد تقليدي في كردستان : أطفال يبحثون في القمامة (مانگیش).

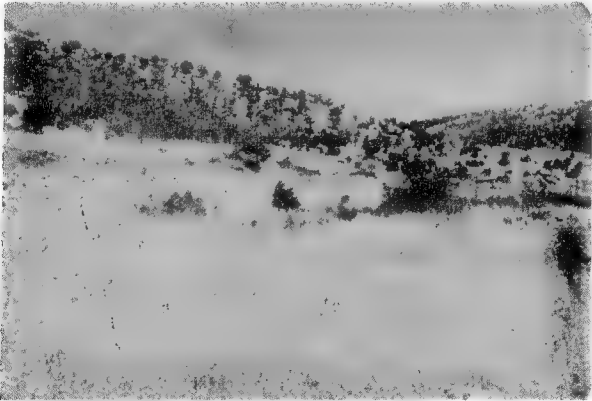
الذي كانت دعايتها تتحدث عن بناء «الانسان العراقي الجديد»، كما توضح الأساليب الرخيصة التي أتبعت لربط هؤلاء بها.

تشير من بين المعلومات التي تتضمنها هذه النماذج إلى عينة من الفقرات : الصفات الشخصية، سمعته الشخصية، سمعته العائلية، درجة ميله إلى المادة، الخمر، الجنس، لعب القمار، بماذا يمكن التأثير عليه وكسبه، هل يتعاون مع الاجهزة الأمنية، درجة تأثيره وثقله العشائري، هل لديه أو لدى عشيرته عداوة مع عشيرة أو رئيس عشيرة أخرى، هل لديه أقارب مسؤولين في اجهزة الدولة : الاسم، درجة القرابة، المسؤولية، الاتجاه السياسي، درجة ولائه للسلطة، هل درجة الولاء محسومة، [أم] يحاول الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع السلطة والمخربين، علاقته بالاحزاب السياسية المعادية وحركات التخريب (هذه الفقرة مقسمة إلى أربع فقرات : قبل عام ١٩٥٨، من ١٩٥٨ لغاية ١٩٦٨، من ١٩٦٨ لغاية ١٩٧٥، من ١٩٧٥ ولحد الآن)، هل لديه أقارب من الاحزاب المعادية أو الحركات التخريبية : الاسم، درجة القرابة، اسم الحركة، المهنة، التاريخ، المناصب التي شغلها. حتى عام ١٩٨٨ كان عدد الافواج الخفيفة قد بلغ ٢٥٠ فوجاً تضم عدداً يقل عن نصف مليون انسان بقليل. بالطبع، لم يكن هؤلاء جميعاً مقاتلين بمعنى الكلمة. فملفات الأمن والاستخبارات العسكرية تحوي الكثير من الشكاوي بحقهم، والقسم الأكبر من

مراسلات «الجهات العليا» بشأنهم يؤكد على ضرورة متابعة هذه الأفواج والتأكد من قيامها بواجباتها القتالية ضد «المخربين»، ذلك ان هذه الجهات تعرف، قبل غيرها، ان الأفواج الخفيفة ما كان لها ان تستمر لولا اغراءات المال والاعفاء من الخدمة العسكرية للعناصر أو عدم سوق عناصرها إلى جبهات الحرب والاكتفاء بابقائهم في مناطقهم.

ومن جهتهم، كان امراء الجحوش يرفعون تقارير كاذبة عن عمليات وهمية قاموا بها ضد «المخربين» ليؤمنوا بقاء تشكيلاتهم، في حين ان كثيراً منهم كان منصرفاً إلى استغلال سلطته لابتزاز المواطنين ونهبهم وممارسة نشاطات التهريب والتجارة. وكان مسؤولوهم في الاجهزة الامنية يتواطون معهم ويشاركونهم تلك النشاطات.

في كتاب موجه بتاريخ ١٦/٨/١٩٨٩ يعدد ضابط المفارز الخاصة في مديرية الاستخبارات العسكرية ١٢ فقرة سلبية على «المفارز الخاصة المرتبطة بهذه المديرية» منها (١) عدم التزام أمري المفارز الخاصة بإدارة شؤون مفارزهم ومتابعة مقاتليهم. . حيث ان أمر المفرزة مهتم باشغاله الخاصة ومنها بيع وشراء السيارات والاشراف على المزارع وغيرها. . (٤) قيام عدد كبير جداً من المقاتلين باشغال حرة ويعلم أمري المفارز الخاصة ولم يترددوا إلى المفرزة نهائياً. . (٦) كثرة مشاكل المقاتلين واعتدائهم على



(٥) بارزان محمية من الوجود: هنا كان مضيق الشيخ احمد البرزاني.



(٦) من مشاهد الهمجية: محلة باروشكي في دهوك التي انطلقت منها انتفاضة آذار. دمرتها قطمان الحرس الجمهوري.

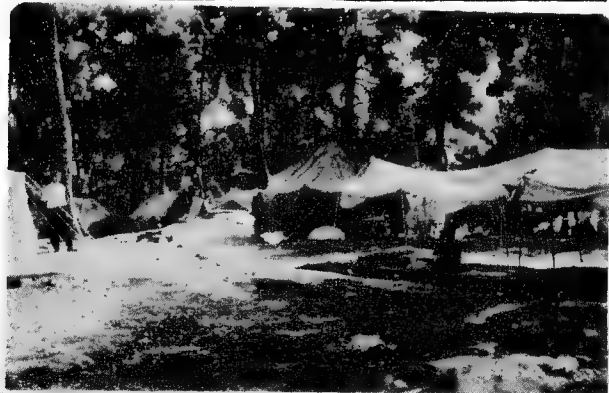
المواطنين... (١٠) استغلال وابتزاز قسم من أمر المفارز للمواطنين». من هذه الممارسات وغيرها تشكلت كتلة من المتميزين، فيما كرس كبار رؤساء العشائر وجودهم ولكن من خلال التساوق مع التحولات التي طرأت على المجتمع العراقي ككل باتجاه رسمته. وخطورة هذا الوضع تتمثل في أنه لن يزول بزوال الاسباب السياسية المباشرة التي أدت إلى نشوء الظاهرة، بمعنى ان التراكم النقدي بيد كتلة من المتعاونين مع السلطة تحول إلى موجودات عينية ومصالح وتأثير اجتماعي انتقل من أرياف كردستان حيث كان الأغا يمارس سلطته على فلاحيه و/أو أبناء عشيرته إلى المدينة، وهي ظاهرة ليست خاصة بكردستان فقط بل بالعراق ككل. وقد أشرنا في موضع آخر (الثقافة الجديدة، العدد ٢٣٧) إلى أمثلة عن تأسيس مشاريع صناعية أو شركات مقاولات من قبل رؤساء عشائر الجحوش.

ما الذي استجد على هذا الوضع؟

مع تصاعد الأزمة الاقتصادية ابتداء من عام ١٩٨٨ شحّت امكانيات السلطة عن تأمين ارتباط الافواج الخفيفة بها، لأن هذا الارتباط كان قائماً بالدرجة الأساس على قاعدة الارتزاق، فضلاً عن ان السلطة لم تعد تشعر بحاجة ماسة لخدمات هذه الافواج بعد ان وجهت ضربة عسكرية لحركة الانصار. ثم جاء غزو الكويت وما تلاه من هزيمة مروعة،

وانكسار هيبة النظام، ثم انتفاضة آذار لكي تفكك الوجود الفعلي لهذه الافواج الخفيفة. ومن التبسيط بمكان أخذ جانب واحد من صورة الوضع والقول بأن المنتمين للافواج الخفيفة وقفوا إلى جانب الانتفاضة لأسباب انتهازية. فهؤلاء لم يكونوا كتلة متجانسة، لكن انفجار الأزمة الشاملة هو الذي ساعد على توعية قسم كبير منهم بهذه الحقيقة، حقيقة ان السلطة اشتريت دماءهم بحفنة دنائير وانه لا مصلحة لهم بالوقوف إلى جانب المتاجرين بهم سواء كانوا من رؤساء عشائهم أو من اجهزة القمع الحكومية. وفي الوقت نفسه، من السذاجة بمكانه ألا تأخذ عنصر الانتهازية بعين الاعتبار. فالسيد س، أحد رؤساء العشائر التي باعت ولاءها للسلطات المتعاقبة منذ الحكم العارفي، أقام وليمة بكلفة ٢٠٠ ألف دولار لكل ضباط قوات التحالف في قصره المنيف بكرديستان، وإبلغهم بأنه يقسم أمامهم بأنه لم يعد جندياً عند صدام بل عوناً لهم. هذه الواقعة التي رواها لنا عشرات من المطلعين على الشؤون الكردية من أبناء المنطقة رافقتها وقائع مماثلة أقل شأنًا.

وكان الخيار أمام الجبهة الكردستانية، والاحزاب الكردستانية كل على انفراد، معقداً وصعباً. استمرار انقسام المجتمع الكرديستاني، خصوصاً وقد لاحظنا ان كتلة الجحوش لم تعد كماً مهماً، أو العمل على ادماجهم في جسم المجتمع والحركة الوطنية انطلاقاً من ان حكم الدكتاتورية لمدة تقارب ربع القرن لا بد وان يترك تشوهات عميقة لا يجدي



(٧) مهجرو زاوية أولر حظاً! لقد توفرت لهم الخيم!



(٨) مشردون تراحموا لالتقاط مساعدات الأمم المتحدة.

اغراض العين عها. هذه التشويهات امتدت إلى كل مسامة من مسامات المجتمع العراقي عموماً والمجتمع الكرستاني خصوصاً.

ليست الاحزاب الوطنية، بالطبع، بمنجى عن هذه الظاهرة. ولا يمكن القول انها، في تعاملها مع الافواج الخفيفة ورؤساء عشائر الجحوش، انطلقت من تلك الاعتبارات بالضرورة. يشير لك رجل الشارع إلى ان الحزب الفلاني «نفخ» جماهيره بضم رؤساء الجحوش وعشائره إلى اعطاهم الحماية من انتقام الشعب منهم، اذ أصبحوا من «المتنمين إليه».

المناضلان رفيق من الاتحاد الوطني الكرستاني وابو ايفان من الحزب الشيوعي العراقي كشفنا ان قراراً صدر من القيادة السياسية للجهة الكرستانية يعفو عن كل الجرائم السياسية المرتكبة قبل انتفاضة آذار ١٩٩١. هذا القرار، رغم انه أدى إلى اثار احاسيس مشروعة لدى ضحايا من اجرموا بحقهم خلال فترة حكم الحزب الحاكم، إلا انه اضفى جواً انسانياً ومنع ردود الفعل الانتقامية التي قد تستثمرها السلطة لاشاعة جو حرب أهلية في داخل المجتمع الكرستاني، إذ يثار ابن العشيرة لابن عشيرته القتل... وهكذا. أكثر من هذا، والرفيقان يعملان في اللجان التحقيقية للجهة الكرستانية بدهوك، فان كل قضية تحال، بعد الانتهاء من التحقيق، إلى المحاكم المدنية التي لم تمسها

(جك) للبت بها.

اثبتت (جك) هنا حكمتها كجهة مسؤولة لا تنوي ان تستثمر اجواء الانتفاضة لكي تنصرف كما تنصرف الحزب الحاكم. لكن السؤال الذي يدور على السن الجماهير هو: ما الحد الفاصل؟ أين يمكن القول ان فلاناً لا يزال من عناصر السلطة وانه يستخدم جو التسامح هذا لكي يدمر قضية الشعب الكردي، ومتى نعرف ان فلاناً فك يده من الايغال بدم شعبه؟

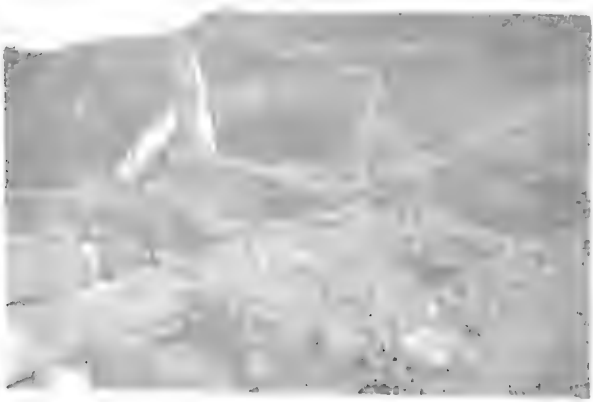
مثل هذا السؤال واجهه الفيتناميون والكوبيون وعشرات الشعوب الأخرى، ولكن بعد اسقاط سلطة العدو. المأساة في كردستان ان السلطة قائمة، وان حرب الاشاعات مستمرة. برقية التقطت في الثلث الأول من ايلول من «الاجهزة العليا» تشير إلى طلب السلطة لعناصرها بالعمل في داخل اجهزة الاحزاب والجهة الكردستانية مع استمرار صرف مخصصاتهم والتعويض عما لم يصرف منذ آذار ١٩٩١.

بالنسبة للجمهور الواسع من سكان كردستان القضية تتعلق بالجرائم التي يقترفها اناس محسوبون على الجهة الكردستانية وهم في الواقع، من رجال الافواج الخفيفة التي أصبحت الآن «بيشمركة»! فالمناضل الكردي أو العربي الذي ضحى بزهرة شبابه في حرب الانصار صار يقف أمام حواجز المرور ليجد ان فلاناً الذي كان بالأمس عدوه لأنه من المجحوش، صار اليوم حارساً للحاجز بصفته متميلاً لاحزاب الجهة الكردستانية! وفوق هذا فان جرائم ترقى إلى مستوى الخيانة صارت ترتكب باسم البيشمركة.

سد بخمة لم ينجز حين غزا النظام العراقي الكويت. كانت معداته قد وصلت إلى منطقة بخمة، وكلفتها لا تقل عن مئتي مليون دولار وكلفة اقامة السد الكلية مليار دولار. وحين قامت الحرب قام السيد (س) نفسه الذي أشرنا اليه، وكان من رجال صدام المعدودين في كردستان، بتفكيك الاجزاء وبيعها كسكراب «خردة» حديد إلى تجار ايرانيين واتراك بما لا يزيد عن ٢٠ مليون ديناراً

هذه جريمة كبرى بحق الاقتصاد الوطني. ومثلها نهب المرصد الفلكي العراقي قريباً من جبل هندرين. وقد اقترف هذه الجرائم اناس ربتهم السلطة بتقاليدها. لكن المأساة تكمن في «جرائم» أخرى، لا يمكن للمرء اطلاق الحكم عليها بسهولة.

خذ مثلاً حالة مئات آلاف الجياع الذين أضيف إلى جوعهم، الشعور بعدم الاطمئنان حتى إلى المستقبل القريب، مثل حالة المهجرين الذين لا يستطيعون زراعة أرضهم، كما أشرنا. ان هؤلاء الناس مجبرون على وضع اليد على كل ما تقع اليد عليه وتحويله إلى نقود لأنهم لا يعرفون ما يخيء القدر لهم غداً. بل ان الرفيق أبودلشاد يحدثنا عن حالات تواطؤ بين رجال الصليب الأحمر الدولي وعناصر محسوبة على البيشمركة



(٩) التدمير في هيرانه والحياة تستمر: مستوصف ميدان أليم فوق الانقاض.

لسرقة التموين وبيعته في السوق السوداء أسوة بما تعلموه من أماليب بيع الحزب الحاكم للجهونات الدولية!

وماذا تريد سلطة صدام حسين أكثر من هذا؟ اشعار الجماهير بان الأمن قد غاب بغيابها هي عن ساحة السيطرة على صحاباها.

ما العمل؟

حين تتوجه بالسؤال عن كيفية تجاوز الآثار السلبية، ليس ثمة جواب، «وحد». حرب الشائعات تصل إلى هذا الديدان أيضاً.

ولأن الجبهة الكردستانية لم تتعاط، حتى الآن، مع الوضع بوصفها قيادة سياسية، أو إدارة للمناهلة الصحرة، فإن التشابك بين أوضاع كردستان وأوضاع باقي العراق الخاضع للمدكتاتورية وفوضاها لا يزال قائماً.

تاجر من انصار صدام كان يتابع «معاملة قضائية» له في مقر الهيئة العامة للجبهة في خليفان. سألته عن طبيعة «شكواه القضائية» فاستفاض في الشرح لكي يبين لنا كيف ان «الجهل» يجعل الناس يعتقدون ان التهريب يضر بالاقتصاد الوطني في حين انه «على حد تعبير التاجر» «يجلب للبلاء عملات صعبة مقابل التخلص من السيارات الفائضة عن الحاجة»!

السيارة تباع بثلاث قيمتها بالضبط في مراكز التهريب بفعل انهيار سعر صرف الدينار العراقي. والفرق يذهب إلى جيوب هؤلاء اللصوص الذين صنفهم غرف التجارة العراقية كتجار. وهكذا فان عليك ان ترى بعينك نهب العراق الذي يتم احياناً كثيرة تحت شعارات «قومية» كما يحدث مع سوق الاردن التي يسعى نظامها إلى فك أزمته الاقتصادية من خلال تشجيع تجاره وصناعيه على نهب العراق مقابل تقديم ما يعادل ربع قيمة المواد المنهوبة في صورة مواد غذائية ترتفع أسعارها بالمقابل ولا يعود المواطن متوسط الدخل قادراً على شرائها.

بالطبع ليست الافواج الخفيفة وعناصرها وحدهم مسؤولين عن هذه الظاهرة. جياح يريدون تحويل كل ما يقع تحت يدهم إلى نقد يسدون بها رمق معيشتهم. ومناضلون لا شك في تضحياتهم، قضوا أكثر من عقد من السنين بعيداً عن المدن والمحتشدات الجماهيرية، وإذا بهم يجردون انفسهم فجأة مطالبين بإدارة حياة مجتمع ابتعدوا عنه، بسبب دفاعهم عنه، ولا يعرفون كيفية التعامل مع ظواهر حضارية معقدة.

لبنان جديدة؟ هذا ما يريده صدام وجلالوته بالتأكيد ليثبتوا انهم البديل الوحيد القادر

على ضمان سير المجتمع . لكن الأمر ليس كذلك بالضبط . في السليمانية واربيل ودهوك ليس ثمة مقرات للأحزاب المؤتلفة في (جك) . اتفق الجميع على إغلاق مقرات الأحزاب وإبقاء مقر واحد للجهة الكردستانية لكي لا تنبت الأمور . ومنع أي حزب من الاحتفاظ بسجون خاصة به أو أسرى شخص ، بل منع أي عنصر حزبي من دخول مراكز المحافظات بسلاحه إن لم يكن ضمن العدد المنفق عليه مع المحافظ من عناصر البيشمركة الذين يحق لهم التجول بأسلحتهم في داخل المحافظات الثلاث .

لكن المشكلة لا تكمن هنا ، بل في الجوع وحرارة التشرذم التي تواجهها جمهرة كبيرة من سكان كردستان ، وهي ظواهر لا يمكن حلها مع بقاء السلطة الحاكمة . حين نسأل عن الحياة الاقتصادية في المدينة الكردستانية نحابه دائماً بسؤال سعاد : من يطلب منتجات المدينة إذا كان الوضع كاسداً . في طاسلوجه ، قرياً من السليمانية ، يعمل خط انتاجي واحد من اثني عشر خطاً في معمل السمنت ، وفي اربيل ، توقفت أهم معاملها ، وهي معامل الكاشي والطابوق والمواد الانشائية لأن سعر طن السمنت بلغ ١٢٠ ديناراً ، ولأن المواد الأولية الأخرى شحيحة والطلب معدوم تقريباً على منتجات البناء .

ولأن الشعب لا يثق بالسلطة ، فإن كل ممتلكات الدولة عرضة للنهب ، من سيارات نقل القمامة إلى معدات المستوصفات .

ما العمل ؟ سلطة تثق بالشعب ويثق الشعب بها !



رأى بشأن الاحداث الاخيرة في الاتحاد السوفيتي

في ١٨ - ٢٠ ابريل ١٩٩١

د عبد الحميد بخش (ابو زكي)

كان الحدث مفاجأة ولا مفاجأة في آن واحد. وهو اذ تم لا بالاعتماد على الطرق الشرعية، وليس بالاستناد إلى المؤسسات المنتخبة للدولة وإلى الحزب والجمامير، مع تجاهل الوقائع الجديدة في المجتمع السوفيتي وفي العالم، واذا اتخذ شكلاً انقلابياً فوقياً انعزالياً واضحاً، فانه يظل حدثاً تكتفه ويحمل في طياته كثرة من الالغاز. وهذه الالغاز تحيط بمقدمات الحدث وطريقة حدوثه وباسماء ومواقع القائمين به، بموقف غورباتشوف وبلتسن وشيفرنادزه ووسائل الاعلام ودوائر المخابرات الغربية والقوقى التي تصدت له وطرق تعاملها معه. كما انها ترتبط بفشله بطريقة انتهائه وبتنتائجه وبمستقبل التطورات اللاحقة في الاتحاد السوفيتي ذاته. واذا يمكن القطع الآن بأن الانقلاب كان عملاً أحماً وعواقبه وخيمة على المجتمع والدولة والحزب في الاتحاد السوفيتي، فان اعطاء تحليل وتقييم متكاملين واستخلاص الاستنتاجات بشأن الحدث واستيعاب دروسه بشكل كامل وفك جميع الغازه الآن أمر غير ممكن ولأسباب كثيرة. ان آفاق التطور اللاحق في الاتحاد السوفيتي حبلى بمختلف التوقعات. فالأسباب التي ولدت الانقلاب ما زالت قائمة ويزيد من تفاقمها ردود الفعل الدراماتيكية والمؤلمة، وخاصة السياسية التهديمية الهجومية العشواء والهوجاء، وسياسة اصدار المراسيم، وهي سياسة غير ديمقراطية، يتبعها بلتسن ومن يحيط به ومن هم وراءه، اضافة إلى عجز غورباتشوف عن «الوقوف على رجله» وتجميعه للقوى البناءة، الديمقراطية الاصلاحية حقاً دون زيف، في المجتمع للتصدي للاخطار (علماً بأن

هناك قوى ومصادر داخلية وخارجية تشكل في سلامة موقفه تجاه الاحداث وما أعقبها، ولربما تستهدف زعزعة موقعه وإزاحته لاحقاً. ويمكن القول بأن تصدعاً كبيراً يفوق توقف إعادة البناء والاختطأ التي رافقتها وفقدان الوضوح في أهدافها ثم تعثرها، قد حل في الاتحاد السوفيتي لا يمكن ترميمه بسهولة. وهذا التصدع يتجلى في:

- تصدع وحدة المجتمع السوفيتي والدولة السوفيتية، بل وهناك أخطار تمزقه والاحتراق في داخله، وتيسير التدخل الغربي في شؤونه وتقرير أشكال مستقبله.

- تصدع، بل تداعي الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وتصدع الأحزاب والمنظمات الحزبية في الجمهوريات السوفيتية. وقد أصبح الشيوعيون وأحزابهم وتنظيماتهم في مركز رد الفعل السلبي تماماً للأحداث الأخيرة والهدف الأساسي للضربات الرئيسية للقوى الرجعية والمردة بسبب توقف قيادة الحزب من الأحداث ومن مجموعة الثمانية، إضافة إلى التعقيدات والمصاعب التي تحيط بهم جراء الأخطاء والانحرافات والتشويشات والانتهاكات والمفاسد الماضية. وأهم من ذلك كله عجز الحزب عن إجراء التغييرات الجذرية الضرورية وأخذ المبادرة في تحقيقها على نطاق الحزب والدولة والمجتمع، حتى يخشى من أن يكون قد فقد القدرة على المبادرة تماماً للقيام بذلك، بل أنه قد فقدوها فعلاً وحقاً. وهذا ما يهدده الآن، ويهدد مستقبل وجوده كقوة أساسية مؤثرة. فكم من الضروري أن يتعض من دروس البلدان الاشتراكية التي كان للقيادة السوفيتية دور في انهيارها وبأساتها.

- تصدع القوة الأساسية للسلطة السوفيتية، بما فيها الجيش والمخابرات. إن الضربات مستظلة توجه إلى هذه الأجهزة حتى تفكيكها. وبهذا يقصم ظهر السلطة السوفيتية كي لا تستطيع من النهوض من كبوتها لتتجاوب مع متطلبات التطور، ومتطلبات الواقع المزمع، حتى يتم الإجهاد عليها. ولهذا تأثير سلبي لا تعرف حدوده بالنسبة للتطور العالمي كله، وبالنسبة لمجموعة حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي العالمية، حيث ستكون حركة فقدت مركزها السياسي والاجتماعي العالمي.

- تصدع في المسيرة الديمقراطية في المجتمع. ويتضح أن القوى الديمقراطية السليمة النزيفة المخلصة في الحزب والدولة والمجتمع قد أصابها التفكك والوهن، وستظل تضعف وستغدو أكثر عجزاً في الحركة والتأثير (إن لم تحزم أمرها وتوحد صفوفها اليوم وليس غداً)، مقابل ازدياد قوة وحيوية ونفوذ القوى المتلبسة بلباس الديمقراطية المزيفة والكاذبة في تطور الحياة السياسية والاجتماعية بما يحرفها عن السير الحقيقي نحو الديمقراطية ومجتمع القانون والعدالة الاجتماعية، وبما يتقص من سيادة البلاد ووحدة أراضيها وقدرتها على تأمين ظروف وقف التدهور والخروج من الأزمة وخلق شروط الازدهار

الاقتصادي والاجتماعي والثقافي اللاحق. لقد لحقت بالأولى هزيمة اخلاقية ومثوية كبيرة. في حين كسبت الثانية زخماً جديداً، اخلاقياً ومعنوياً، لمواصلة تعزيز مواقفها وتأثيرها، توفر لها قوى اعداء الشيوعية والديمقراطية والتقدم، بالاستناد إلى القوى الضالة والمتذبذبة والناثئة اليوم في ظل الضياع والمتاهة وفقدان الاتجاه في الميدان النكري والموقف الاجتماعي، ازاء ما يحدث وفي ظل ضغط الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والاخلاقية التي نعم البلاد، وبتضليل واستغلال موقف الحيرة والاندهال لدى القوى الديمقراطية التي لا تجد في الاشتراكية السابقة طريقاً لتحقيق آمانيها الديمقراطية والانسانية العامة. لقد تقلص إلى أبعد الحدود المجال أو الحيز الذي تتحرك فيه قوى الاشتراكية، أي القوى الديمقراطية الانسانية حقاً.

- انهيار الموقع الدولي للاتحاد السوفيتي والاحتلال الكبير في موازين القوى في العالم.

- ولكل ذلك تأثيره الخطير على وجود وتطور حركة التقدم والاشتراكية في العالم. وعلى التطور العالمي. وهذا التأثير بالطبع لن يكون لصالح التقدم والأمن في العالم، بل لتعزيز نهج الهيمنة الأمريكي عليه.

قبل ما يزيد على خمسة أعوام بقليل أعلن ريغن في لندن بأنه قد آن الأوان لالقاء الشيوعية في مزبلة التاريخ. واليوم (٢٧ آب ١٩٩١) يعلن جورج بوش ان الحركة الشيوعية (وليس النظام الشيوعي - الكاتب) قد انتهت وانها تزول من التاريخ. وكما كشف الأول عن نيته ووجهة نشاط امريكا وحلفائها ازاء التطورات في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية بعد الاعلان عن البريسترويكا وطريقة التفكير السياسي الجديد والتأثير فيهما، يكشف الثاني عن نية ووجهة نشاط وحركة النظام الرأسمالي العالمي للتخلص من تأثير الفكر والنشاط الاشتراكي على التطور العالمي، بما يؤمن له البقاء والهيمنة الكاملة على العالم.

ان كل ما جرى في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية السابقة وفي الحركة الشيوعية منذ خمس سنوات حتى الآن، هو بالمعنى الحقيقي وبالنتيجة انتكاسة، بل هزيمة ساحقة للفكر الاشتراكي السائد حتى الآن، للمنهج السياسي المتبع حتى الآن، للأشكال التنظيمية المعمول بها حتى الآن، وللقيم والمبادئ الاخلاقية والروحية الجامدة التي جرى التمسك والتشبث بها حتى الآن، والتي قيدت المبادرة الفكرية والروحية والعملية، الفردية والجماعية، حتى أفلست بعد ان زوقت وزورت الواقع الاجتماعي بما فيه الكفاية، إلى حد انها آلت إلى قيود كبلت القدرة الابداعية في الحزب والمجتمع.

ماذا كان يراد من «اعادة البناء» ومن «التجديد»، وبأي اتجاه؟ لا أحد يعرف. لم يعرف أحد منها سوى تهديم القديم بنواقصه وعيوبه، أما تشخيص الأفق والتخطيط

والاعداد وتجميع القوى والاحتياطات والموارد والتخلص من المفسدين واصنام الجمود والتخلف والبيروقراطية، وتبصير الشيوعيين والجماهير بكل ذلك، فقد تعثر ولم يكن واضحا أو قد تأجل تحت ضغط عوامل جمة، داخلية وخارجية. لقد اكتسحت لا النواقص والعيوب في الاشتراكية السابقة، بقدر ما انصبت الجهود على نحو آخر، بما خدم أهداف معاداة الشيوعية بوصفها عقيدة وبهج سياسي وسلوك عملي لأعنى القوى السوداء في العالم وأكثرها رجعية وجشعا. وجرى استغلال كل ما أفرزته إعادة البناء وعملية التجديد والتفكير السياسي الجديد من نتائج ايجابية على الضد من غاياتها الانسانية الاساسية. والسبب في ذلك هو التلكؤ والتقاؤس في تشخيص الطريق والمخرج من الأزمة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والاخلاقية وتأمين آليات وقوى تحقيق ذلك. ان التردد وفقدان الجرأة والشجاعة والجمود والانشداد بقيود ثقيلة محكمة بالماضي، وغير ذلك، أتاح امكانية عدم القدرة على الاستغلال الأمثل والأعجل للفرص التاريخية التي أطلقتها الدعوة لإعادة البناء لكي يتلمس الجميع طريق المسيرة التالية لتطوير الاشتراكية كفكر ونظام، ووفر لاعدائهما امكانية استغلالها وتكريسها للاحاق الهزيمة بهما. فهل جرى الاتعاض من ذلك. ان الحركة الانقلابية تدحض ذلك. ولا شك ان فشل حركة الانقلاب قد هز وسيهز بالتأكيد تلك الرؤوس المتيسبة في الاحزاب الشيوعية التي أصبرت وما تزال تصصر على مواصلة السير في الطريق المهزوم المسدود. وستلحق اضرارا جديدة بهذه الاحزاب وبحركة التحرر والديمقراطية والتقدم اذا ما ظلت هذه الرؤوس المتحجرة هي القوى المقررة فيها. واذا لم تكتو بنار التجربة المرة الحارقة الهالكة.

ما كان يمكن ترميمه قبل عقدين أو عقد أو نصف عقد من السنين لم يعد قابلا للترميم. والترميم لم يعد هو الوسيلة الناجعة لمعالجة ما لحق بالاشتراكية كفكر ونظام واحزاب. لقد تغير الواقع الاجتماعي جذريا في كل مكان وأخذت قوانين التطور الاجتماعي والتاريخي الموضوعية تأخذ منحى ومنعطفاً جديداً نوعياً في فعل مفعولها. وعلى الفكر الاشتراكي والنهج السياسي الاشتراكي والتنظيم السياسي والاجتماعي الاشتراكي، وطريقة تفكير الاشتراكيين الحقيقيين وسلوكهم السياسي، وأساليب عملهم ونشاطهم وتنظيمهم ونظرتهم إلى الاحداث والظواهر والعمليات وتقييمهم لها وتحديد موقفهم منها، ان تتغير، لا بمعنى التجديد ولا إعادة البناء. فالخرائب لا يمكن إعادة بنائها، والقيم والاحلام التي انقض عليها الزلازل فحولها إلى ما يشبه الركام لا يمكن تقويمها إلا بالتصاق بالواقع الجديد، والواقع الملموس، كي تكون هي بذاتها واقعية وجذابة. المطلوب هو التغير الجذري، بمعنى تشييد بناء جديد، أي فكر جديد قابل للتطور باضطراد مع تطور الواقع الاجتماعي ومع تطور الحاجات الموضوعية، المادية

والروحية، للمجتمع، وتنظيم جديد يتوافق مع المهمات التي تطرحها الحياة ويتكيف مع تغييرها، وقيم جديدة وفقاً للمواصفات والشروط والظروف والأذواق والمشاعر والاحاسيس والحاجات الروحية الجديدة التي ولدها حاجات الواقع الجديد وآفاق تطوره. وهذا ما يشكل ضرورة موضوعية لمن يريد البقاء والتواصل والارتقاء. وهذه الضرورة تفرض نفسها اليوم على الجميع بالحاح. وكل تلكوه وتلجيل، بأي مبرر كان، لا يعنيان سوى الكارثة. وهذه الضرورة حالة فريدة في التاريخ، فرضها تغيير نوعي جذري عميق في كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية في العالم. وهي تستدعي من كل حزب ومنظمة سياسية واجتماعية، بل وكل انسان شريف، أينماكان، ان يصحو على نفسه ويحتكم إلى عقله وضميره، وليس إلى عواطفه ومشاعره، ويسهم، حسب طاقاته، في ان لا يكون التغيير المنشود في غير صالح البشرية والقيم الانسانية الرفيعة والقضايا العادلة لكل البشر، قضايا تأمين الديمقراطية وحقوق الانسان، قضايا تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الشعوب وضمنان حريتها وحقها في اختيار سبيلها ومستقبلها وتقرير مصيرها، وأمنها وسلامتها وسعادتها.

ان قوى حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاشتراكية في كل أنحاء العالم، أي قوى اليسار الديمقراطي العالمية ما زالت تمتلك الكثير من القوى والامكانيات، وما زالت مقتدرة على تعبئة احتياطات جديدة لتأمين مسيرة التقدم الاجتماعي والعدالة الاجتماعية. انها تمتلك تجربتها النضالية الثرة وتاريخها المشرف حيث ارتبطت منجزات جميع الشعوب في القرن العشرين برؤيا هذه الحركة وما رسمته وحققته من مهمات وأهداف بنضالات مفعمة بنكران الذات والمعاناة والتضحيات والبطولات. انها تمتلك التجربة الراهنة، المرة والقاسية للعامين الأخيرين، التي مر بها ويجتازها الاتحاد السوفيتي وبلدان اوروبا الشرقية، التي تؤكد على ان الرأسمالية لا تستطيع تحقيق العدالة الاجتماعية. اذ جرى التطاول على المنجزات الاجتماعية للشغيلة وتفاقم البطالة لتشمل ملايين الشغيلة، وظهر في هذه البلدان التفاوت الاجتماعي الحاد والجوع والغلاء والحرمان وانفلات الجريمة والمضاربات ومختلف مظاهر الرأسمالية المتوحشة التي تذكر البشر بمسائل تراكم الرأسمال البدائي. ان الرأسمالية مهما تقدمت وتطورت، لا تستطيع تصفية الاستغلال ولا تستطيع التخلي عن نهج الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم. انها تؤكد مرة أخرى ان لا مستقبل لها في المدى البعيد رغم قدرتها على التكيف مع الواقع الجديد. وهذا لا يعني ان مهمات حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاشتراكية يسيرة بسيطة وواضحة، بل العكس. والمهم ان لا تصاب بالهلع واليأس والتشاؤم، بل عليها ان تمسك بزمام أعصابها وإرادتها، وتبصر واقعها، وتعد نفسها للبقاء

والحركة في ظروف معقدة وصعبة جديدة، نحو أفق غير خيالي أو حلم طوباوي، في ظروف التطور السلمي والديمقراطي للمجتمع الانساني. وهذا التطور لا يخضع لرغبة أو ارادة ذاتية. الاساسي الآن، بالنسبة للجميع، وعي الواقع، وعي الضرورة، الاعداد للاستجابة لها، والتخلص من اعباء ما خلفته التجربة الماضية من نواقص وعيوب، والكف عن التحليق في أجواء الأوهام والأحلام، والتزول إلى الواقع لتحقيق المهمات الملموسة في اللحظة التاريخية الراهنة.

حوالي ثلاثة عقود مرت منذ ان أنقطع جبل الوحدة في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية. وعجزت عن عقد لقاء لها خلال العقدين الاخيرين للبحث الجدي والمسؤول في حالتها وفي ما استجد من تطور في الأوضاع ولتدرس الظواهر والعمليات الجديدة التي برزت في حياة المجتمع البشري وتعد نفسها للتصدي للمهمات التي تطرحها الحياة المعاصرة. وكان الحديث يدور حتى أمس القريب عن هذه الظاهرة المؤلمة دون بحث أسبابها وتحديد طرق جديدة لتجاوزها. في حين كان يحز في النفس قدرة الأمم المتحدة الاشتراكية والدولية للمحافظة على انتظام لقاءاتها وسعيها للتكيف مع مستلزمات الواقع الجديد. ونحن اليوم شهود على حرص الانظمة الرأسمالية المتقدمة، دول اوربا الغربية وامريكا واليابان، على تبادل الرأي وعلى الالتقاء لتقرير مصير التطورات العالمية وتحديد الموقف من الاحداث الهامة المختلفة للتأثير الموحد فيها لصالحها. وها هي تركز وتوحد جهودها للتأثير في التطورات والاحداث في الاتحاد السوفيتي وتقرير شكل تطوره اللاحق. وبالتالي استطاعت الافادة بما لحق به ويدول اوربا الشرقية للتخفيف من أو التستر على عاهاتها ومصاعبها وتناقضاتها، بحيث أخذ بوش يتحدث عن وحدانية الزعامة الامريكية في العالم.

أفليس الأحرى بقوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدم في كل أنحاء العالم ان تتحسس تفكك قوتها ووحدة وضعف تأثيرها جراء تفرقها وإنشغال كل جزء منها بقضاياها الخاصة، وتعالى هذا الجزء أو ذاك على الآخرين أو ادعائه بأن الحقيقة له وحده دون غيره. الخ، وإن تسعى للالتقاء، بهذا الشكل أو ذاك، ولتبادل الرأي بهذا الشكل أو المستوى أو ذاك، لبحث ما استجد من تطورات في العالم وما حدث في الاتحاد السوفيتي الذي كان يشكل قوة هائلة من القوى المؤثرة في التطور العالمي لصالح الشعوب وأمنها وسلامها؟ أليست عواقب هذه الاحداث تمس كل جزء منها، وكل شعب وبلد؟ ليس هناك فصل من هذه القوى لم يحض بالدعم، المادي والمعنوي، لنضالها من قبل الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي فيه طيلة الأربعة وسبعين عاماً الماضية. أفليس من الواجب اخلاقياً أولاً وسياسياً ثانياً، ان تجد الاحزاب الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية (بل وحتى

الانظمة الحاكمة التي أغرقها الاتحاد السوفيتي بافضاله) طريقاً لاسناد القوى الديمقراطية الحقيقية والاشتراكية الحقيقية في الاتحاد السوفيتي كي تتجاوز المحنة التي تعيشها وللضغط على قوى الظلام والردة في العالم كي تكف عن سياسة التضليل بشأن ما يحدث وعن دفعها للأمور في الاتحاد السوفيتي بالضد من مصالح شعوبه، وعن التدخل في شؤونها وطريق تقرير مستقبل تطورها، وبهذا تخفف من حالة التشاؤم واليأس والشعور بالخذلان عند الكثير من الشرفاء في العالم.

ان موقف انتظار من يبادر لمثل هذه اللقاءات - كما يبدو - قد ترسخ عند الجميع . اذ كان هذا الجميع ، أو جزء كبير من هذا الجميع ، قد اعتاد على ان يتجه بانظاره إلى الحزب الشيوعي السوفيتي لأخذ زمام المبادرة واستخدام نفوذه وتأثيره لعقد اللقاءات العالمية . وبالطبع فان هذا الحزب لم يعد قادراً على القيام بهذا الدور . وكما يبدو فانه سيدخل طاحونة الملاحظات ازاء سياسة «صيد القمل!» التي أخذت تروج هناك . ان مسؤولية المبادرة للتداول في هذه الأمور ولللقاء تقع اليوم على الجميع وعلى كل جزء من هذا الجميع ، وعكسه لا يعني سوى الاستسلام لخيبة الأمل على الأقل .

أما بالنسبة لنا نحن الشيوعيين العراقيين ، كأعضاء وحزب ، فبالرغم من امجادنا الوطنية ودورنا المشرف في رسم التاريخ السياسي لوطننا خلال ما يقرب من ستة عقود ، فاننا قد عانينا من الاحباطات والانتكاسات والخيبة مراراً كثيرة . وها نحن نعاين ونعيش ونكتوي بمأساة شعبنا وكارثة وطننا . فما أحوجنا إلى بناء حزبنا من جديد ، وليس تجديده وإعادة بنائه القديم بل إعادة تأليفه على أسس فكرية وسياسية وتنظيمية جديدة ، تؤهله لأن يتخلص من أزمته وانعزاله وضعف تأثيره ، ليكون قوة أساسية ، ديمقراطية فعالة في مجتمعنا . لقد تخلفنا كثيراً ، ونحن نجني ثمار التأخر . وأية ذريعة جديدة للتلكؤ والمماطلة ما هي إلا التصنوية بكامل معناها ونتائجها بأي شكل تزييت .

٢٧ آب ١٩٩١



اتفاق الاقتصاد العراقي كما طرحها النظام

ترجمة هاشم

في ١٨ نيسان الماضي سلّم د. عبد الامير الانباري، مندوب العراق الدائم في الأمم المتحدة، مذكرة من الحكومة العراقية إلى الأمين العام للمنظمة الدولية بغية توزيعها على رئيس وأعضاء مجلس الأمن. وكانت المذكرة على هيئة تقرير حول مشاكل الاقتصاد العراقي ولاسيما بعد فرض الحظر والتدمير الهائل الذي تعرض له الاقتصاد في أعقاب اجتياح وضم الكويت. وتقترح الحكومة العراقية في ختام التقرير اعطاءها مهلة لا تقل عن خمس سنوات قبل البدء باقتطاع نسبة من عوائد الصادرات النفطية لتسديد تعويضات الحرب التي فرضها مجلس الأمن على العراق، بموجب القرار رقم ٦٨٧.

جدير بالذكر ان مجلس الأمن قد حدد نسبة الاقتطاع في الأونة الأخيرة بثلاثين بالمائة من العوائد وسمح بتصدير ما قيمته ١٦٠٠ مليون دينار من النفط خلال ستة أشهر شريطة ان تتولى الأمم المتحدة الاشراف على اتفاق ما يتبقى للعراق من هذا المبلغ على استيراد الغذاء والدواء وتوزيعهما في العراق.

ولابد من تنبيه القاريء إلى ان المبالغ الواردة بالدينار العراقي في التقرير تقوم على أساس السعر الرسمي لصرف الدينار بما يساوي ٣,٢٠ دولار اميركي. هذا مع العلم ان سعر صرف الدينار قد تدهور بحيث أمسى الدولار يباع في السوق بحوالي ستة دنائير.

وفيما يلي ترجمة للنص الانكليزي لتقرير (أو مذكرة) الحكومة العراقية من مجلة MEES في عدد مايس.

هناك التزامات مالية كبيرة تواجه الاقتصاد العراقي بالإضافة إلى متطلبات أساسية ضخمة، وتشمل خدمة الديون الخارجية، وتلافي العجز في توفير الغذاء، وتلبية الطلب المحلي على السلع والخدمات الأجنبية لأغراض الاستهلاك، وأعمار ما دمرته الحرب، والاستثمارات اللازمة لضمان استقرار وتوازن الاقتصاد الوطني.

نعرض أدناه موجزاً لالتزامات العراق المالية لخدمة ديونه الخارجية، وحاجته الأساسية من العملة الأجنبية، وبرز نواحي القصور البنوي التي يعانيها الاقتصاد العراقي:

أولاً : الالتزامات المالية

بلغت ديون والالتزامات العراق الخارجية ١٣١١٨ مليون دينار عراقي، أي ما يساوي ٤٢٠٩٧ مليون دولار اميركي وذلك في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٠، ما عدا الفوائد المستحقة (كما يظهر في الجدول الملحق بالتقرير فإن الفوائد على أصل الديون وعلى العجز المتراكم في اقساطها غير المسددة قد قدرت بنسبة ٨٪ سنوياً - المحرر).

وفيما يلي جدول لمبالغ هذه الديون والالتزامات حسب سنوات استحقاقها:

مليون دولار

المبالغ المستحقة وغير المدفوعة حتى نهاية ١٩٩١	٢٣٤٦٨
١٩٩٢	٤٩٢٢
١٩٩٣	٤٨٤٤
١٩٩٤	٤٦١٢
١٩٩٥	٢٩٥٠
المبالغ المستحقة بعد ١٩٩٥	١٣٢١

٤٢٠٩٧

المجموع

ان مشكلة الديون الخارجية للاقتصاد العراقي لا تكمن في حجمها فقط (فهي تشكل ٦٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي) بل تمتد إلى صعوبات خدمة الديون، وذلك لأن ٩٧٪ من هذه الديون يستحق اوان تسديدها خلال السنوات الخمس القادمة.

ثانياً : الاحتياجات الأساسية

تشمل هذه الفقرة برامج الاستيراد، وإعادة بناء مخزونات الاغذية والسلع الأساسية، وتكاليف ترميم جزء مما دمرته الحرب في القطاع المدني ومواصلة تنفيذ مشاريع التنمية الجاري اقامتها.

ويظهر من الجدول الملحق ان هذه الالتزامات اللازمة للاغراض المذكورة تبلغ ٤٣٤٠٠ مليون دينار (على أساس السعر الرسمي للدينار - المترجم) وهذا يعني ان المعدل السنوي للالتزامات هو ٨٧٠٠ مليون دينار خلال سنوات ١٩٩١ - ١٩٩٥، في حين بلغت التقديرات لسنة ١٩٩١ وحدها ٧٠٠٠ مليون دينار. وهذه المبالغ تمثل الحد الأدنى الذي يحتاجه العراق لإعادة الحياة إلى حالتها الطبيعية. وادناه ملخص للفقرات الرئيسية من الاحتياجات الأساسية:

١ - برنامج الاستيراد:

يقدر مجموع التخصيصات لبرامج الاستيراد خلال السنوات الخمس القادمة بحوالي ١٥١٠٠ مليون دينار. منها ٢٤٠٠ مليون دينار لسنة ١٩٩١ وحدها. وقد جرى تقدير حاجة العراق من الاستيراد على أساس برنامج الاستيراد لسنة ١٩٨٩، الذي كان يتميز بالاعتدال والتركيز على السلع الأساسية. وفيما يلي المجاميع الرئيسية لبرامج الاستيراد خلال السنوات القليلة القادمة.

أ - السلع الأساسية (الغذاء والدواء)

تُخصّص مبلغ ٤٥٣٢ مليون دينار لسلع الغذاء والدواء في برامج الاستيراد للسنوات الخمس القادمة، مقابل تخصيص ٧١٣ مليون دينار في برنامج ١٩٩١ لاستيراد الاغذية والدوية الأساسية.

ب - سلع استهلاكية أخرى ومواد أولية

تُخصّص مبلغ ٧٣٥٧ مليون دينار لهذه المجموعة من السلع بمعدل سنوي مقداره ١٤٧١ مليون دينار، وهو يمثل ٤٩٪ من تخصيصات برامج الاستيراد، أما تخصيصات سنة ١٩٩١ لاستيراد هذه الاصناف من السلع والمواد فبلغت ١١٥٨ مليون دينار.

ج - السلع الانتاجية

تُخصّص مبلغ ٣٢١٨ مليون دينار لاستيراد هذا الصنف بمعدل سنوي مقدار ٦٤٣ مليون

دينار، أي ٧١٪ من مجموع نصيب الفرد من الناتج المحلي. أما تخصيصات برنامج الاستيراد لسنة ١٩٩١ لهذه السلع فيبلغت ٥٧٠ مليون دينار.

٢ - إعادة بناء مخزونات الغذاء والسلع الأساسية :

نتيجة للحملات الاقتصادية استنفدت الحكومة مخزونها الاستراتيجي من الأغذية والمواد الأولية والوسيطة. كان العراق يعني ما يعادل ٢٠٪ من استيراداته كمخزون استراتيجي للطوارئ. ولإعادة بناء هذا المخزون، تدعو الحاجة إلى تخصيص ٧٣٥ مليون دينار للفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥. ومن المتوقع تخصيص ٢٨٣ مليون دينار خلال ١٩٩١. (لهذا الغرض) أي ١٥٪ من مجموع استيرادات ١٩٩١.

٣ - ترميم دأدمته الحرب :

دمرت الحرب بنية ارتكازية ومنشآت ضرورية للحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، مما خلق حالة خطيرة من الضعف والعواقب في الاقتصاد. ويتوقع ان تستمر هذه الحالة لوقت طويل ما لم يُعجل ترميم واعمار دمار الحرب في القطاع المدني. وسوف ينصب اهتمامنا على تكاليف إعمار تلك المصانع المدمرة التي لها أهمية خاصة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بعد الدمار المادي للحرب، بصورة مباشرة وغير مباشرة.

ان تكاليف إعمار هذه المصانع تقدر بحوالي ٨٠٠٠ مليون دينار، ٨٠٪ من هذا المبلغ بالعملة الأجنبية أي ما يعادل ٦٤٠٠ مليون دينار (بالسعر الرسمي للدينار طبعاً - المترجم). أما سنة ١٩٩١ فيتوقع تخصيص ٦٠٠ مليون دينار لهذا الغرض. ولا تشمل هذه التكاليف (المقصود الخسائر - المترجم) الأضرار غير المباشرة كتوقف الإنتاج، ومختلف أشكال الدمار الاجتماعي والبشري، والدمار العسكري، ودمار منشآت الطاقة النووية والصناعات العسكرية، ودمار منشآت القطاع الخاص، والأضرار الذي لحق بالمنشآت الواقعة في المناطق العراقية حيث توجد قوات عسكرية أجنبية.

٤ - التزامات ضمن خطة التنمية :

كانت تخصيصات الاستثمار للفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥ حوالي ٢٨٧٠٠ مليون دينار،

وهي تمثل الحد الأدنى الضروري لتحقيق معدل واطيء جداً للنمو في الناتج المحلي الاجمالي غير النفطي، وهذا المعدل لا يتجاوز ٣,٤٪ سنوياً. وهو معدل ضئيل عندما يؤخذ بنظر الاعتبار نمو السكان بمعدل ٢,٨٪ سنوياً. ان ٦٠٪ من هذه التخصيصات هي بالعملة الاجنبية، بمعدل سنوي يعادل ٣٤٤٧ مليون دينار خلال الفترة المعنية. وتتوزع متطلبات العملة الاجنبية لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالنسب التالي: السنة الاولى: ١٩٪، السنة الثانية ١٨٪، السنة الثالثة: ٢٠٪، السنة الرابعة ٢٤٪، السنة الخامسة ١٩٪.

ثالثاً: العوائد المتوقعة

يتوقع العراق الحصول على ما يقدر بحوالي ٢٠٠٠٠ مليون دينار من عوائد النفط خلال الفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥، منها ٥٣٩ مليون دينار متوقعة خلال ما تبقى من سنة ١٩٩١ على افتراض تصدير ٦٠٠ الف برميل من النفط الخام يومياً بسعر ١٦ دولار للبرميل، وذلك بسبب الدمار الكبير الذي لحق بمنشآت استخراج وتصدير النفط. وقلدت صادرات النفط بحوالي مليوني برميل يومياً لسنة ١٩٩٢، و٢,٨٥ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٣، و٢,٩ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٤، و٢,٩٥ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٥.

الفجوة بين الاحتياجات والايادات من العملة الاجنبية:

في ضوء المعطيات الواردة في الفقرتين اعلاه (أولاً وثانياً) تبلغ احتياجات العراق من العملة الاجنبية ما يعادل ٦٦٨٠٠ مليون دينار لكي يستطيع خدمة الديون الخارجية (أي تسديد الاقساط والفوائد المستحقة) وتدبير الحد الأدنى مما هو ضروري للاستهلاك المدني وللاستثمار، بالاضافة إلى ترميم واعمار تلك المنشآت الحيوية ذات الأهمية الخاصة للحياة الاقتصادية والاجتماعية التي دمرتها الحرب. ومن هذا المجموع سيخصص ما يعادل ٢٣٤٠٠ مليون دينار لتسديد الاقساط والفوائد المستحقة على الديون الاجنبية، وما يعادل ٤٣٤٠٠ دينار لاحتياجات الاقتصاد الوطني. وفي الوقت نفسه، فإن مجموع إيرادات العراق للفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥ لا يتوقع ان تزيد على ما يعادل ٢٠٣٠٠ مليون دينار ونسبة عوائد النفط منها ستكون ٩٨,٩٪ كما يبينه الجدول الملحق. وهكذا فإن الفجوة بين الاحتياجات والعوائد المتوقعة من العملة الاجنبية سيبلغ مجموعها المتراكم

ما يعادل حوالي ٤٦٥٠٠ مليون دينار خلال الفترة المذكورة، أي ان معدل العجز السنوي سيبلغ ما يعادل ٩٣٠٠ مليون دينار. وينبغي ألا يغيب عن الالذهان ان العجز لسنة ١٩٩١ يتوقع أن يبلغ ١٤٩٠٠ مليون دينار. وضخامة العجز في هذه السنة ناجمة عن الحجم الهائل لاقساط الديون المستحقة في السنة نفسها اضافة إلى اقساط السنوات القادمة التي لم يحصل أي اتفاق بشأن اعادة جدولتها.

ان الشحة المتوقعة في عوائد التصدير للسنوات الخمس القادمة ستجعل الاقتصاد العراقي في وضع لا يُحسد عليه، وذلك لأن هذه العوائد لا تلي الحد الأدنى من التزامات العراق المالية أو احتياجاته من الغذاء والدواء. ويمكن التوصل إلى هذا الاستنتاج من واقع انه سيحتاج إلى ما يعادل ٢٠٤٠٠ مليون دينار من العملة الاجنبية لخدمة الديون الخارجية (الاقساط والفوائد) المستحقة والتي ستستحق خلال السنوات الخمس القادمة، بينما سيكون مجموع عوائده لفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥ ما يعادل ٢٠٣٠٠ مليون دينار، كما يتبين من الارقام ادناه:

١٩٩١ - ١٩٩٥	المبلغ بملايين الدنانير
الاقساط المستحقة	١٢٧٠٦
الفوائد (بنسبة ٨٪ على الديون الخارجية)	٢١٧٢
استيراد الغذاء والدواء (فوب)	٤٥٢٣
إعادة بناء مخزون الغذاء والدواء (لما يكفي استهلاك ٣ اشهر فقط)	٢٨١
اجور الشحن والنقل (١٥٪ من ثمن الغذاء والدواء المستوردتين وحدهما)	٧٢٢
المجموع	٢٠٤١٣
عوائد التصدير	٢٠٣٠٣
العجز	١١٠

خامساً: مشاكل أساسية أخرى تواجه الاقتصاد العراقي

يتبين من المؤشرات الاقتصادية الأساسية ان هناك الكثير من الاختلال والمشاكل

التي تشوّه تخصيص الموارد، وتعيق عودة النشاط الاقتصادي إلى مستوياته المعتادة بالسرعة المطلوبة. وأهمها هي التالية :

١ - المعجز المتراكم في ميزانية الدولة :

يبلغ المعجز في الميزانية العامة للدولة ٤٢٠٠٠ مليون دينار، وقد مَوَّل القطاع المصرفي ٣٥٠٠٠ مليون دينار (بمعدل سنوي مقداره ١٦,٦٪) بما يمثل ٢١٦٪ من الناتج المحلي الاجمالي في الوقت الحاضر.

٢ - التضخم :

ان ارتفاع الاسعار خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠، حسبما يعبر عنه الرقم القياسي لاسعار المستهلك، قد بلغ ١٢٦٪، بمعدل سنوي للتضخم بلغ ١٧,٧٪. وقد يرتفع معدل التضخم إلى ٢٣,٢٪، وهو ما يعكس التضخم المضمهر حسب مؤشرات السيولة أو العلاقة من كمية النقد المتداول والناتج المحلي الاجمالي (لتكوين فكرة اقرب إلى الواقع عن التضخم انظر حركة اسعار المواد المعيشية في الجدول الذي الحقناه بالتقرير، ومصدره منظمة اليونسيف - المترجم).

٣ - هبوط النشاط الاقتصادي :

ان معظم القطاعات المساهمة في تكوين الناتج المحلي الاجمالي قد عانت من الانخفاض أو الهبوط في قيمتها المضافة محسوبة بالاسعار الثابتة. فهبطت معدلات نموها الحقيقي إلى ناقص ٠,٣٪ خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠. وأدى ذلك إلى هبوط الدخل الحقيقي للفرد بنسبة ٢,٨٪ سنوياً. وكان لهذا الهبوط عواقب سلبية على النشاط الاقتصادي من حيث الاستثمار والمستوى الفعلي للاستهلاك.

٤ - المعجز في ميزان المدفوعات :

خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٩٠ بلغ المعجز في ميزان المدفوعات ما يعادل حوالي ٢٦٠٠ مليون دينار، وجرت تغطيته بالقروض الاجنبية. وقدر المعجز في الحساب الجاري

بحوالي ٨٨٠٠ مليون دينار.

٥ - الديون الخارجية :

تراكمت المديونية الخارجية والالتزامات الخارجية فبلغت عند نهاية سنة ١٩٩٠ ما يعادل حوالي ٤٢١٠٠ دينار، باستثناء الفوائد المستحقة والمنح التي قدمتها دول الخليج العربية.

سادساً: مقترحات الحكومة العراقية

استناداً إلى الحقائق المشار إليها في هذه المذكرة، وكما بينا أعلاه، يبرز العجز المالي الهائل والفجوة الضخمة بين التزامات العراق واحتياجاته المالية، من جهة، وإيراداته المحدودة وصداقاته المتوقعة لسنة ١٩٩١ خاصة، ولل سنوات التي تعقبها، من الجهة الثانية. وفي ضوء النتائج التي توصل إليها السيد احتساري مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى العراق الذي قال في تقريره: «لقد أدت الحرب الأخيرة إلى عواقب أشبه بالخيال في البنية الاقتصادية التحتية (...)» حيث بات الآن معظم وسائل الحياة العصرية خراباً أو مصابة بالهزال، فلقد تراجع العراق وسيبقى لبعض الوقت عند مستوى ما قبل عصر الصناعة...» (نشر النص الكامل لتقرير مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة في (طريق الشعب) عدد ١٥ أواخر أيار الماضي - المترجم).

[استناداً إلى كل ذلك] فإن موارد العراق المالية في الوقت الحاضر، وتلك التي يتوقعها لسنة ١٩٩١ ولل سنوات اللاحقة، لا تجعله قادراً، لوحده، على إعادة حياته الاقتصادية والاجتماعية إلى ما كانت عليه قبل أحداث ١٧ كانون الثاني ١٩٩١.

فينبغي بذل جهود دولية مكثفة لمساعدة العراق في تعجيل العودة إلى وضع طبيعي. ولذلك، فإن العراق ليس في وضع يسمح له بتحمل أي اقتطاع من عوائد تصدير النفط لسنة ١٩٩١ ولل سنوات القادمة، فستكون العائدات هزيلة ولا تكفي إلا لتمويل جزء صغير للغاية من التزاماته واحتياجاته الأساسية المالية، التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وفقاً لما جاء بوضوح في الفقرة ١٩ من القرار ٦٨٧ (١٩٩١) الذي اتخذ مجلس الأمن.

لذلك فإن حكومة العراق تلتزم منحتها مهلة لا تقل عن خمس سنوات لتنفيذ الفقرتين ١٨ و ١٩ من قرار مجلس الأمن المذكور آنفاً، وذلك لتمكينها من تكييف الاقتصاد حتى يتاح له الوفاء بالتزاماته المالية الدولية وباحتياجاته الأساسية.

التزامات العراق المالية واحتياجاته الأساسية من العملة الاجنبية بملايين الدنانير

١٩٩١ ١٩٩٢ ١٩٩٣ ١٩٩٤ ١٩٩٥ ١٩٩٦ ١٩٩٧

أولاً: خدمة الديون الخارجية	٨٣٦٣	٣١٨٦	٣٦٣٣	٤٠٥٦	٤١٥٠	٢٣٣٨٨
١- الاقساط المستحقة	٧٣١٣	١٥٣٤	١٥٠٣	١٤٣٧	٩١٩	١٢٧٠٦
ب- القوائد المستحقة	١٠٥٠	١٦٥٢	٢١٣٠	٢٦١٩	٣٢٣١	١٠٦٨٢
ثانياً: الاحتياجات الاقتصادية	٧٠٤٦	٧٩٨٦	٩٢٣٠	١٠٣٨٩	٨٧٦٦	٤٣٤١٧
١- برنامج الاستيراد	٢٣٧٨	٢٦٦٣	٢٩٨٣	٣٣٤١	٣٧٤٢	١٥١٠٧
أ- الغذاء	٧١٣	٧٩٩	٨٩٥	١٠٠٢	١١٢٣	٤٥٣٢
ب- مواد استهلاكية أخرى ومواد أولية	١١٥٨	١٢٩٧	١٤٥٣	١٦٢٧	١٨٢٢	٧٣٥٧
ج- سلع انتاجية للمقاطع الخاص	٥٠٧	٥٦٧	٦٣٥	٧١٢	٧٩٧	٣٢١٨
٢- اعادة بناء الاحتياطي	٢٨٣	٢٤٠	٦٣	٧٠	٧٩	٧٣٥
٣- اعمار ما دمرته الحرب	٦٤٠	١٢٨٠	١٩٢١	١٩٢١	٦٤٠	٦٤٠٢
٤- تخصيصات برامج التنمية	٣٢٧٥	٣١٠٣	٣٤٤٨	٤١٣٧	٣٢٧٥	١٧٢٣٨
٥- صافي الخدمات الاجنبية	٤٧٠	٧٠٠	٨١٥	٩٢٠	١٠٣٠	٣٩٣٥
مجموع اولاً + ثانياً	١٥٤٠٩	١١١٧٢	١٢٨٦٣	١٤٤٤٥	١٢٩١٦	٦٦٨٠٥
المعجز	١٤٨٥٠	٧٥٠٢	٧٦١٦	٩٠٨٧	٧٤٤٧	٤٦٥٠٢
الموارد						
عوائد تصدير النفط	٥٣٩	٣٦٤٠	٥١٨٧	٥٢٧٨	٥٣٦٩	٢٠٠١٣
صادرات أخرى	٢٠	٣٠	٦٠	٨٠	١٠٠	٢٩٠
مجموع الموارد	٥٥٩	٣٦٧٠	٥٢٤٧	٥٣٥٨	٥٤٦٩	٢٠٣٠٣

تطور أسعار المواد المصنعية
(بالدينار)

٧/١٨	٧/١١	٧/٧	١/٣٧	١/١٥	٨/٢٩٠/٨/٢	٩١/١/١٥	٥/٣٣
٧٥,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	١٨,٠٠٠	٥٥,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	٣,٤٥٠	حليب بندق ٢,٥ كيلر
٧٠,٠٠٠	غير متوفر	١٣,٠٠٠	١٨,٠٠٠	٤٥,٠٠٠	١٨,٠٠٠	٥,٠٠٠	حليب ناز ٢,٥ كيلر
٣,٠٠٠	٣,٠٠٠	٢,٧٥٠	٢,٥٠٠	٨,٠٠٠	٤,٠٠٠	٠,١٢٠	طحين: كيلر
٦,٠٠٠	٤,٥٠٠	٤,٥٠٠	٤,٠٠٠	٧,٠٠٠	٣,٠٠٠	٠,٢٠٠	رز: كيلر
١٦,٠٠٠	١٣,٠٠٠	١٤,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٧,٥٠٠	٦,٠٠٠	٠,٦٠٠	دجاج: كيلر
٧,٠٠٠	٤,٥٠٠	٣,٧٥٠	٤,٠٠٠	٥,٠٠٠	٢,٥٠٠	٠,٢٠٠	سكر: كيلر
٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٥,٠٠٠	٢,٥٠٠	٠,٤٠٠	عسل: كيلر
٣٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٢٨,٠٠٠	١٤,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١,٩٠٠	شاي: كيلر
١٤,٠٠٠	١٦,٠٠٠	١٩,٠٠٠-١٥,٠٠٠	١١,٠٠٠	١٣,٠٠٠	٤,٢٥٠	٣,٦٠٠	بيض: ٣٠
-	-	٠,٣٠٠-٠,٢٦٠	غير متوفر	٠,٦٠٠	٠,٢٥٠	٠,٠٧٠	صبار: قلاب
-	-	١,٥٠٠	غير متوفر	٣,٥٠٠	-	٠,٢٧٥	مسحوق فسيل: حلية
١٧,٠٠٠	١٥,٠٠٠-١٧,٠٠٠-١٦,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١٤,٠٠٠	١٣,٠٠٠	٩,٠٠٠	٦,٠٠٠	لحم طاج: كيلر
٥,٠٠٠	-	-	٤,٠٠٠-٠,٧٥٠	٧٥,٠٠٠	٧,٠٠٠	٠,٧٦٠	غاز: اسطوانة
٠,٠٩٠	٠,٠٤٠	٠,٠٤٠	٠,٠٤٠	٨,٠٠٠	٠,٠٩٠	٠,٠٩٠	بنزين: لتر

كرومين	١,٠٣٦	١,٠٣٥	١,١٤٠	غير متوفر	١,٠٣٠	١,٠٣٠	١,٠٥٠
حصص: كيلو	-	-	-	٥,٠٠٠	٩,٠٠٠	غير مستر	٩,٠٠٠
سمك: كيلو	-	-	-	-	١٢,٠٠١	١٢,٠٠٠-١٠,١٠٠	١٥,٠٠٠
خيز: ريفيف	-	-	-	-	١,٢٥٠	١,٢٥٠	١,٢٥٠
ناكية: كيلو	-	-	-	-	١٠,٠٠٠-٤,٠٠٠	١٠,٠٠٠-٢,٠٠٠	١٠,٠٠٠-٤,٠٠٠
خضار: كيلو	-	-	-	-	٩,٠٠٠-٢,٠٠٠	٤,٥٠٠-١,٥٠٠	٥,٠٠٠-٢,٠٠٠

ملاحظة: تتأيدب الاسعار من مدينة الى اخرى، من حانوت الى آخر في نفس المدينة،
ومن يوم الى آخر.

المصدر: تقرير منظمة اليونسيف التابعة للأمم المتحدة، الموزع في ١٨ تموز ١٩٩١،
ص ٩.



الديمقراطية كضرورة*

محمود صبري

خص الفنان التشكيلي المعروف محمود صبري مجلتنا بكلمته القيمة، هذه، التي ألقاها في مؤتمر المعارضة العراقية في بيروت. ولأسباب خارجة عن إرادتنا - وهي فنية محض - تأخر نشر هذه الكلمة التي لم نزل تحتفظ بأهميتها وحرارتها. وبهذه المناسبة نقدم اعتذارنا للفنان محمود صبري... ولقراء الثقافة الجديدة.

«ث. ج»

ابتها الاخوات، ايها الاخوان، الكلمة التي القيها بسيطة، انها تحدد نفسها بجانب واحد فقط من مجموعة المهام التي تتصدى لها قوى المعارضة العراقية في مؤتمرها التاريخي الحالي، هذا الجانب هو الديمقراطية.

سأتكلم عنها بالشكل التالي:

هناك اجماع في الرأي يجسدها واقع هذا المؤتمر الذي يمثل أوسع تجمع، منذ سنين طويلة، لقوى المعارضة العراقية بمختلف تياراتها، بأن العراق يقف على عتبة تحول

* العنوان من وضع «ث. ج».

تاريخي أساسي يمكن ان ينقله إلى مرحلة جديدة تعد بتحقيق اهداف شعبنا ومطامحه في حياة حرة كريمة، خالية من الاستبداد والارهاب ويسودها حكم القانون.

اننا أمام حالة استثنائية فريدة. فشعبنا الذي عانى من نكبة مزدوجة تتمثل في أقسى حرب مدمرة عرفها التاريخ الحديث، وأشد أشكال الاستبداد بربرية - شعبنا يتنفض الآن في مختلف انحاء العراق ضد ارهاب وبربرية الحكم الاستبدادية القائم. وهذه الانتفاضة الباسلة أصبحت مثار اعجاب العالم أجمع.

لهذا فان المؤتمر الذي يتعقد في هذا الظرف الاستثنائي بالذات يتحمل مسؤولية خاصة استثنائية للقرارات التي يتخذها.

ببساطة: ان المصلحة الأساسية للمؤتمر هي المصلحة الأساسية للشعب العراقي. وان نجاح وحدة قوى المعارضة هو نجاح الانتفاضة واهدافها، وهي الاطاحة بالحكم الاستبدادي. غير ان هذه هي الخطوة الأولى فقط.

شعبنا في انتفاضته يتطلع إلى ما يعقبها من خطوات. ان يطمح إلى تحقيق حلمه في التحرر من كل تلك القيود المنافية للمبادئ الانسانية التي فرضتها عليه الدكتاتورية لسنين طويلة.

لذا فان أمام المؤتمر مسؤولية بلورة ذلك الاطار العام من القيم والقواعد والمؤسسات التي يمكن ان تحقق استقرار وتوطيد حكم القانون كاساس لحياة ديمقراطية تضمن الحرية والكرامة للمواطنين العراقيين.

البيان الصادر عن المعارضة العراقية هو مؤشر هام في هذا الاتجاه. غير انني أرى - إلى جانب ذلك - وضع تأكيد خاص على الديمقراطية كنهج وقواعد وممارسة، لتصبح الاطار المعترف به للحياة السياسية في عراق المستقبل.

ان غياب الديمقراطية من ميدان الممارسة السياسية في العراق الحديث، وخاصة في العقود الأخيرة، جعل بالضرورة معظم ان لم يكن كافة الاحزاب والقوى السياسية (تحمّل) في تكوينها وأساليبها ووسائل عملها واهدافها المعلنة والخفية، (تحمّل) استعدداً أو ميلاً ضمناً لاستخدام العنف والسلاح والاسلوب الانقلابي للوصول إلى اهدافها.

وقد أدى ذلك إلى ان هذه القوى أعطت لنفسها الحق (في الماضي) - وهو حق غير مشروع أصلاً - بتسييس القوات المسلحة، وإشراكها في العملية السياسية إلى هذا الحد أو ذاك. وبالتالي فانها قامت بإبعادها وحرفها عن وظيفتها الاجتماعية الحقيقية، وهي الدفاع عن الوطن والقيام بدورها القومي ضد المخططات الامبريالية.

باختصار:

هناك وضع مشوّه تميّز به الحياة السياسية في العراق، سمح بتعاقب أشكال

استبدادية من الحكم لفترة طويلة .

نجد أقلّيات صغيرة تقفز إلى السلطة بمساندة القوات المسلحة وتفرض سيطرتها دون الرجوع إلى الشعب وأخذ رأيه في طبيعة الحكم الذي يرتأيه لنفسه .

هذا الوضع المشوّع وصل ذروته في المأساة التي يعيشها شعبنا اليوم .

ان مصلحة الشعب، ومصلحة القوى السياسية ذاتها (أيضاً) - تقتضي ازالة هذا التشويه في الحياة السياسية .

لهذا فأنني اقترح ان ينظر المؤتمر في اقرار ميثاق وطني لتأسيس الديمقراطية كإطار للحياة السياسية في العراق .

في هذا الميثاق تقرّر وتعلن مختلف القوى والأحزاب السياسية أمام شعبنا عهداً بالامتناع عن استخدام العنف كوسيلة للوصول إلى الحكم، والالتزام بقرار أغلبية الشعب في عملية الانتخاب، والاعتراف بأن الشعب هو المصدر النهائي لكل السلطة . فالديمقراطية هي ببساطة حق الشعب في ان يحكم نفسه بنفسه عبر اختيار ممثليه، وبالتالي اختيار شكل الحكم الذي يريده بين حين وآخر خلال صناديق الاقتراع وفي إطار دولة القانون .

ان اقامة الديمقراطية وتوطيدها يعني ضمناً بالضرورة اقرار تلك القيم الحضارية التي ساهم شعب العراق في تأسيسها تاريخياً منذ بدء الحضارة البشرية، والتي أصبحت جزء من التراث الانساني . ونعني بها حقوق الانسان - مجموع تلك الحقوق التي تضمن له حرية التفكير والتعبير والعقيدة والانتماء الاجتماعي والسياسي والثقافي والنقابي، وحرية الاحتجاج والتظاهر والاضراب، وغيرها من الحريات التي تؤلف أساس المجتمع المدني الحضاري .

الكلام عن اقامة الديمقراطية - الآن - يعني اعادة هذه القيم الانسانية التي سلبت من الشعب، اليه، وبالتالي اتخاذ خطوة هامة نحو بناء مجتمع عراقي جديد حقاً يمكن فيه لكافة المواطنين، خلال ممارساتهم الحياتية الحرّة اغناء انفسهم ومجتمعهم والحضارة الانسانية معاً .

وخلافاً لذلك، فان القوى السياسية المختلفة ستعرض نفسها والوطن إلى دوامة من العنف والعنف المضاد التي قد تؤدي إلى تشويه الحياة والدمار الشامل، وعودة الاستبداد والتسلط إلى عراقنا الحبيب .



السكن الاقتصادي

د. أدريس المهدي

مشكلات السكن معقدة في العالم الثالث عامة، والعالم العربي خاصة، والعامل الاقتصادي هو الأكثر أهمية في تعقيد هذه المشكلة. ولحلها نحتاج إلى توفير سكن اقتصادي في متناول المواطن العادي تسهم فيه قطاعات الدولة والتعاونيات والخاص..

العوامل المؤثرة في مشكلات السكن :

١ - الانفجار السكاني: يزداد عدد السكان في البلدان العربية بوتائر تفوق معدلات زيادة الدخل القومي، باستثناء بعض البلدان العربية البترولية، مما يتطلب زيادة في معدلات تشييد المساكن وبالعكس تتعمق مشكلة السكن، على سبيل المثال معدل نمو السكان في الجزائر هو ٣,٨٪ سنوياً. كان تعداد السكان قبل التحرير (١٩٦٢) لا يزيد عن ٧ ملايين مواطن وارتفع إلى ٢٤ مليون في منتصف الثمانينات.

٢ - الهجرة من الريف للمدينة: تزداد وتائر الهجرة من الريف إلى المدينة طلباً لتحسين ظروف المعيشة والحصول على عمل ذي مردود ثابت بالمقارنة مع موسمية العمل الريفي بالإضافة إلى تحسين مستوى تعليم الاطفال والتمتع برعاية صحية واجتماعية وثقافية أفضل في المدينة مما هي عليه في الريف. هذا بالإضافة إلى الحروب الاهلية (في كردستان العراق وفي جنوب السودان ومشكلة الصحراء الغربية).

٣ - ارتفاع اثمان قطع الاراضي في البلدان وخاصة مراكز العواصم ومدن المحافظات يؤدي إلى ارتفاع كلفة البناء وكلفة الوحدة السكنية التي تفوق امكانية المواطن العادي.

٤ - ارتفاع اثمان المواد الاولية لشحة المعروض منها وارتفاع كلفة عملية البناء التقليدية.

- ٥ - ضعف مساهمة قطاع الدولة في عمليات التشييد، يمكن القول ان عمليات البناء والعمران لا تحتل المقام المناسب لها في أولويات دول منطقتنا العربية، ويبيع قطاع الدولة (مثلاً الشركة العامة للمقاولات في العراق) للقطاع الخاص.
- ٦ - عدم مواكبة التطور الحاصل في مكنة عمليات التشييد والبناء وتصنيع انتاج الاجزاء الجاهزة للبناء الجاهز.
- الاجراءات المقترحة العامة:

- ١ - يجب الاهتمام بالتخطيط العائلي بحيث يكون معدلات النمو السكاني متمشية مع معدلات النمو الاقتصادي ودامغة له.
- ٢ - الاهتمام بالريف من قبل جميع اجهزة الدولة. ويشمل ذلك زيادة معدلات تشييد الدور الريفية وتوزيعها على الفلاحين، تجميع البيوت الريفية المتناثرة في مركبات ريفية صغيرة تساعد بدورها على توفير الخدمات الضرورية للعيش الكريم (ماء صالح للشرب، كهرباء، مجار، طرق معبدة، مواصلات، خدمات صحية، مكتبة، مركز ثقافي) مما يساعد على استقرار الشباب في الريف وعدم هجرتهم للمدينة.
- وقبل هذا، ينبغي الاهتمام باستصلاح الاراضي، توفير المياه، توفير الآلات الزراعية والاسمدة يساعد على اهتمام الفلاح بالبقاء في الريف والاهتمام بالأرض. . مما يقلل الاعتماد على استيراد المواد الغذائية ويوفر عملة صعبة للعملية الاقتصادية ويحد من الهجرة.
- ٣ - لتخفيف الضغط على المدن الرئيسية (القاهرة ١٠ ملايين، أي ٢٠٪ سكان مصر، بغداد ٤ ملايين - ٢٥٪ من سكان العراق) هناك حاجة لتوفير مخطط عمراني يشمل كل قطر وبناء مدن تابعة (مدن منام) تحيط بالمدن الرئيسية ومرتبطة معها بمواصلات عامة جيدة تنقل القوى العاملة التي تعمل في المدينة الرئيسية، وتنام في المدن التابعة، مما يحد من الهجرة للمدن الرئيسية ويحد من الاغتراب الحاصل في المدن الرئيسية ويحافظ على العلاقات الاجتماعية التي هي صفة مميزة لعالمنا العربي. وكذلك الاهتمام بالمدن الصحراوية (الداخلية) في بلدان الشمال الافريقي العربي للحد من الهجرة للشريط الساحلي.

- ٤ - حماية الاراضي الزراعية المحيطة بالمدن الحالية، لحماية القطاع الزراعي أولاً وللحد من التوسع العشوائي للمدن الحالية. ان التوسع العشوائي يخلق مشاكل في المواصلات وفي البيئة وفي توفير الخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية. ولمعالجة ذلك

يجب الاتجاه نحو البناء العمودي مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية عالمنا الثقافية والحضارية والدينية .

٥ - ان الدولة في البلدان العربية لا زالت مساهماً رئيسياً في تنظيم وإدارة الحياة الاقتصادية وسوف تستمر لفترة غير قصيرة كذلك . لهذا يجب بناء :

أ - شبكة من معامل السمنت وتوسيع الموجود منها .

ب - شبكة من معامل الطوب الطين الاسمتي والرملي .

ج - تطوير التعاون بين البلدان العربية في مجال انتاج مقاطع الحديد الانشائي وحديد التسليح ، والاستفادة من الطاقة الانتاجية المتوفرة حالياً .

وكذلك معامل الالمنيوم والخشب والزجاج والمواد الانشائية الأخرى . (ينبغي ان نشجع مساهمة القطاعين التعاوني والخاص في هذه المجالات) .

د - بناء معامل للابنية الجاهزة . . والمساهمة في نقل تكنولوجيا لتصنيع عمليات انتاج الابنية الجاهزة .

الاجراءات الخاصة بالسكن الاقتصادي :

١ - تطوير التعاون بين البلدان العربية في مجال حل مشاكل السكن وتوفير السكن الاقتصادي .

٢ - بناء شبكة من معامل انتاج المواد الاولى لتغطية حاجة منطقتنا العربية عامة والسوق الداخلي لكل قطر .

٣ - بناء شبكة من معامل الابنية الجاهزة (تجربة الجزائر حرية بالدراسة في هذا المجال) . بالاتجاهات التالية التي توفر زيادة في انتاج الابنية الجاهزة ، نقل الجزء الأكبر من العملية الانتاجية إلى ظروف معملية ، حصر العمل في ساحة البناء بتركيب الاجزاء المصنّعة ، بالإضافة إلى تباين في نوعية وشكل ومظهر الابنية مما يولد تباين معماري يميز الاحياء والمدن عن بعضها البعض :

أ - تسريع عملية الانتاج عبر استعمال أنواع مختلفة من القوالب الجاهزة لبناء الجدران أو لبقاء الجدران والسقوف سوية على شكل نفق .

ب - انشاء معامل تنتج الواحاً جاهزة للجدران والسقوف والاجزاء الاخرى كالسلالم والمداخل . . الخ . (على سبيل المثال نظام ياسكال الفرنسي) .

ج - انشاء معامل لاجزاء السكن بابعادها الثلاثة كالغرف والمطبخ والحمام ، وتصنف على بعضها البعض كقطع ألعاب الاطفال (على سبيل المثال . . نظام سويسري شائع الاستعمال في الجزائر) .

د - الابنية الجاهزة ذات الهياكل الحديدية والجدران العازلة الخفيفة الوزن . . . لهذا النوع ايجابياته : سرعة التشييد ، وسليباته (سرعة الالتهاب وكلفة الحديد أعلى من كلفة الخرسانة المسلّحة).

الخلاصة :

لمجابهة مشكلة السكن وتوفير سكن اقتصادي هناك حاجة ملحة لاتخاذ الاجراءات التي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين : عامة وخاصة .

١ - العامة :

- أ - مجابهة المشكلة في إطار التعاون العربي ضمن إطار الجامعة العربية .
- ب - تنسيق وتعاون ضمن التجمعات العربية .
- ج - تشييد شبكة من المعامل والمصانع المنتجة للمواد الاولية للبناء .
- د - تصنيع عملية انتاج اجزاء البناء - معامل الابنية الجاهزة .
- هـ - الحد من الهجرة من الريف إلى المدينة وبسياسة اقتصادية تولي اهتماماً خاصاً بالريف .

و - التوجه نحو البناء العمودي مع مراعاة الخصوصية الاجتماعية للعائلة العربية .
ز - تخفيف الضغط عن المدن بسياسة خاصة ذات أبعاد متعددة بالاهتمام بالريف وتطويره .

ح - بناء شبكة من المدن التابعة لتخفيف الضغط على المدن الكبيرة .

٢ - الاجراءات الخاصة

- أ - تطوير وتوسيع معامل الاسمنت والمواد الاولية الاخرى .
- ب - تطوير وتوسيع معامل الحديد والصلب وزيادة انتاج حديد المقاطع وحديد الفضبان والقوالب الحديدية على سبيل المثال (معامل الحديد والصلب المصرية ، الليبية والجزائرية لتغطية حاجة الشمال الافريقي) .
- ج - تصنيع عملية انتاج الابنية الجاهزة .
- د - ادخال التكنولوجيا الحديثة في عملية انتاج الابنية الجاهزة الخرسانية منها وذات الهياكل الحديدية .

ان هذه الاجراءات مجتمعة تؤدي إلى خفض كلفة الارض والمواد الاولية وعملية التشييد وبهذا توفر السكن الاقتصادي للمواطن في العالم العربي .

(بمناسبة الندوة العلمية في دمشق - نوفمبر ١٩٩١
ينظمها مجمع العلوم السوري مع وزارة التعليم العالي) .



دور اميركا في تسليح صدام

ترجمة سلام

بالك كولهـن

كانت سياسة الولايات المتحدة في الخليج العربي طيلة العقد الأخير أرضاً خصبة لفضائح. في نفس الوقت الذي كان فيه رونالد ريغان يهاجم آية الله روح الله الخميني والثورة الإيرانية، كانت ادارته تزود سرّاً هذا البلد بالأسلحة. ثم واصل جورج بوش هذا التقليد. وقبل فترة وجيزة من ادانة صدام حسين «الاسوء من هتلر» ساعدت ادارته العراق على اقامة بُناه التحتية العسكرية - الصناعية. وبالحقيقة، حتى الأول من آب/ ١٩٩٠، أي قبل يوم من تحرك القوات العراقية داخل الكويت، وافقت ادارة بوش على تصدير التكنولوجيا الاميركية الرفيعة المستوى ذات الاستخدامات الثنائية، المدنية والعسكرية.

لقد اتهم هنري غونزاليز رئيس لجنة الكونغرس للنشاطات المصرفية ادارتي ريغان وبوش بانهما لم تفعل إلا القليل لوقف تصدير التكنولوجيا الاميركية لبناء ماكنة الحرب العراقية، بفعل الميل إلى جانب بغداد في السياسة الاميركية في الخليج قبل الغزو العراقي للكويت.

لقد ورثت ادارة بوش سياستها المؤيدة لبغداد عن ادارة ريغان، وفيها تعتبر العراق مركز الثقل الجيوسياسي الهام لمواجهة ايران. وفي كلتا الحالتين، استهدف العمل لدعم العراق احتواء انتشار الاصولية الاسلامية في الخليج، في أعقاب تصاعد بأس النظام الخميني في طهران. فتحت حكم الشاه، كانت ايران أكبر حلفاء واشنطن على نطاق السياسة الاقليمية في الخليج.

على الرغم من اللعب على الحبلين، تحالفت واشنطن بهدوء مع بغداد في الحرب الدموية العراقية - الايرانية (١٩٨٠ - ٨٨)، والتي فيها قُتل وجرح مليوناً إيراني وعراقي .
 فعام ١٩٨٤ بدأ رئيس وكالة المخابرات المركزية وليم كيسي بتسريب المعلومات الاستخباراتية التي تجمعها الاقمار الصناعية الاميركية إلى العراق لاسناد القصف العراقي في ايران . واعادت ادارة ريغان العلاقات الدبلوماسية مع العراق عام ١٩٨٤ . وفي عام ١٩٨٧ ، رافق الاسطول البحري الاميركي الناقلات الكويتية التي تحمل النفط العراقي في الخليج لحمايتها من الهجمات الايرانية . واستمرت سياسة الدعم هذه حتى بعد القصف العراقي للمدمرة الاميركية ستارك في السابع عشر من ايار عام ١٩٨٧ ، والتي قتل فيها سبعة وثلاثون بحاراً اميركياً .

وكانت ادارة ريغان قد استبعدت، في ١٩٨٢، العراق من قائمة البلدان المتهمة باحتضانها للارهاب الدولي . يقول دينيس كلوسك مساعد وزير التجارة لشؤون التصدير في ادارة بوش : «نتيجة للتغيير في السياسة عام ١٩٨٢، عومل العراق كحال بلدان (العالم الحر) الأخرى وأصبح جديراً بمواد التكنولوجيا الاميركية عالية المستوى وعلى نطاق واسع ، بضمنها اصناف أساسية من اجهزة الكمبيوتر التي لا تمنح عادة إلى الدول التي تتضمنها القائمة المذكورة» .

وقد لخص ستيفن براين ، المساعد السابق لمعاون وزير الدفاع لشؤون التجارة والأمن ، ورئيس ادارة الأمن التكنولوجي ، لخص سياسة ادارة ريغان تجاه العراق خلال الحرب الايرانية - العراقية بالقول : «كانت الولايات المتحدة توافقة لتطوير علاقات حسنة مع العراق ، وكانت التجارة حجر الأساس في تلك السياسة» .

واستمرت ادارة بوش في اعتبار بغداد قوة تخدم الاستقرار الجغرافي - السياسي في الخليج بعد خروج العراق من الحرب في آب عام ١٩٨٨ «متصراً» . وعندما استخدم العراق الغاز السام ضد الانتفاضة الكردية في آب وايلول من عام ١٩٨٨ ، ابطلت هذه الادارة تحرك الكونغرس لفرض اجراءات مقاطعة اقتصادية على العراق .

وواصل الرئيس بوش توكيد ريغان على العلاقات التجارية الجيدة . وفي تشرين اول ١٩٨٩ ، صادق على مرسوم رقم (٢٦) وينص على «ان غاية المرسوم ان تواصل الولايات المتحدة محاولاتها لتشذيب السلوك العراقي وزيادة التأثير الاميركي وعلى وجه خاص ستحظى بالتشجيع الشركات الاميركية للمشاركة في اعادة بناء العراق بعد الحرب» .

وحتى في الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٩٠ ، خلال فترة تحشيد القوات العراقية على الحدود الكويتية ، قالت السفارة الاميركية في العراق ، ابريل غلاسبي ، لصدام «لدي تعليمات مباشرة من الرئيس لتحسين العلاقات مع العراق» . واضافت

غلاسي: «ليس لدينا رأي حول الصراعات العربية - العربية، مثل خلافكم الحدودي مع الكويت».

البوابة الدوارة

هناك تعاون بين ستراتييجي السياسة الخارجية الاميركية ومخططي التجارة، وتتطابق شبكة اهدافهم. كما تلتقي مصالح المجموعتين في فوروم (منبر) الاعمال الاميركية - العراقية. تكون هذا المنبر عام ١٩٨٥ بمبادرة من مارشال وايلي، وتشجيع نزار حمدون، السفير العراقي في الولايات المتحدة. ومن حينها أصبح المنبر البوابة الدوارة لقدامى الدبلوماسيين الاميركيين، ذوي الخبرة بالشرق الأوسط. يقوم الفوروم في واشنطن، نيابة عن العراق، بالدعاية له والحث على تحسين التجارة معه. كان وايلي سفير اميركا في عُمان وعمل في قسم المصالح الاميركية في بغداد (١٩٧٥ - ١٩٧٧). يقول وايلي: «شكلت المنبر ولم تكن الفكرة عراقية. لكن عندما طرحتها على العراقيين، نالت استحسانهم وأبدوا استعدادهم للتعاون. وذهبت إلى الحكومة الاميركية واخبرتها بالمخطط فقالوا حسناً، انها فكرة جيدة. تسعى سياستنا لزيادة الصادرات إلى العراق».

عمل المنبر بالتوافق مع السفارة الاميركية في بغداد، ورعى مرتين ارسال بعثة تجارية للشركات الاعضاء في الجناح الاميركي في معرض بغداد الدولي. يزور وايلي العراق سنوياً. وقد نظم في عام ١٩٨٩ لقاء صدام مع كبار المسؤولين الاميركان.

وطلبت الحكومة العراقية من الشركات الاميركية التي ارادت الحصول على اعمال بالعراق، الانضمام إلى المنبر. وجرى تعبئة الشركات الاعضاء (ومنها اماكو، أي. تي. وتي، كاتسديلر، فيرست سيتي بان كوور بوريشن أوف تكساس، جنرال موتور، مويل اويل، بيسي كولا انترناشيونال، ويستجهاوس) في مناسبات شتى لدفع الكونغرس للأخذ بسياسات مناصرة العراق. وكتب وايلي رسالة إلى محرر الواشنطن بوست، يعارض فيها المقاطعة الاقتصادية للعراق بسبب قصف الاكراد بالغاز. ويمول الاعضاء نفقات المنبر.

توطدت العلاقات بين حكومة الولايات المتحدة والمنبر وارتبطتا بوشائج قوية عن طريق وزارة الخارجية. عمل وايلي رئيساً للمنبر، وانضم اليه الموظفان السابقان في الوزارة ريجارد فيربانكز وجيمس بلاسك «كمستشارين» للمنبر. وكانت آخر مهام فيربانكز في الوزارة رئاسته لعملية ستانج. (خطط لهذه العملية فترة الحرب العراقية - الايرانية لفرض الحظر الاميركي على الاسلحة لايران، وذلك بالتعاون مع الاسرائيليين، إلا ان الولايات المتحدة شرعت بعقد صفقات اسلحة سرية أدت إلى فضيحة ايران - كونترا). لقد عمل

بلاسك كمساعد لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى . وكان لغيرانكز عقد مع السفارة العراقية حيث عمل كممثل رسمي لمصالح العراقيين في واشنطن .

المصلحة الوطنية

يجري التحقيق من جديد في العلاقة الوثيقة التي تربط القطاع الخاص بالحكومة على ضوء الطابع الواسع لمبيعات التكنولوجيا العسكرية الاميركية التي ما لبثت ان صوبت على القوات الاميركية . في الحادي والعشرين من شباط عام ١٩٩١ وفي البيت الابيض أثار هنري غونزاليز مجموعة تساؤلات عن دور وزارة الخارجية ووزير الخارجية السابق شولتز فيما يتعلق بالعراق . واستشهد نائب تكساس هذا بعرض ورد في الفاينانشيل تايمز اللندنية وفيه يوضح شولتز دوره في صفقة شركة بيجتيل لبناء المجمع البتروكيمياوي العراقي رقم (٢) . وتعتبر بيجتيل واحدة من عدة شركات لها الفضل في تطوير البنى التحتية العراقية للصناعة العسكرية .

ترك شولتز عمله في قمة ادارة بيجتيل حينما أصبح وزير خارجية في ادارة ريغان ثم عاد اليها عام ١٩٨٩ . يقول شولتز انه تفحص مشروع المجمع المذكور (البتروكيمياوي) في ١٩٨٩ ، وتأكد من عدم استخدامه في انتاج الاسلحة الكيماوية . لكن المشروع المذكور قد صُمم لانتاج غاز اوكسيد الاثيلين وهو غاز لاستخدامات مدنية ، وفي نفس الوقت يمثل مادة لانتاج غاز الخردل . وأشار احد مسؤولي بيجتيل في لندن لم يذكر اسمه بأن الشركة قد حصلت على «تشجيع مباشر» من وزارة التجارة لتولي بناء المشروع .

قال شولتز للفاينانشيل تايمز «لكنني فكرت بالمشروع أكثر ونصحت بضرورة ترك بيجتيل لهذا العمل» . وفي الاجتماع الموسع لبيجتيل خريف عام ١٩٩٠ قال شولتز ، «فحصته بدقة وقلت انه سيحصل شيء سيء في العراق ، سيحصل انفجار وإذا كانت بيجتيل عاملة هناك فسيعصف بها أيضاً . لقد بلغتهم بضرورة الانسحاب» . ثم تركت بيجتيل العراق فيما بعد .

فضيحة البنك الوطني الايطالي - فرع اتلانطا

لصفقة بيجتيل بشأن مجمع رقم (٢) علاقة مباشرة بفرع مدينة اتلانطا للبنك الوطني الايطالي ، وهو أكبر بنك في ايطاليا . وتحقق الآن لجنة النشاطات المصرفية ، بأشراف غونزاليز شخصياً ، في فضيحة هذا الفرع . وتبين ان الفرع تحول إلى غطاء لشبكة

المشتريات العسكرية العراقية في الولايات المتحدة. «ابلغت الحكومة العراقية باننا سنقبض بشيكات من رصيد فرع اتلاندا»، هذا ما كشفه موظف بيجتيل في لندن. واكتشف محققو لجنة النشاطات المصرفية بأنه قد دفع لبيجتيل مبلغ عشرة ملايين دولار بواسطة الفرع من أجل «اتفاقية المجموع (٢) للخدمات التقنية».

حوكم كل من كريستوفر دروغل رئيس الفرع، واثنين من موظفيه، أمام كبار المحلفين الفيدراليين في اتلاندا، في ٢٨ شباط ١٩٩١، بتهمة اقراض مبالغ تصل إلى أربعة مليارات دولار إلى العراق بين ١٩٨٥ وعام ١٩٨٩ دونما ترخيص. فاتهم الموظفون الثلاثة بالتآمر باستخدام سجلين لاختفاء آثار القروض عن أمين مدقي البنك الوطني الرئيسي في إيطاليا، وعن مجلس الاحتياطي الفيدرالي في الولايات المتحدة. كان هذا الفرع أكبر مصدر للاعتمادات المالية التي حصل عليها العراق.

ان هذا الفرع وشركة (ماتريكس تشرشل في كليفلاند في أوهايو) وشركة (صناعات ا.ب. في سنت مونيكو في كاليفورنيا) هي شبكة شخصتها وزارة المالية في الاول من نيسان ١٩٩١ بانها واجهة اعتمدها العراق للحصول على الاسلحة والتكنولوجيا العسكرية.

قدم فرع اتلاندا للعراق (٢,٢) مليار دولار على هيئة قروض بين شباط ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩، لشراء معدات ومنتجات تكنولوجية رقيقة غربية. و «تم بيع جزء كبير من التكنولوجيا إلى مشاريع مدنية. ولكن جزءاً آخر كبيراً بيع إلى مؤسسات عسكرية»، حسبما أكدت لجنة الكونغرس للنشاط المصرفي، وذلك في مذكرة عن قضية فرع البنك الايطالي. وجاء في المذكرة ايضاً: «لا يمكن ابدأ معرفة الحقيقة الكاملة وراء استعمالات هذه التكنولوجيا. هناك شيء أكيد واحد: أموال فرع البنك الايطالي هي شريان الحياة للجهود العراقية لتكوين قاعدة صناعية للاكتفاء الذاتي في الانتاج الحربي». كان الهدف الاساسي للشبكة العراقية التي تصدر المنتجات مباشرة إلى العراق هو العثور على شركات قادرة على رفد العراق بالتكنولوجيا المطلوبة واقامة الصلة للشركات الرئيسية الاميركية والاوربية مع كبار المسؤولين في العراق عن شتى المشاريع. فاقترض الفرع المذكور اعضاء الشبكة العراقية مباشرة، ونحصر أغلب القروض لتصدير البضائع والخدمات لمشاريع معينة في العراق عن طريق شركات جندت لهذا الغرض.

جاء في تقرير استخباراتي ايطالي مؤرخ في الرابع عشر من ايلول عام ١٩٨٩، واشتركت فيه ادارة بوش، ان أموال فرع اتلاندا ارتبطت ببرنامج الصاروخ العراقي (كوندور-٢). وجاء في هذا التقرير المقدم إلى رئيس الوزراء الايطالي جوليو انديروتي «يجب التأكيد على ان مختلف الشركات الوطنية والاجنبية المتورطة بمشروع الصاروخ الباليستي كوندور-٢، مدينة بالفضل إلى الصفقات التمويلية التي قام بها فرع البنك الوطني

الاطيالي في اتلاتنا».

يقول غونزاليز: «من الصعب تصديق ان شبكات استخبارات الولايات المتحدة وحلفائها لم تعرف استعمالات التكنولوجيا المنقولة إلى العراق؟» ومن الصعب أيضاً الوثوق بقدرة فرع اتلاتنا على النسر على مختلف المعلومات وابعاد أنظار الاستخبارات. ان هذه المنظمات تراقب محطات التلكس عبر البحار والمحادثات التلفونية. فهي فشلت في كشف أكثر من ثلاثة آلاف تلكس متبادلة بين الفرع ومؤسسات الحكومة العراقية وفي غالبيتها معلومات مفصلة عن القروض المعطاة للشركات التي انشأت مجمع التاجي العسكري والمشاريع العسكرية الأخرى في العراق؟»

من المسؤول؟

تجري الصلات التجارية بين العراق والولايات المتحدة من خلال شبكتي التمويل الحكومية والخاصة، وكانت واسعة النطاق أثناء ادارتي ريغان وبوش. أعطت وزارة التجارة بين الأول من كانون الثاني عام ١٩٨٥ حتى الثاني من آب ١٩٩٠ (٧٧١) اجازة تصدير لمنتجات اميركية إلى العراق، والكثير منها لاغراض الاستخدام العسكري، وتقدر قيمتها بمليار ونصف المليار دولار.

وبعد نهاية للحرب العراقية - الايرانية، كانت الولايات المتحدة في موقع جيد للاستفادة من خطط اعادة البناء العراقية الطموحة. وقد شجع تقدير وزارة التجارة عن اتجاهات التطور الاقتصادي في العراق والمؤرخ في ايلول ١٩٨٩، شجع الشركات الاميركية على القيام بما ينبغي فعله بالقول: «ان أفضل الآفاق أمام الشركات الاميركية في الأمد القريب سوف تشمل المنتجات الزراعية، منتجات ومعدات طبية وصيدلانية، معدات استخراج وتكرير النفط، الكمبيوتر ومختلف السلع والخدمات التكنولوجية الرفيعة. ويمثل الطلب المتواصل على المعدات العسكرية جزءاً كبيراً من برنامج الاستيراد حين يستكمل العراق هذه المعدات ويعمل للحفاظ على التفوق التقني في التجهيز العسكري واللوجستي».

لقد نمت صادرات الولايات المتحدة للعراق إلى حوالي مليار ونصف المليار دولار سنوياً بحلول ١٩٨٩، بما في ذلك مليار دولار من المنتجات الزراعية، جرى تمويلها بالقروض والاعتمادات من شركة الاعتمادات التجارية في وزارة الزراعة.

سجلت مذكرة بنك الادخار الفيدرالي في اتلاتنا (أي فرع البنك المركزي الاميركي في المدينة)، والمؤرخة في ١٦/١٠/١٩٨٩، تسجيلاً درامياً كيف يستغل العراق برنامج

الصادرات الزراعية لهذه الشركة من أجل تطوير وتنمية تسليحه. وحذرت المذكرة بالقول واعترف العراق بأنه كان يتلقى باستمرار خدمات (ما بعد البيع) مثل الشاحنات المصفحة. ويمكن اعتبار تلك الخدمات رشاً، الأمر الذي دفع وزارة الزراعة إلى تحذير العراق عام ١٩٨٨ من كونها مخالفة لبرنامج الشركة.

بعض التكنولوجيات المصدرة ذات طابع مزدوج مثل بيع ما قيمته ٦٩٥ ألف دولار من تجهيزات الكمبيوتر الدقيقة بموافقة إدارة بوش في آب عام ١٩٩٠ وهناك صفقات أخرى لأغراض عسكرية بحتة. ومثال صارخ لذلك هو بيع الصواريخ الباليستية. فقد منح أ. م. داوود (التسليم في العراق) اجازة تصدير في ٢٢/٣/١٩٩٠ من وزارة التجارة. والمواصفات: اجهزة تصوير (خاصة). غرض الاستعمال: البحث العلمي على سلوك لقذائف والرؤوس الباليستية. المبلغ: ١٠٣٦٨ دولار.

وتظهر من قائمة وزارة التجارة للصادرات المصريح لها إلى العراق بيع الجيش العراقي ما قيمته ١٥٤ مليون دولار من السلع الاميركية. مثلاً، مشتريات وزارة الدفاع العراقية بما قيمته ٦٣ مليون دولار، القوة الجوية العراقية ٤٩ مليون دولار، الحكومة العراقية ٨ ملايين دولار. شملت هذه المبيعات الطائرات والطائرات السمتية والمكائن: ٨٨ مليون دولار، البوصلات، الجيروسكوبات واجهزة قياس التعجيل: ١ مليون دولار واجهزة الاتصالات البحرية، الرادارية والجوية: نصف مليون دولار.

تفيد القائمة السالفة الذكر بأنه قد بيعت إلى شركة الخطوط الجوية العراقية ما قيمته ٢٢٦ مليون دولار من التكنولوجيا الرفيعة المستوى. وقد اعتبرتها وزارة المالية فيما بعد كشركة في شبكة المشتريات العسكرية السرية. فقد اجازت وزارة التجارة ببيع ما قيمته ١٧٨ مليون دولار للخطوط الجوية العراقية شملت طائرات وطائرات سميت ومختلف المكائن، كما رخص بيع ما قيمته ١٤٨ ألف دولار لأغراض الملاحة البحرية، وما قيمته ٢٩ مليون دولار من معدات الطائرات، القوارب، مكائن الديلز، اجهزة تصوير مائية وانظمة غوص مائية، وما قيمته ٢٤٦ ألف دولار من معدات الملاحة والرادار واجهزة الاتصال الجوي.

سوف لا تكشف وزارة التجارة عن اسماء الشركات التي صئرت السلع إلى العراق، ولكن تقارير الاخبار القت الضوء على دور الشركات الاميركية في مساعدة العراق لتطوير البنى التحتية للصناعة العسكرية.

● لوموس كريست في بلوم فيلد، نيوجرسي. اشتركت في بناء المجمع البروكيميائي رقم - ٢.

● الكوكاك العالمية في بالتيمور. باعت شركة نوكدافت التجارية مواد البروكلاين

والثيود يجليكول. وقد باعت هذه الشركة إلى العراق تلك المواد. يستخدم الثيود يجليكول في إنتاج غاز الخردل.

● شركة هوغز للطائرات في لوس انجيلوس صَدَّرت اجهزة الرؤية أثناء القتال الليلي إلى شركة اجهزة ديلفت في هولندا، والاحيرة حولتها ثانية إلى العراق. شركة هوغز فرع من شركة جنرال موتورز.

● لعبت الشركات الاميركية دوراً هاماً في تطوير مجمع سعد (١٦) العراقي لتصميم الصواريخ والبحث الخاص بالاسلحة النووية. وقد صنع اربعون بالمائة من معدات هذا المجمع في الولايات المتحدة الاميركية: الكمبيوترات من شركة هيويتباكارد والاولمبليسيكويات من شركة تيكوونكس، واجهزة قياس المايكرويف من شركة ولترون.

ومن المواد الأخرى التي وُضعت تحت تصرف صدام حسين ما قيمته ٢٠٠ مليون دولار من الطائرات السمتية لاغراض مدنية حسب زعم الشركة المجهزة وهي فرع بيل للهليكوبتر من شركة تيكسترون. ويوجد مشروع لانتاج معدات المكائن، قادر على انتاج الاسلحة، وقد بنته شركة اكس. واي. زد اويشتر في الباما. اضافة إلى ذلك، جهزت نفس الشركة العراق باجهزة للرش تعتبر بناء على وثائق سرية في مصلحة الكمارك، «صالحة لاعمال مزج الوقود النووي»، حسبما جاء في تعليق لصحيفة الـ وول ستريت جورنال.

مواصلة النهج

في اجتماع المجلس الاستشاري الوطني في البيت الابيض في ٨/١١/١٩٨٩ أكد مساعد وزير الخارجية (روبرت كميث) الحاجة لمواصلة النهج بقوله: «العراق مهم جداً لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، واضاف ان بغداد عامل مؤثر في عملية السلام، تلعب دوراً أساسياً في استقرار المنطقة، وفيها فرص تجارية كبيرة للشركات الاميركية».

حيث لم يعد ممكناً تجاهل الأدلة عن استخدام صدام حسين للصواريخ الاميركية في مآكته الحربية. ولكن بأمر من الحكومة والبيت الابيض واصلت الادارة محاربة بغداد تجارياً إلى ان احتلت القوات العراقية الكويت.

عن دورية (كوفرت آكشن) - العدد ٣٧، صيف ١٩٩١

أدب وفن





صوت الجنون في فضاء المدينة الإسلامية*

حيان السَّمان

- ١ -

لم تُقَصِّ الثقافة العربية - الإسلامية، صوت الجنون عن منبر الكلام، وإنما، على العكس من ذلك، أفسحت له المجال الرحب ليدلي بالشهادة على عصره. فتم تخصيص المسارد الطوال له، في كتب الأدب والثقافة العامة، مثل - البيان والتبيين - و- العقد الفريد - و- غرر الخصاص - و- نثر الدر - الخ . . . كما أفرد له - الحسن النيسابوري - (٤٠٦ هـ) كتاباً كاملاً أسماه - عقلاء المجانين -، ترجم فيه لعدد كبير من الشخصيات التي ظهرت في المدن الإسلامية، وامتازت بسمات يتوزعها العقل والجنون، ويوشح خطابها الحكمة والزهد والنقد الاجتماعي - السياسي.

إن هذه المسارد بايلائها صوت الجنون ذلك الاهتمام كله، تعكس وضعية اجتماعية - تاريخية لهذا الصوت، إنوجدت على أرض الواقع، وأتاحت له موقعاً فاعلاً، ونطقاً مسموعاً، يتسبب إلى الطرافة والفضل، ولا يختلط بالوجه المظلم للجنون. ولعل هذه الوضعية المشار إليها، هي مرتكز المصادر التراثية العربية، في تبني صوت الجنون، وإعادة إنتاجه، في خطابه الثقافي - الاجتماعي.

لقد كان صوت الجنون يرتفع حراً وأضحاً، أمام الملاء في الاسواق والمساجد والقصور، في الحمامات العامة، وفي الطواف بموسم الحج، وفي حلقات القصّاصين والوعّاظ، وفي البيمارستانات؛ بكلام جيد صحيح ومفيد، يقطر التجربة التاريخية للمجتمع العربي - الإسلامي، بأبعادها ومستوياتها المتشابكة. ويجهر بالسري

والمهموس، في لحظات الضيق والخوف والقلق التي يمر بها الجسد الاجتماعي العام. ويمكن القول، بعد التدبر في مسارد الجنون أن صوت الجنون في الثقافة العربية - الإسلامية، هو شكل من أشكال الرد الذي أنتجه المجتمع العربي، تجاه وضع تاريخي تناسري مازوم في مساره. وكان هذا الصوت أداة من أدوات مناهضة المجتمع لعوامل القمع والاستغلال التي تعاني منها الفئات الاجتماعية في المدن الإسلامية.

وقد استعمل المثقفون في المجتمع العربي - الإسلامي، من أدباء ومؤرخين وقصاصين ووعاظ، صوت الجنون، كل من موقعه في شبكة الصراع الاجتماعي، وإرتهاناً لطبيعة وعيه للعالم، وممارسته الثقافية. فأدرجه في مؤلفاتهم، عبر إعادة إنتاج، تزيج الصوت - في محتواه وشكله - وتقديمه، نسقاً تعبيرياً - ثقافياً - اجتماعياً، له حوامله الفنية - اللغوية، ومقاصده الأخلاقية والسياسية والمعرفية المختلفة. ومن جهة ثانية، كانت الأوساط الشعبية، وعوام المدن الإسلامية، يتداولون أقوال المجانين، ويعيدون، عبر مثقفهم ورواة الأخبار الشعبية، إنتاج هذه الأقوال، بحيث تكس في مسار التاريخ، تراث ضخم أغنى هذا النسق، وشكل مرجعاً لا ينضب للمصادر المخصصة لصوت الجنون.

ومما لا شك فيه، أن محاولات صوت الجنون تتطابق من حيث الدلالة، ومحتواها الاجتماعي - سياسي، مع محاولات أنساق ثقافية معرفية وإبداعية أخرى، ولكن من الهام أن نشير إلى أن ما يميز محاولات صوت الجنون هو الشكل الفني - التعبيري الذي قدمته من خلاله. وهو شكل يكسبها خصوصيتها الشعبية - الاحتفالية. وملامحها التعبيرية العفوية المصاغة في سياق جمالي - شعبي بسيط وعميق في آن معاً. وبكلام آخر، لم يكن صوت الجنون، في بنائه التعبيري - الدلالي، صوتاً متعالياً نخبواً، وإنما كان صوتاً شعبياً جماهيرياً، في إرساله وتلقيه، وفي إعادة إنتاجه من جديد، عبر دورة مستمرة، ومواكبة لحركة المجتمع العربي - الإسلامي.

إن صوت الجنون في التراث العربي - الإسلامي، يشكل جانباً هاماً من ثقافة المضطهدين، ومن الحكمة الشعبية التي قُمت، فلجأت إلى المجنون وانتسبت إليه، فظهر المجنون في المؤلفات التراثية، كما في الوعي الشعبي، حكيماً ينطق بتطلعات الناس، يحكي عن ألامهم، ويستشرف المغيّب، عبر صوت واضح صريح. يلقي القبول والتسامح والاعجاب، ويخترق المحظور، ويبوح بالحقيقة التي أخرسها التسلط^(١).



- ٢ -

٢ - آ: كانت المدينة الإسلامية هي الحاضن الرئيسي لصوت الجنون. فيها ظهرت أشكاله المبكرة، ثم تطور واتخذ ملامحه ومحمولاته وسماته الخاصة به، وبالترايق مع

سيرورة التطور المدني، بكل أبعاد هذا التطور ومجالاته الاجتماعية والسياسية والثقافية. والحق أن صوت الجنون، في مسار تطوره، وفي محاولاته وأشكاله التعبيرية المختلفة، يجد مرجعيته في حقل الصراع الاجتماعي - سياسي الذي احتضنته المدن الإسلامية، بمبنياته ومستوياته التاريخية المتناسجة.

إن هذا الارتباط بين صوت الجنون وبين الصراع داخل المدن الإسلامية، يفسر دلالة التوزع المدني لتراجم المجانين في كتاب الحسن النيسابوري - عقلاء المجانين -، على سبيل المثال. فهو توزع تستقطب الجانب الأكبر منه، تلك المدن التي لعبت دور حاسماً وهاماً في التاريخ العربي - الإسلامي، منذ أواخر القرن الأول للهجرة، في العراق بشكل خاص. ثم تصاعد هذا الدور، فكان لها نصيب وافر - سياسياً واقتصادياً ومذهبياً. في إدارة الصراع وخسمه طوال الحقب التالية. وكان الناظم الرئيسي لهذه السيرورة الحضارية المدنية، بتجلياتها المختلفة، هو الاقتصاد المدني، الذي تنامي بشكل سريع، بعد توقف حركة الفتوح، والاتجاه، من ثم، بسياسة التعمير في تلك المدن ونحو تحويلها إلى مدن مستقرة تعتمد على نشاطاتها الاقتصادية المختلفة، بعدما كان الاعتماد على الخراج والغنائم الواردة من البلاد المفتوحة^(١).

وكان الطابع التجاري - الحرفي هو عماد الاقتصاد المدني، ونمطه الأعم. ولقد تراقق، في سيرورة التبادل، وتطور قوى الإنتاج، مع تضخم في الثروات، وتمركز نقدي هائل، وتفاوت مستمر في الرفاه والثروة بين الفئات والأطراف المتصارعة داخل تلك المدن. وكان البعد الديني - المذهبي. في وضعية الصراع على السلطة، داخل المدن الإسلامية، رافداً رئيسياً من روافد سيرورة التناقض والصراع تلك، وشكلاً جاهراً من أشكال التعبير عن حدة التناقضات التي ظهرت في مسار التطور الحضاري للمجتمع العربي - الإسلامي.

أدارت مؤسسات المدينة الإسلامية، الصراع الاجتماعي - سياسي، ليس من خارجه بالتأكيد، ولكن كطرف فيه، بوصفها ممثلة للدولة. ولقد تجسدت تلك المؤسسات «في السلطة الادارية ممثلة في الوالي وأعوانه، وفي السلطة القضائية، وأجهزة الأمن والمراقبة، كجهاز الشرطة والمحتسب»^(٢). ولقد قامت هذه المؤسسات، ضمن سيرورة التناقض والصراع، وفي إطار ممارساتها الادارية والسياسية والايديولوجية داخل المدينة الإسلامية، وبالتضافر مع فئات مستفيدة ومرتبطة بها، مثل التجار والمثقفين من فقهاء وقراء وأدباء الخ... قام هؤلاء جميعاً، بانتاج وتكريس نسيج - الحالة السلطوية - المدنية. وكانت هذه الحالة، بكافة مصادرها وتجلياتها الاستغلالية والاستغلالية والقمعية، هي الهدف الرئيسي لحركة صوت الجنون في فضاء المدينة الإسلامية، فتبدى هذا الصوت، كمنعكس أدبي -

ثقافي، للوعي المناهض للحالة السلطوية المدنية، التي ووجهت باستمرار من قبل حركات المعارضة بمنحيتها المنظم والعفوي الشعبي، في المجتمع العربي - الاسلامي .

٢ - ب: قدمت المدينة الاسلامية لصوت الجنون، موضوعات شغله النقدي الهجائي الساخر، بوصفها حاضنة الصراع الاجتماع - سياسي، وفضاء الترددات الاخلاقية والثقافية المختلفة، ومستقر الفئات المدنية، بعلاقاتها ومتوجاتها المادية والروحية . وبكلام آخر، بوصفها الوعاء الذي نشأت وتولدت فيه الحالة السلطوية، فكانت المدينة الاسلامية، من ثم، المسرح الذي قدم صوت الجنون من فوقه خطابه، وعلا في نواحيه، ناقداً ونذيراً .

لقد تلامحت مرافق المدينة الاسلامية، في مسارد الجنون التراثية، بمثابة - مساحات شعبية - تُلقى فيها محمولات الصوت على الملا، أمام جمهور المدينة^(١)، من ثم، إنتاج وتداول هذه المحمولات، تبعاً لحيزات الوعي والممارسة في مسار التطور والصراع . وكانت هذه المرافق (القصر - المسجد - اليمارس - السوق - المقبرة الخ ...) تستقطب صوت الجنون ليتحرك في فضاءها، ويرتبط بها . في الواقع و/ أو في الخطاب الثقافي الذي تعكسه المسارد؛ تبعاً لموضوع الصوت ومقاصده من جهة، وارتعائاً لطبيعة دور هذا المرفق، أو ذاك، في الحياة المدنية، من جهة أخرى . إن الدور المدني الاجتماعي والسياسي والشعائري الخ ... لهذه المرافق، قد وفر لصوت الجنون جمهوراً واسعاً متنوعاً، يتلقى الخطاب، ويعيد انتاجه وتداوله بالشكل الذي يحقق غايات التعبير والافصح . ومن ناحية ثانية، فإن طبيعة المرفق تعطي خطاب الجنون بعداً تعبيرياً - فنياً يُعَمِّق من فاعلية الخطاب وتأثيره . وبذلك فإن دلالة المرفق في مسارد الجنون، تتبدى كعنصر رئيسي في خطاب الجنون، لا يؤطره، ويشكل الحاضن المادي لحركته فحسب، وإنما يتناسج مع عناصره ودلالاته وينتج الفينة .

إن الارتباط بين صوت الجنون، وبين المكان - المرفق، في المدينة الاسلامية، هو ترابط وظيفي، ينتظمه الحرص على تكريس أكبر فاعلية اجتماع - ثقافية ممكنة لهذا الصوت، وهذا الحرص لا يتبدى على مستوى الواقع التاريخي لصوت الجنون وممارساته، وإنما يتبدى كذلك على مستوى التحويل الثقافي - الفني للصوت . أي على مستوى - الانزياح - الذي تعكسه مسارد الجنون التراثية، حيث يؤخذ بعين الاعتبار - في المسارد - دلالة المرفق في بنية خطاب الجنون . وكمثال على ذلك كله، يمكن الإشارة إلى أن التنديد بالسلطة السياسية، ورموزها من خلفاء وولاة، كان يجد فضاءه المناسب في قصور هؤلاء أنفسهم، بشكل رئيسي - كما في مواجهات معلون مع المتوكل - وتتحدد دلالة ذلك في كون المواجهات بين المعجون وبين الخلفاء والولاة، مواجهات مباشرة - وجهاً لوجه -

دمعكس لحدة الصراع، وفساد السلطة السياسية. كما أن تعالي هذه السلطة على الناس، واتساع الهوة بين القصر والشارع، كرس رغبة تاريخية - شعبية في ردم الهوة، واختراق حجب السلطة. فكان على صوت الجنون أن يدخل القصور والبلاطات، ويخترق الحجب، ليقف في مواجهة الحاكم ويسمعه حكم الناس ورأيهم، وعلى هذا تغدو دلالة المرفق - القصر - في خطاب الجنون التنيدي أمام الحكام، ذات بعد تعبيري - فني، واجتماعي - ثقافي، هام.

لا تنفصل دلالة المرفق، عن عمل - الحالة السلطوية - المدنية، وآليات تجسدها - كمؤسسات وأفراد -. فقد علا صوت الجنون، وردد محمولاته، حيثما مارست الحالة السلطوية عملها. في القصر أو المسجد، في السوق أو البيمارستان. . . الخ. إن دلالة المكان - المرفق تكتسب تعالفاً الوظيفي بصوت الجنون، من كونها تشير، في الوقت نفسه، إلى فضاء الممارسة السلطوية. ففي اللحظة التي يتحول فيها المكان إلى حاضن مادي لممارسة سلطوية، فإنه يتبدى كفضاء مناسب لحركة صوت الجنون، بمحولاته الرافضة، والتي تتراوح بين النقد والوعيد والسخرية. وهكذا يتبدى المرفق في المصادر، ساحة مواجهة بين شعبية من مصادر وتجليات الحالة السلطوية المدنية: (الحاكم - القاضي - التاجر - المثقف . . . الخ . . .) وبين سلطة صوت الجنون، بوصفه شكلاً من أشكال تجسّدات الوعي المناهض للحالة السلطوية.

وهكذا كان ابتكار لحظة سلطوية، في المصادر، محكوماً بهاجس مواجهة هذه اللحظة، من قبل - صوت الجنون -. وتحت الهاجس السياسي والاجتماعي، والأدبي - التخيلي، تمت عملية انزياح صوت الجنون، بين الواقع التاريخي، في فضاء المدينة الإسلامية، وبين مسارد الجنون التراثية العديدة.



في دراسة سابقة^(٩)، تحدثت عن مواجهة صوت الجنون للسلطة السياسية، ممثلة بالخلفاء والولاة، بوصفها المصدر الرئيسي لانتاج الحالة السلطوية المدنية. وسوف نستعرض فيما يلي، المواجهات بين صوت الجنون وبين مصادر - شعب - أخرى للحالة السلطوية المدنية، من أنصعها: المثقف - القاضي - فروض الشريعة (الدين) . . . الخ، آخذين بعين الاعتبار أن الحالة السلطوية المدنية ليست مجموع ما تنتجه هذه المصادر، وإنما هي ذلك النسيج الذي يتّج عن التفاعل والتساند وتبادل المواقع والمصالح، بين هذه المصادر كلها، وفيما بينها وبين الجسد الاجتماعي - تاريخي الذي تشكله الفئات المدنية في المجتمع العربي - الإسلامي.

٣- آ: سلطة المثقف:

يحتضن اليمارستان معظم المواجهات بين المجنون والمثقف. والحق أن دلالة اليمارستان تتحدد في مسارد الجنون باتجاهين، يعمل الأول ضد صوت الجنون، بوصفه - أي اليمارستان - مرفقاً مدينياً تمارس الحالة السلطوية عملها فيه مباشرة على المجنون، كمرضى خاضع لإجراءات الضبط والعلاج^(١). أما الاتجاه الثاني لدلالة هذا المرفق، فإنه يُحيل إلى قضاء مآلٍ لصوت الجنون، وحاضن لسلطة هذا الصوت المناهضة لسلطة المثقف بشكل خاص، وللحالة السلطوية المدنية بشكل عام.

ومما لا شك فيه، أن الاتجاه الثاني للدلالة، هو الأكثر سطوعاً في المسارد. مما يجعلنا ننظر إلى دلالة اليمارستان في خطاب الجنون، بوصفه عنصراً مسانداً لسلطة صوت الجنون، وتتحدد وظيفته، ضمن نسق فني تعبري متكامل، في كونه بؤرة استقطاب، ومصيدة، تحتضن الطعم - وهو هنا المجنون مقيداً - الذي سيفري الحالة السلطوية - يمثلها المثقف هنا - بدخوله، حيث يباشر صوت الجنون، من ثم، عمله، صوتاً له سلطته ومقاصده ومحمولاته ضد سلطة الزائر.

لقد كانت سلطة المثقف من أهم تجسّدات الحالة السلطوية المدنية التي واجهها صوت الجنون داخل اليمارستان. وإن المسارد تزخر بالمواجهات بين المجنون والمثقف في هذا المرفق. وهي مواجهات تتيح لصوت الجنون ممارسة سلطته ضد سلطة المثقف، فيتبدى هذا الأخير عاجزاً ومداناً وموضوعاً للسخرية والتجهيل.

ويتبدى اليمارستان في المسارد مقصداً للمثقف، يعتمد زيارته ودخوله للاصغاء إلى كلام المجنون. يقول المبرد «قال لي المازني: يا أبا العباس، بلغني أنك تنصرف من مجلسنا، فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين، فما معنك في ذلك؟ قال: فقلت له: إن لهم أعزك الله، طرائف من الكلام وعجائب من الأقسام...» - وفيات الأعيان - ج ٤ - . وفي سياق كلامه على مجنون في اليمارستان، يقول المبرد: «وقفت ناحية أستجلب مخاطبته وأرصد الفائدة منه» - نفسه - . وفي عقلاء المجانين للنيسابوري أن - ذو النون - يرى في منامه قائلاً يقول له: إن في دير هزقل حكيماً من الحكماء أفلا تقصده. فيفعل - ذو النون - . وفي المصدر نفسه: «قال عبد الله بن عبد العزيز السامري: مررت بدير هزقل أنا وصديق لي فقال لي: ادخل بنا لنرى من ملح المجانين...» . وفي «الكشكول» للعاملي، أن السيد الجليل أمير قاسم أنوار التبريزي، كان كثيراً ما يجالس المجنوبين ويكلمهم. قال: لما وصلت إلى بلاد الروم قيل لي إن فيها مجنوباً، فذهبت إليه... الخ.

إن سعي المثقف إلى لقاء المجنون، والاصغاء إليه، أمر شائع في المسارد، وهذا

يعكس نظرة المجتمع إلى - صوت الجنون - بوصفه حملاً للحقائق، ناطقاً بالحكم، عليمًا بالمغيبات، ويخبر عنها، كما يقول ابن خلدون في المقدمة. ويشكل هذا السعي فاتحة لوحة المواجهة بين المثقف والمجنون. ويستتبع، بالنسبة للمواجهات داخل اليمارستان مفصلان هامان يتكرران في هذه اللوحة، هما:

أولاً: الإشارة إلى هيئة المجنون عندما يراه المثقف. وتبدي هذه الهيئة على أحسن وجه. فالمجنون شاباً يكون - أحسن الناس وجهاً - أو - مليح الوجه، حسن الزي قد أُرْجِل شعره وكحل عينيه، طراوة يعلوه حلاوة - أو - حسناً من أبناء ذوي النعم - . . . الخ. أما المجنون شيخاً فيكون حسن اللحية، وقوراً ذا هيئة.

ثانياً: يتبدي المجنون مغلولاً دائماً، عند مواجهة المثقف داخل اليمارستان. إن القيد عنصر اساسي في لوحة المواجهة، ويتم التأكيد دائماً، في المسارد، على وجوده: - مشدود إلى سلسلة - مقيد إلى جدار - مسلسل مغلول - مشدود إلى سارية الخ. . .

إن هذين المفصلين في لوحة المواجهة بين المجنون والمثقف، يشكلان إطاراً موضعاً ومؤكداً، وبالأحرى مسانداً، لسلطة صوت الجنون. إنهما يرسمان وضعية ايجابية - على مستوى الهيئة والشكل الخارجي للمجنون - ولكنها مقموعة - دلالة القيد - . وتأكد الايجابية من خلال - نطق المجنون - و - محمولات صوته - التي تربط حسن المظهر الخارجي، بغنى المضمون والوعي الذي يجسده الكلام، وتفضح، من ثم، قمعية القيد وسلطة المثقف. إن - نطق المجنون - هو المسموح به، دون حركته، وبذلك تؤكد المسارد على أن - صوت الجنون - هو السلطة التي ستقف في وجه سلطة المثقف، ساخرة ناقدة، أو محايدة بمستوى أكثر عمقاً ومعرفة وتجربة.

يذهب صوت الجنون في مواجهته للمثقف، داخل اليمارستان أو خارجه (في المقبرة أو كهوف العزلة أو في الطريق الخ. . .) باتجاهات عديدة: السخرية^(١) - النقد الهجائي المرير^(٢) - التجهيل^(٣) - الوعظ^(٤) . . . الخ. وتتحدد هذه الاتجاهات، تبعاً للمثقف الذي يقف في مواجهة المجنون، حيث يكون خطاب هذا الأخير متناغماً مع - صورة المثقف المعني - . فالروح الساخرة للملاحظ والمبرّد، جعلت خطاب الجنون الموجه إليهما، خطاباً ساخراً بروح هجائية نقدية هازئة، وبمحمولات تتفق مع اهتمامات هذين الأدبيين. بينما يتبدي المجنون واعظاً صوفياً حكيماً، في مواجهة مثقفين أمثال - ذو النون - و - الفضيل بن عياض - و - أمير قاسم التبريزي - الخ. . . وإذا كان المثقف المواجه للمجنون، شاعراً أو أدبياً ناقداً، والحديث ينهض حول - نقد الشعر والشعرية -؛ فإن حوامل صوت الجنون تكون قصائد يلقيها المجنون - بديهة غير مفكر ولا متوقف - . ويعمل، من جانب آخر، مبضع التعرّيج والنقد في نصوصه سواء^(٥).

٣- ب: سلطة القضاء: كان القضاء، طوال الحقب الإسلامية المختلفة، مصدراً رئيسياً من مصادر إنتاج الحالة السلطوية المدنية. وقد ارتبط بشكل مباشر بالسلطة السياسية، كمؤسسة من مؤسسات الدولة، وكمُنصب يتم ملؤه مباشرة بأشراف من الخليفة نفسه^(١١). وهذا ما يفسر ظهور نزعة رفض العمل في القضاء عند بعض الفقهاء. من منطلقات مختلفة، سياسية ولاهوتية وأخلاقية، تصب بمجملها في إطار المنحى المعارض للحالة السلطوية المدنية.

وينبغي أن نلاحظ أن ازدياد تدخل السلطة السياسية، في أمور القضاء، قد ترافق مع تراجع واضح في نزعة رفض العمل في القضاء، مما أحال هذه الوظيفة، في العصور التالية، إلى أداة مباشرة بيد السلطة السياسية. وصار من النادر أن يقف الفقهاء المتأخرون مواقف رافضة لتولي منصب القضاء، كتلك التي وقفها فقهاء العصرين الأموي والعباسي الأول، وأخص بالذكر - أبو حنيفة - و - سفيان الثوري -.

وعلى المستوى النظري، استمرت إدانة منصب القضاء في الأدبيات الفقهية حتى القرن الرابع الهجري^(١٢). ولقد ترافق ذلك مع تداول أحاديث منسوبة إلى النبي محمد، تدّين هذا المنصب، وتُحذّر من مغية قبوله^(١٣).

إن التجليات السلطوية لمنصب القضاء عديدة، من النواحي الشكلية (اللباس - الكلام - الجلوس)^(١٤)، والعملية. وكانت هذه التجليات تنوس بين تخوم إحقاق الحقوقي، وبين تخوم القمع والتسلط وقبول الرشوة والهدايا وحياء البذخ الخ... ولكنها ارتبطت دائماً بالدولة التي كانت المصدر الأراس لانتاج الحالة السلطوية المدنية. يقول - ابن خلدون -:

«وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم، وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد، وعظيم رتبة، تقيع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي». ولقد أدى تشابك المؤسسة القضائية مع جهاز الشرطة إلى سطوع الملمح التسلطي القمعي في منصب القضاء. - راجع مقدمة ابن خلدون -.

كان التظاهر بالجنون وسيلة متبعة عند الكثيرين من المكلفين بمنصب القضاء، الراغبين في التخلص من هذا التكليف، دون التعرض لنقمة السلطة. وثمة، في المسارد، العديد من الروايات التي تتضمن حالات التجان كوسيلة للخلاص من ورطة العمل في مؤسسات الدولة. ولقد أشار - الحسن النيسابوري - في - عقلاء المجانين - أثناء الكلام على - من تجان وتحاق وهو صحيح العقل -؛ إلى - من تحاق لينجوا من بلاء وأفة - . فيورد عدداً من الروايات عن قضاة تظاهروا بالجنون تخلصاً من هذا المنصب^(١٥). وقد كان نموذج القاضي الحكيم المتجان تخلصاً من القضاء، إطاراً فنياً ملأه القصص الشعبي الساحر

بتنوعاتٍ دلاليةٍ حكايةٍ عديدة، ذات مضامين أخلاقية ووعظية وسياسية مختلفة. وفي الحقيقة فإن هذا النموذج يقارب نموذج المجنون (البهلول) في المسارد، بوصفه حكيماً، رافضاً للسلطة، يتنطق بالحقائق. وتبدو المفارقة الفنية - الدلالية في صياغة هذا النموذج من خلال التفاوت المدهش بين إحياءات المظهر الخارجي، وبيانات النطق والتجربة^(١).

إن الروايات التي تُدين القضاة على لسان المجنون، كثيرة في المسارد. يختلط فيها الجدل بالسخرية. ويتبدى القاضي، كما الخلفاء، مادة للتندر والضحك. وسوف أثبت ها هنا بعض هذه الروايات، محيلاً القارئ الراغب بالاستزادة إلى المصادر.

● (قال عمر بن عثمان: شيعتُ عبد العزيز بن المطلب المخزومي وهو قاضي مكة إلى منزله، وبباب المسجد مجنونة تصفق وتقول:

أُرُق عينيُّ ضراط القاضي هذا المقيم ليس ذاك الماضي) «البيان والتبيين - العقد الفريد».

● (سمعت حفص بن غياث يقول: مررت في طاقة السراجين فاذا عليان جالس فلما جزته سمعته يقول: من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة، فليتمن ما هذا فيه.

قال: فوالله يا أبا محمد لتميت أني مت قبل أن ألقى القضاء) «عقلاء المجانين».

● (سمعت سوار بن عبد الله القاضي يقول: دخلتُ بعض حمامات البصرة، فقلتُ لصاحب الحمام: فيه أحد؟ قال: لا. إلا شيخ موسوس. فدخلتُ فاذا بشيخ قد اختضب مقبل على زاوية. فقلتُ: يا شيخ ما حُرِفَتْك؟ قال: أنا أبيع الكعاب والدوامات من الصبيان. فقلتُ في نفسي: مع من وقعت! فقال لي الشيخ: ما حُرِفَتْك؟ قلتُ: لا أخبرك. قال: والله ما أنصفتني! سألتني عن حرفتي فأخبرتكَ. وسألتك عن حرفتك فلم تخبرني. فقلتُ: أنا أنظر فيما بين الناس وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك؟ قلتُ: من لم يقبل حبستُه وأدبته. قال ويمكنك ذلك؟ قلتُ: نعم إن معي أعواناً من السلطان. قال الشيخ: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به. قال سوار: فتصاغرت إلي نفسي) - عقلاء المجانين -.

● (فقال له - أي «رأس النعجة» المجنون لسوار القاضي -: سألتك بحق الله وبحق الأمير إلّا ما أخبرتني في أي سورة هذه الآية: فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون؟ قال: في برامة. قال: صدقت! فبرئ الله ورسوله منك! فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته. . .) - مروج الذهب -.

٣ - جد سلطة الدين:

إن صوت الجنون، هو - بشكل عام - صوت ورع مؤمن، يقارب تخوم الولاية والصدقية. ومن المعروف أن شخصية المجنون (البهلول) في المجتمع العربي -

الاسلامي كانت ترتبط دائماً بسمات الورع والصلاح، ويبدو منها ما يدل على مقام الولاية والصديقية. ولقد أشار - ابن خلدون - إلى ذلك بالقول:

«... قوم بهاليل معتمون أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين، ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لأنهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك، ويأتون منه بالعجائب... الخ» - المقدمة - .
ولكن نجد في محمولات صوت الجنون ما يشير إلى موقف مناهض لسلطة الدين. وتتمثل هذه السلطة هنا في مسألة التكليف المتعلقة بأمور العبادات (الصلاة والصوم) خاصة. إن سقوط التكليف عن المجنون قد ساهم في إدراج موضوعه - التذمّر - من وطأة العبادات المفروضة، كإحدى محمولات صوت الجنون. والحقيقة أنه توجد في كتب الأدب والثقافة العامة في التراث العربي، العديد من مواقف التذمّر هذه، منسوبة على الأغلب إلى الأعراب. ولكن هذا الموقف يُطرح من خلال صوت الجنون، في سياق المقارنة التي يقيمها المجنون نفسه، بين قيد الجنون والابتلاء به، وبين قيد الشريعة ووطأة التكليف، مع إعطاء الأفضلية للجانب الأول.

● «سمعتُ علي بن شيان الحلبي يقول: حدثنا مشايخ همدان، قالوا: كان عندنا مجنون تجتمع عليه الناس، فإذا اجتمعوا عليه قال لهم: ترون ما أنتم فيه من حيرتكم وغفلتكم شيئاً ما هو إلا محنة العبودية ووطأة الشريعة في الدنيا، والجس والحساب والسؤال والعذاب في الآخرة، وإنما الراحة ما أنا فيه، لا حرج في الدنيا ولا حساب في الآخرة» - عقلاء المجانين - .

إن التخويف الذي يكرسه الدين في نفس المؤمن، يمارس سلطته المستمرة القادرة على تأطير سلوك الأفراد، وفق المعايير التي ترمي إلى مآل أخروي سعيد. وثمة تكريس مستمر لهاجس الخوف من رقيب يسجل أعمال المؤمن ليسطها يوم الحساب. وتلعب صفات الجحيم والعذاب التي يلاقيها الإنسان المذنب يوم القيامة، دوراً فائق الفاعلية في هذا الخصوص، وبالتالي، ترتهن - سيكولوجية - العبادات، في إطارها العام، إلى عاملي الرغبة والرهبنة المنيقذين من سلطة الدين مباشرة.

يخترق - صوت الجنون - هذه الوضعية، اعتماداً على - سقوط التكليف - عن المجنون. فيعكس تطلّعاً عاماً، ربما قابلاً في تضاعيف الوعي المخوف، إلى الخلاص من عاملي الرغبة والرهبنة، والانطلاق من ملكوت الحرية الانسانية التي تنفي كل سلطة. يذكر - النيسابوري -:

«دخلت بهراً دار المرضى فإذا شيخاً مسلسل، فقلت له: يا شيخ! أتريد النجاة مما

أنت فيه؟ قال: لا. قلت: ولم؟ قال: لأن القلم مرفوع عني فيما أتعاطاه، فإذا نجوت من هذه البلية أجزى القلم علي، فقد حُبِسْتُ وأُطْلِقَ عنك. وستحبس ويُطلق عني». إن الصلاة والصوم هما الفريضتان الرئيستان اللتان يتغنى صوت الجنون بالخلاص منهما. في ترجمة الشيخ - سيدي الشريف المجذوب - من طبقات الشعرا، أنه «كان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان ويقول لنا: معتوق أعطني ربي». ويذكر ابن الجوزي في - صفة الصفوة - ج ٢ -: عن - أبو بكر الشبلي - أنه قال: «رأيت يوم الجمعة معنوها عند جامع الرصافة قائماً عرياناً وهو يقول: أنا مجنون الله. أنا مجنون الله. فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتتواري وتصلي؟ فأنشد: يقولون زربنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها، أنفت لهم مني»



صيف ١٩٩١

الهوامش:

- (١) يمكن الرجوع إلى عدد من الدراسات حول موضوع هذا البحث، من شأنها أن تعطي القارئ الكريم فكرة أوسع عن وضعيات ومقاربات صوت الجنون في التراث العربي - الاسلامي، كنت قد نشرتُها من سابق. وهذه الدراسات هي:
أ - أصداء صوت الجنون في الحضارة العربية - الاسلامية - مجلة دراسات اشتراكية - العدد الثقافي (٨) خريف ١٩٩٠ - دمشق ..
ب - صوت الجنون في أفق الخلافة الاسلامية (من تجليات نقد السلطة في المجتمع العربي - الاسلامي) مجلة - النهج - العدد (٣٣) ١٩٩٠.
ج - المجنون ناقداً ونظيراً: من مقاربات القيادة البديلة في التراث العربي - الاسلامي، مجلة (الطريق) العدد الاول - شباط ١٩٩١ - بيروت.
- (٢) د. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية - ص ٣٠٢ - كتاب (عالم المعرفة) الكويت.
- (٣) نفسه، ص ١٢٣.
- (٤) تتكرر في المصادر الاشارة إلى التجمعات التي كان يستقبلها صوت الجنون. فنقرأ في سياق الكلام على مجنون: «ولد أحاط به الناس» أو «فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان» أو «مررت وإذا جماعة على مجنون ولوفه». أو «رأيت الناس مزدحمين فبحثُ فإذا أنا بمجنون» الخ ..
- (٥) الدراسة المشار اليها في الهامش رقم (١) - ب ..
- (٦) يمكن الاستدلال على المنحى القمعي في هذه الاجراءات من خلال عدة واقعات، أذكر منها:
أ - يذكر - الأبى - في - نثر الدرر - ج ٣ -: «ولما حمل - أي بهلول المجنون - إلى المارستان،

سأل الناس أن يأذنوا له في أن يُلِمَّ بيته، ويوصي أهله بشيء، فمعه، قرأ: - فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. - ومن الجدير ذكره أن الآية تشير في سياقها القرآني إلى صيغة إنذارية موجهة للكافرين. - وتضمن هذه الصيغة في القرآن الكريم عادة، عناصر تخويف وترهيب وتحذير من مآل صعب.

ب - في نفس المصدر يذكر المؤلف: «حكى أن صاحب المارستان أئله - أي يهلول - يقدر فيه دواء. وقال له: اشرب يا ابن الزانية. فقال: هات حتى أشربه، والله أعلم أنك أحق به مني».

ج - يذكر النيسابوري في - عقلاء المجانين -: «قلت لأخو - مجنون -: ما تشتهي؟ قال: موت الجازي. وكان الجازي صاحب مجانين يسقيهم الدواء ويضر بهم».

(٧) في - غرر الخصاص - للوطواط وقال المبرد: دخلت دار المجانين، فوفقت تجاه مجنون وأخرجت لسانه، فحول وجهه عني، فبحثت إلى الناحية التي حول وجهه إليها وأخرجت لسانه، فحول وجهه إلى ناحية أخرى، فبحثت إليه وفعلت مثل ذلك، فلما أضجرت، رفع رأسه إلى السماء وقال: إنظر يارب من حولوا ومن ربطوا».

(٨) في - وفيات الأعيان - ذكر حديث يدور بين المبرد ومجنون مفيد «ثم قال لي وقد رأى معي مجبرة: يا هذا أرى مملك آله رجلين أرجو ألا تكون أحدهما: أتجالس أصحاب الحديث الأغث أم الأدياء من أصحاب النحو والشعر؟ الخ. . . » انظر الخبر كاملاً - ج ٤ - حيث يوجه فيه المجنون نقداً مراداً ساخراً إلى - أبو عثمان المازني - و - المبرد -.

(٩) انظر على سبيل المثال المواجهة بين الجاحظ ومجنون بالكوفة، في - عقلاء المجانين - للنيسابوري. حيث يقول المجنون للجاحظ، مختتماً الحوار: «فأذهب فما تعمل أنت ولا أهل البصرة شيئاً». والحوار المشار إليه يظهر جهل الجاحظ في مواجهته - الثقافية المعرفية - مع المجنون. ويتبدى المجنون شاعراً للمعيا. وفي المصدر المذكور نفسه، ذكر حوار يدور بين - أحمد بن يحيى - وفتى بغداد كان يجن ستة أشهر ويقيم مثلها. ويتبدى المجنون في هذا الحوار ناقداً وشاعراً. والأمثلة على مثل هذه المواجهات التي كان فيها المجنون يبدو مثقفاً ناقداً وشاعراً وأديباً، كثيرة في المصادر.

(١٠) انظر الاتجاه العظمي لصوت الجنون أمام المثقف في حواريات - ذو النون المصري - مع المجانين في - عقلاء المجانين - و - صفوة الصفوة - لابن الجوزي.

يقول - عليان - ل - ذو النون -: «الحب يُنطق بالحياة يُسكت، والخوف يُقلق». ويعلق - ذو النون - قائلاً: فتخير لوني ولتعدت فرائصي. ويسأل: يا علي ما أطيب العيش؟ قال: إذا قذف بك في عين الأنس فكانك معه في الجنة تكلمه بكلام السرور الخ. . . عقلاء ومجانين. . . وانظر أيضاً خبر اللقاء بين - ذو النون - ومجنون في جبل اللكّام. «بلغنا عن ذي النون المصري قال: وُصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل اللكّام فقصدته. فلقيني جماعة من المتعبدين، فسألتهم عنه. فقالوا: يا ذا النون تسأل عن المجانين؟ الخ. . . » - صفوة الصفوة - ج ٤. . . ويتبدى المجنون في سياق الحوارية، من أهل المعرفة، حكيماً واعظاً زاهداً. وهي ملامح تتسق مع خطاب - ابن الجوزي -، ومع الصورة التاريخية - الثقافية ل - ذو النون - أيضاً.

(١١) في الحوار بين - أحمد بن يحيى - وفتى بغداد المجنون، أن هذا الأخير يقول: «تغلب؟ قلت: نعم. قال: انشدني. فأنشدته:

وإذا مررت بفسره فاعقُرْ به
وانضج جوانب قبره بدمائها
فتضاحك، وسكت ساعة، ثم قال: ألا قال:

إنهبا بي إن لم يكن لكما عق...
وانضجنا من دمى عليه فقد كا
نَ دمي من نداء لو تعلمان الخ...

ويمكن مراجعة خبر الحوارية بين الجاحظ والمجنون المتقدم ذكرها، وفيها:

«قال - أي المجنون -: من أشعر الناس؟ قلت: امرؤ القيس. قال: حيث يقول ماذا؟
قلت: حيث يقول:

كان قلوب الطير رطباً وباباً
قال: عفانا أشعر منه. قلت: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

كان وراء السر فوق فراشها
فأينا أشعر؟ قلت: أنت... الخ».

(١٢) يشير - ابن خلدون - في المقدمة - فصل في المخطط الدينية للخلافة:

(وكانوا - أي الخلفاء - مع ذلك إنما يقلدونه - أي منصب القضاء - أهل عصبيتهم بالنسب أو
الولاء، ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك).

(١٣) انظر - (آدم من): الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٤٠١ - مج ١ - ط بيروت.

(١٤) انظر هذه الأحاديث في - كتاب أدب القضاء - لآين أبي الدم (- ٦٤٢ هـ) وفي - بيان العارفين -
للمرقندي (- ٣٧٥ هـ) ص ١٨ من طبعة دار الجيل. وفي - المستطرف - للأبشي (- ٨٥٠ هـ)
- الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضية وقبول الرشوة والهدية... الخ... لقد جمع
الأبشي قضية - قبول الرشوة - مع الحديث عن القضاء. وكأنها من لولزمه ومُسْتَبَعاته!

(١٥) يشير (آدم من) في سيق حديثه عن قاض:

«وقد اختصم عنده رجلان، وكان المدعى عليه قد سبق إليه وجعل نفسه المدعي صاحب
الحق، فضحك خصمه متعجباً، وعند ذلك صاح ابن حريوة صيحة ملأت الدار... فأرعب
القاضي الرجل، ومرض ثلاثة أشهر، وكان إذا عاده صاحبه يقول له: صيحة القاضي وفي قلبي إلى
الساعة، وأحسبها تقتلني»
وفي مكان آخر يذكر - آدم من -:

«وكان ببغداد في سنة ٣٦٨ هـ قاض يُعرف بأحمد بن سيّار، وكانت له هبة وجبة مهولة ولحية
طويلة. فقدم إليه امرأتان أدعت أحدهما على الأخرى، فقال لهن: ما تقولين في دعواهما؟ قالت:
أفزع أيد الله لقاضي. قال: لماذا؟ قالت: لحية طولها ذراع، ووجه طولها ذراع، ودينه - قُلْسُوة - طولها
ذراع، فأخلفتني هيبته...».

انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع - ص ٤٠٠ - ٤١٨ - مج ١ -.

(١٦) راجع الكتاب المذكور. وفيه خبر دخول - أبو حنيفة - و - سفيان الثوري - و - شريك - و - مسعر - على
- المنصور - الذي استدعاهم ليوليهم منصب القضاء. وتحاول كل منهم للخلاص. وقد اختار
- مسعر - التجان، فدخل على المنصور وقال: هات يذك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال أخرجه

فإنه مجنون.

وفي رواية ثانية عن - عبد الأعلى الصوفي - أن الخليفة كتب إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر، فجنن نفسه ولزم بيته. فاطلع عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره، فقال: يا أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وستة رسوله، وقد جنت نفسك ولزمت بيتك؟ فرفع إليه رأسه وقال: إلى ههنا انتهى عقلك؟ أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين؟

(١٧) غير مثال على هذا، القصة التي يوردها - الحسن النيسابوري - في - عقلاء ومجانين - عن رجل: «ألى يميناً أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس، لما قامى من بلاء النساء. فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد، فخرج على أن يسأل أول من يطراً عليه. فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة، فسلم عليه وقال: سألة. فقال: سل ما يعينك وإياك وما لا يعينك. فقلت: مجنون والله. ثم قلت: إني أصبت من النساء بلاءً وآليت أن لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة. فقال: أعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك. فأما التي لك فشابة طرية ثم تصير الرجال، فهي لك لا عليك، إن رأيت خيراً حمدت وإن رأيت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا. وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلب الزوج وتجمع لولدها. وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك، فإن رأيت خيراً قالت هكذا يجب، وإذ رأيت شراً حنت إلى زوجها الأول. فقلت: نشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى؟ قال: ألم اشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعينك؟ فانسبت عليه، فقال: إني رُشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء».



عن اثم كان وما يزال

شريف الربيعي

ما الذي لا نعرفه عن صدام...؟ لقد طرح العالم هذا السؤال بعلن صريح، وهو يستعد للتعامل مع صدام بأسلوب جديد بعد احتلاله الكويت. ما الذي يخفيه صدام عنا، أية أسرار ينطوي عليها سلوك هذا «الإنسان»؟ تلك اسئلة وجدت طريقها إلى الرأي العام العالمي، في إطار من التحضير النفسي، لقبول ما سيقع لاحقاً، وكانت الحرب ورمزها الأكثر حضوراً صدام.

نحن العراقيين لا نطرح اسئلة من ذلك النوع، ولسنا في وضع يسمح ان نتهياً لقبول تحديثات جديدة يمثلها صدام في حياة عراقنا وشعبنا ووطننا.

نحن نعرف صدام في كل مواقع «التحدي» التي مثلها في حياتنا، ونحن الأكثر قدرة على تشريح صدام وكشف أسرار الشخصية، والاجابة على أكثر الاسئلة غموضاً في معرفة حياته.

لم نقل يوماً ان «صدام حسين» الذي حكم العراق فعلياً منذ ١٩٦٨ هو لغز من الالغاز الأرضية، ولا سر من الأسرار المستعصية على التحليل والكشف، وهو ليس من الذكاء إلى الحد الذي يمكن لشخصه ان يسلك في الغموض، ويفضح جهلنا بنمط تفكيره، ووضوح شخوصه في واقع حياتنا.

فمنذ حمل هذا «الإنسان» صفة «السيد النائب» كان النائية على حياتنا، وكان ينوب عنا بالتفكير بتلك الحياة، ووراء افكاره الساذجة كانت طموحاتنا بعراق جديد تجد أدوات ردعها أو تسفيهاها من وحي تلك الساذجة التي رسمت سياسة عراق لم يهنا ساعة واحدة بواحة خارج المآزق والكوارث المصنوعة، من ذهن هذا «الإنسان».

لم نفاجأ بصدام وهو يقتحم هواء الكارثة الأخيرة، فنحن نملك في مساحة وعينا الموجع بفعل ما بذره من مأس وعوامل قهر، حالة معرفة تبتعد عن التخمين، وتدخل في صلب المعرفة الموثقة. كان مسلحاً بنوايا قسرية لمحقنا، أو جعلنا مسوخ سطوته في

«المعرفة».

كل الصفات له، وكل الألقاب، كل أمجاد الماضي في حاضره، وكل مسرات الرؤيا، فهو الذي يرى، وهو الذي يعرف، وعلينا ان نرى ونعرف ان سمحت احتمالات الدنو من وهج وضوحه، في حاجتنا الدائمة لذلك الوضوح، المحجوب عنا دائماً بفعل حضور «القائد» في «عموض» تمثله ملازماً لصفة القيادة ونهج العظمة.

لم نسأل يوماً عن معنى «صدام» لأننا نخشى الانحشار في الجهالة أو قلة المعرفة، ولم نقل للخوف يوماً ان الطريق إلى «صدام» ملازمة بالتحدي يمكن ان يكون نقيض لسلوك «القائد» المتقدم في «معارك» المحق وتشويه الصورة، أو رسمها وفق المعطيات التي كانت «صدام» في كل معارك إثبات الوجود.

منذ حمل صفة «السيد النائب» حاول ان ينوب عنا في احراز الحياة، المأمأ بأسرارها، وعاشها نيابة عنا، أراد ان يكون الدهشة في التفاصيل التي تُولف العراق، والحضور الساطع في لحظة الانفعال، وكان هو الفعل الذي صار، حين تراجعتنا إلى خنادق ردود الأفعال. هو الذي يُعطي وعلينا انتظار عطائه في مواسم البذل التي هو خصيها.

وهكذا تغنت «القصاصد» بنبوغه المعجز، وكان هو الوصي للقسيمة، هو الصورة والتصور، هو المانع وعلى اللغة المثل في حضرة جلاله الخصب.

هو الذي يزن العدالة بقوانينه النفسية، يضفي على القتل شرعة الحياة، ويهب القاتل وسام انتصار على الضحية.

هكذا وطّن أصابع الجريمة على براءة الشر، وابتكر للشرور تسميات تليق بمثلها في حضرة العراق.

أراد ان يكون كل الأشياء، وان نكون في الحياة التي نرضاها من بعض تلك الأشياء، ان نكون في البقاء من بعض أفضال رضاه، أو قناعاته بحياة أكبر من كل ما تمثله حاجتنا للحياة، ووجد في حياته أصالة تعادل عيشنا في طاعته.

يحدثنا عن الحب، وعن الثقافة، يشرح صورة المستقبل لعراقنا كما يراها، هي معنى لكل مفردات حياته. علينا ان نقلده.

ولم ينقطع عن وعينا بوتائر المسخ والتشويه، تنامت حالة الشر التي يجسدها حضوره في حياتنا، توأماً مع السيرة التي تتقدم زماننا المصلوب على الانتظار ومسامرة القهر بكل أشكاله الأرضية. حتى لكاد ان ينطق بلادتنا، وكأنه روح عليا من سماء لا راد لقضائها.

هو هذا «الصدام» الذي تقاطعت في مآثره صفات الانسان، والذي صدّق لفرط ما تعاطفت في خنوع الناس صورة بطشه أنه قدر العراق، وهو معبود من قنعوا بالكفر بغير ارافته، وبغير المعجزات التي يُمطر بها سماء العراق وأرضه.

نحن لم نطرح سؤالاً بعمق هذا الغياب، أو التضاحك على مسرح التاريخ، ولم نقل اننا نلجج سؤالاتنا المكموعة باتجاه نار الوجود، بلحذين عن معنى يبدد شكوكنا حول ما أسميناه دائماً حالة الشر التي تلبست منطق العقل، أو التي بذرت في حقول انتمائنا للعراق اسم هذا «الإنسان»، الذي يحاول السطو على موروث المعرفة في حياتنا، لنقول بفرح الاكتشاف المنبهر، اننا وجدنا مسيحنا، وإن الخلاص هو هذا الذي نلمسه في وقع «الافتداه» الذي صورته الجميلة «صدام».

ومثلما كان بالأمس حاول ان يكون اليوم، فهو امتداد لطغيان الصورة الشائنة في وجدان تدميرنا، وفي غمرة بحثنا عن اجوبة لا تدع لغموض السؤال مسلماً ينسرب منه. هكذا فتحنا العيون على الصورة الجحيمية «للإنسان» الذي تمنن علينا بالطلوع، والقبول بأن نساير حياته تمثلاً وتمثيلاً وصولاً إلى الاقتداء بهيئة القتل والخراب وزوال النعمة.

أراد ان يكون التعويض عن كل خسارة لنا في التجاهل، فهو نقيض الجهل، إنه ارتداد لتاريخنا، فهو في صورة حمورابي، وهو نبوخذ نصر، وهو تمازج الحضارات (نابليون بونابرت وتجاوز لحالة التقليد) الحجاج بن يوسف، فهو الأصيل، حتى وكأنه هو ذلك التاريخ، وكأن الماضي هو الحاضر، هذا ما كان صدام يوحي لنا به، وهو ما طمع ان يكونه اسراراً تستحق من حياتنا قدراً أوسع من الحيرة وقبول حالة البحث عن اجوبة موفورة القناعة باننا ازاء ارادة لا راد لوجودها.

في كل مسارات النجم هو الألمع، ولذا تحدث بنبوذة عن عظمة الشأن العراقي، منح العراق شاطئاً فيما تقلد هو فعل الربان، وَوَّع على العظمة بعضاً من طقوسه، ورضى بالظهور في طقوس التاريخ أصلاً، فهو خليفة استعاض عن الشورى بقراره القاطع رمزاً للعدل، وهو العسكري الفذ، مالك القدرة والافتداه، وبين الألقاب والاسماء والصفات تجاوز أسماء الله الحسنى. وبين التاريخ وبين حضوره تتراجع صفات المجد محسومة لاطلالته، فمرة هو قائد النصر والفيالق الظافرة، له الفتوحات والامصار، هو العطاء حيث تتكاثر أصوات الضارعين. هكذا عرفناه دون ان تكون المعرفة موشاة لحظة بنوازع الصديق في نفوسنا، وكان الخوف أوكسجين تلك الحياة التي انفتحت على تلك المعرفة، ولم نقل مثلما قال الغرب، ما الذي لا نعرفه عن صدام؟.

نحن وجدنا عرفنا صدام، أكثر مما صدق صدام يوماً انه يعرفه، وإن علينا ان نعرف من تلك المعرفة ما ينير لنا طريق التطور وبناء الحياة في عراق طمحن دائماً، ان لا تكون صورته، التي حاول صدام ان يكونها.

أكثر ما فعل صدام في حياتنا انه حاول جر العالم إلى القبول بفكرة انه هو العراق،

وسعى لجعل تلك الفكرة حقيقية يجسدها طموح قائد على شكل وطن وقياس حضارته وراثته، وهكذا حين بدأ الغرب حربه ضد «صدام»، كان الانتقام قد ضرب العراق في الصميم، قالوا انهم يدمرون صدام، فيما هم يدمرون كل التفاصيل الحسية التي تنطوي عليها حياة العراق، ولم تكن تلك حياة صدام ولا تفاصيله عديمة الاحساس.

ختل في قبو المعرفة التي افترضها، ترك للعراق ان ينوب عنه في تقبل الخراب، قال هذا ما بنيت ولن اهدم إلا في هدمه وانطفاء روح الحياة فيه، قال لن أغادره إلا وقد تحول إلى رماد، وما انفك يردد عبارات التحدي ساحباً المجد نحو هزيمته إلى القبو المحصن.

دائماً كنا نعلن من مواجه الشكوى ومن مرارة المنفى ومن جزع العيش في كنف البطش الذي يمثله صدام، إننا نحن أهل العراق أدرى بشعابه، وأدرى بطغيان حاكمه، ونحن من يرى أكثر وأبعد مما يراه طيران الحلفاء الذي قال انه كان يطارد صدام، فيما كان يطارد حياة العراق ومستقبل اطفاله، بحرب قذرة، ستظل ملازمة لاسم صدام ولحلفائه في الماضي، الذين سعوا لقتل العراق بجريمة أخطائه في الحاضر، الذي رمزه صدام الحاكم. لم نقل يوماً ان العراق يقبل الانتساب إلى الطغيان البليد، ولا إلى القهر الساذج، ولا للجهالة المؤدلجة بالعنف، لم نقنع في لحظة تفكير سائحة ان هذا «الانسان» يستحق حتى صفة دكتاتور، كنا نربأ بالمصطلح السياسي ان يسقط على مخلوق من هذا الطراز، وحين راح الوعي العراقي التنظيف يبحث عن تسميات وأوصاف واسماء تناقض تلك التي أطلقها صدام على نفسه وجد ان لا صفة تقبل الثبات على رأس السلطة التي مثلها.

ستحدث عنه بصفة الماضي، فهو الآن كما كان دائماً خارج حياتنا وان حسب عليها فسراً. منقول انه كان علامة عار في سجل حياتنا، سنسميه الخيبة التي رسمت حدوداً أوسع من نفوذها، وجرت الوطن إلى هاوية انهدام المقاييس، سنسميه غلظة افكارنا السياسية التي تصارعت في فجوة التحليل وخواء النظرية، ونلبسه معاطف أخطائنا، تاركين لثناء المنفى عظام موتانا، وللوطن ما تنأثر من خراب انتمائنا.

هل نقول الآن، إننا عرفنا صدام منذ لحظات اربابه الأول، وهو يطلق الرصاص على ١٤ تموز، أم نكتفي بأن نمنحه صفة القاتل قانعين بصفة الضحية، أم نركن إلى أفجع السؤالات بأن نجد فينا مكاناً، مساحة لجواب عن صدام الذي أراد ان يكون فينا دون ان نكون خارج الاسهام في صناعته، ناظرين إلى الهول الذي يرسم على صورة العراق من أفق لا يرتد إلا ناكساً بالويل واحزان التجربة المريرة مرددين مع الكاتب الالماني هاينرش مان وهو يتحدث عن الحكم النازي قائلاً: «نحن الذين عشنا التيه والتذبذب فترات طويلة، علينا ان نجاهر بالحقيقة، وقبل كل شيء لأنفسنا، بأننا نحن المواطنون. نعم نحن المواطنون، شركاء حقيقيون في إثم، كان وما يزال. « ولا نعرف متى وكيف سيزول... ؟



* الجفاف *

زهير الجزائري

- هذه آخر المدن، سيدي الرئيس، وبعدها تبدأ الصحراء . .
.. يبدأ الضيق على وجه العقيد وهو يراقب من نافذة الحوامة امتداد الصحراء اللانهائي والصمت الذي يسبق الكمين . وكان الهواء الساخن يرج المشهد تحته كما تحرك مياه المحيط صورة القاع، وتسحب الحوامة ظلاً يشبه الحوت على تضاريس ثابتة: مضارب مخروطية حادة الحواف وكتبان رملية من صدف ناعم يهرها ضوء الشمس . أخفت وراءها ظلالاً هلالية كثيفة . . يلوي العقيد وجهه قرب زجاج النافذة باحثاً عن طريق تتبعه والده الراعي إلى مصادر الماء . وارتجف قلبه حين لمح فجأة خطأً من نقاط سود .
- قبل عشر سنوات فقط كانت كل هذه الأراضي زراعية . وهذا الخط الاسود على يمينكم هو ما تبقى من بساتين غطتها الرمال المتحركة التي حققت انجرافاً في التربة بمعدل اثني عشر بالمائة سنوياً . .

استمع العقيد باهمال لوزير الزراعة يحدثه من مقعد خلفه، واستدار ليتابع خط الاشجار التي غمرتها الرمال . وضاع من عينيه آخر إثر من الحياة حين استدارت الطائرة بميلان خفيف نحو الجنوب . . وكلما توغلت الطائرة في الصحراء تأكد العقيد إنه خُدع . . لقد طوقوا قصره بجدران من أشجار السرو العالية تضمّ بساطاً من العشب الأخضر المبلول . وغطت النباتات المتسلقة جدران القصر والشرفات وزحفت ذؤباتها على زجاج نافذته، ورسم له وذرأه خط تحركه من القصر إلى دوائر الدولة أو إلى المزارع النموذجية . وتزلق سيارته المدرعة الفارغة على طرق مسفلته تحفّ بها من الجانبين أشجار كثيفة الظلال . . لقد طوقوه بوهم أخضر كالطحلب حتى اعتقد ان العالم امتداد لمدينته الخضراء . وقد خلقت رحلاته المتصلة، بالهليكوبتر، اعتياداً على الوهم، حيث تبدو

* فصل من رواية وحافة القيمة: معذة للطبع .

المساحات من الأعلى محددة بدقة ويأخذ النهر مجراه بهدوء، وتبدو الطرق مستوية مستقيمة وسطوح البيوت نظيفة. كل شيء هاديء حين تغيب التفاصيل ويبدو الناس، من فوق، نقطاً بطيئة الحركة. خذره هذا الوهم وملأه بدوار لذيد. الآن اكتشف ان المدينة التي غادرها قبل قليل ليست إلا نقطة في بحر الرمال الممتد حوله بكل الاتجاهات.

استدارت الحوامة بميلان خفيف نحو الشرق فاستقامت الصحراء جداراً لا نهائياً مال باتجاه العقيد فافسد قهوته. ولذلك أعاد الفنجان إلى مكانه متحسناً المرارة الطحينية في فمه.

... ثم زحفت الصحراء جنوباً بحدود ألف كيلو متر سنوياً...
ثبت العقيد ناظور المقرب على النافذة متابعاً نقطة مبهمه في متاهة الرمال، وضابته كلمة حبيسة في صدره وأغمض عينيه لحظات متذكراً تلك المزرعة النموذجية التي زارها قبل أيام... إنحنى ليتجنب العناقيد المدلاة من العرائش ورأى الماء الداوي المتدفق من المضخة والمزغرد في سواقٍ تخترق مروزاً من الآية المائسة... هل رأى ذلك حقاً؟... لقد رأى آنذاك لساناً من الرمل اخترق السياج الشوكي وغطى أغصان الخيار ورأى جرادة... أكان ذلك وهماً؟ وقبل ان يركب سيارته مغادراً المزرعة، وقد امتلأت روحه بعافية الخضرة، إقترب منه مهندس زراعي نحيل مقطب كالنحس... اخترق الحرس ووضع في يده مظروفاً دون ان يقول كلمة... «طلب نقل» قال العقيد لنفسه ودس الرسالة في جيبه... بعد أيام عثر على الرسالة التي نغصت فطوره لأنها قالت له، دون مداراة، ان ثمن الخيار التي التقطها من المزرعة تكلف خمسة دولارات وان ناتج هذه المزرعة لا يغطي إلا حاجات نخبة من المسؤولين والسفارات الاجنبية. ومع الرسالة خارطة رسمت بدقة مريضة لتريه ان المزرعة التي رآها واحدة من نقاط قليلة موزعة حول مدينته وسط مساحات صفراء مترامية من الرمال... كل ما في تلك الرسالة قال له «لقد خدعوك»... الآن تأكد إنه حبيس هذه الرمال السiale التي «تتحرك بسرعة ألف كيلو متر سنوياً»... لقد زحفت على روحه ولعلقت بالسنتها الراعشة لون الخضرة في ذاكرته ومسحت حافات مخيلته. وما عاد قادراً على ان يثبت فكره. وتلاشت همته أمام إتساع الصحراء فتابع أية علامة ناشرة فيها بلهفة المستنجد.

... هذه ياسيدي مقابر جماعية للأبقار التي ماتت عطشاً خلال أعوام الجفاف.
وتحسس الوزير ضيق العقيد من كل ما قاله فغطى الصمت بدففاع متواصل يلقي مسؤولية كل شيء على:
... عقدين من الجفاف قُلتَ فيهما نسبة المطر عن مائة مليمتر مكعب سنوياً.

ورغم ان العقيد لم ينظر أبداً في وجه وزيره، لكن شيئاً من الغضب الذي يكثر اسنانه قال للوزير: «استعد للتقاعد».

عندما اكملت الحوامة استدارتها الصعبة متحاشية دوامات الغبار، ارسلت الارض لعيني العقيد شعاعاً حاداً من الضوء: الماء!

. تناول الناظر ليتابع مسار النهر الفضي وقد دخلته ألْسَةُ الرمال وغيّرت مجراه مرات ومرات، وأحتمى بشاطئه خيط نحيل من الخضرة المغيرة. ومست قلب العقيد هذه المداعبة المميّنة بين النهر والرمال...

- هذا ما تبقى من الغطاء النباتي... ففي كل عام...

وضاع صوت الوزير في دويّ الطائرة الذي ارتفع فجأة استعداداً للهبوط. وقد بدت من بعيد نقاط مصفوفة على الرمال وصعدت غصّة الشؤم حتى حنجرة العقيد وهو يراقب صفوف الخيام الطويلة تقلد من جوفها اناساً يركضون وقد رفعوا رؤوسهم متابعين مسار الحوامة بأمل انها حملت لهم شيئاً من مواد الاغاثة. وبينما رفع الوزير صوته ليبلغ مسامع العقيد:

- حسب خارطة هاريسون، كان الحزام المطري...

قاطعه صوت وهاب وهو يأمر الحرس المستعدين داخل الطائرة:

- لا تعدوا أحداً يقترب من المدرج.

سار موكب العقيد على الطريق الترابي الفاصل بين المخيم والمقبرة... على يمينه امتدت حتى حافة الأفق صفوف من خيام رثة صنعت من مخلفات الاغاثة أو من جنفاص أكياس الدقيق... تصفعها الريح المغيرة وتنفضها وتبعجها ثم تلويها بلا هوادة مثل روح تحضر... من هذه الخيام يركض باتجاه الموكب اطفال عراة يبطون منفوخة واذرع نحيلة كالقصب احرق الشمس جلودهم وجففها الغبار... يقفون على جانب الطريق غير أبهين بالحرس الذين يأمرونهم بالابتعاد عن الموكب... تتالت وجوههم أمام العقيد من وراء زجاج السيارة ودوامة الغبار ووهن الحمى. يتطلعون إليه بعيون جاحظة رسمت شيئاً من دهشة ميتة على رؤوس تشبه الجماجم... وكلما اقترب يرفعون اليه طاسات وعلب صفيح ويفتحون أفواههم ليقولوا شيئاً يخصّه أكثر مما يخصهم، ولكن الموكب يمضي ولا يخلف لهم غير سحابة من غبار يعلق في الهواء ويرد الشمس بوهج كبيرتي. وتهتز الصور مثل رؤيا آتية من وراء الوهن والحمى وضيق الصدر. وكلما توغل أنقل قلبه بحزن يحزّ حنجرتة... فكّ أزرار سترته واتكأ على مقعده وربما قال: «هواء»، لكن الغبار الدقيق الساخن دخل اليه حالماً فتح وهب زجاج السيارة الأمامي.

- في كل يوم يموت خمسون من هؤلاء الاطفال بسبب الاسهال وضعف المناعة

والالتهابات الرئوية . . . لم يقل العقيد «كفى!» لطبيب المخيم . . . فلقد بدا له هذا الصوت المشؤوم رجماً لضميره أو لحساب ربه .

- ولدينا هنا، في هذا المخيم، وحده حوالي، خمسة آلاف طفل سيموتون . . .
التفت العقيد إلى حيث أشار طبيب المخيم، فبدت له مقبرة الأطفال تلالاً وأطنة من تراب جمع بعجالة على امتداد الطريق. وفي نهاية خط القبور كان بضعة أطفال وشيخ يدفنون آخر الموتى. وحالماً اقترب الموكب ترك الشيخ القبر مفتوحاً وأقبل - يحجل على عكازته والريح تطوح عباءته السوداء الكالحة ولحيته الشنقاء ومدّ باتجاه العقيد اصبعاً كمن سيقول له نبوءة سيئة . . . أراد العقيد ان يحبيه من وراء الزجاج، لكن ذلك يشبه موعداً مستحيلًا فاتكأ على المقعد غير راغب في النظر أو الاستماع، ولا حتى التفكير بأي شيء، ومطأ عنقه باحثاً وراء خيام الجوع والغبار عن واحة واهمة من خصرة وندي. وفي دخيلته توصل السيد الحائري ليمنحه وعداً أو شفاعة . . .

- لدينا من العدس وعصيدة الذرة ما يكفي ربع أطفال المخيم ولأسبوع فقط ولذلك حلفنا الشيوخ من حسابنا . . .

وصل العقيد الى المنصة الخشبية التي توسلت ساحة المخيم. من الواضح ان الادارة بدلت جهداً صعباً لتزيين المنصة بالاعلام وصورته، لكن الريح مزقت الأشياء بسخط ولؤم . . . استند العقيد على ذراع وهاب ليصعد الدرج. ومن وراء نظارته السوداء رأى مشهداً مرتجاً من هياكل آدمية يدفعها الحرس باخامص البنادق. وفكر وهو يواجه الحشد وبينهما المايكروفون: «لماذا يتحتم عليه ان يتحدث، وما الذي سيقوله؟». وتقدم وكأنه نسي دوره قبل العرض، ولكنهم دفعوه وهو لا يعرف أول كلمة من خطبته، بل لا يعرف من يخاطبهم ولا يريد ان يعرف أكثر. أول عبارة قفزت إلى ذهنه وهو يقرب فمه من المايكروفون «رئيسكم يوشك ان يموت»:

- السلام عليكم يا أبناء هذا الشعب المعذب!

اعادت الريح السريعة المنخفضة اليه كلماته الآتية من مكبر الصوت. وصدم حين عرف ان هذا الصوت المذبذب الآتي مع ولولة العاصفة هو صوته . . . ومع صوته حملت الريح حفة من رمال ساخنة غمرت انفه وشواربه وجرحت جفونه وشفتيه وحنجرتة .
- صد . . . صدقوني . . . إذا قلت لكم! . . .

وبقي صامتاً ليستحضر الجملة التالية . . . يريد ان يقول شيئاً مخلصاً يدخل قلوب هذا الحشد المعذب، لكنه يدرك ان سنوات من التجربة خلقت ركماً من الشكوك بين هؤلاء الناس وبين من يحدثهم أو يودعهم . . . كيف تستطيع الكلمات ان تفند الجوع والموت الحاضر

في كل لحظة . . لا يستطيع لا يستطيع . . فهو أسير خطاب واحد وباتجاه واحد . . من حاكم إلى رعيته . وأوشك ان يقول «إني أعيش مأساتكم هذه لحظة لحظة» ، ولكن تعذر عليه ان يمسك بصيرته في دوامة الغبار . ورأى بين الوهم واليقين ايدي نحيلة سوداء تلوح أو تبحث عن شيء ضاع في دوامة الغبار: «هذا هو الجحيم» قال لنفسه وقد هاله إن هذا الجحيم يمتد إليه بالتحديد . . الايدي الممدودة من وراء طرق الحماية والعيون الجاحظة كما في لحظة الحياة الأخيرة والافواء الفاغرة المحطمة الاسنان . . تناديه أو تلعنه حتى دون ان تقول شيئاً . والريح المولولة تحمل له غبار الأرض الجافة . . كل شيء يضرب حبال روحه النحيلة . ولا يدري كيف صرخ:

- إن ما رأيته اليوم . . .

وارتدت اليه كلماته من وراء عالم الرمال . وضاعت كلمة «عذاب» أو «عقاباً» في أنف اختلطت بالعاصفة . . وطال صمته فقد شغلته الاذرع التي تهرش الهواء والضوء ، والوجوه التي لا تحمل تعبيراً غير الموت «عما قليل سيموت عدد منهم» كما قال طبيب المحيم . ومن الطنين الحاد سمع صوتاً يناديه:

- يا رئيسنا الجديد! . . .

ولكن الجملة انقطعت وفقد وجه قائمها لسبب لا يدريه . ولأول مرة يكتشف على الأرض قبح ما امتلك . . ولعن من دعوه من زنزانته لـ . . . ليحكم ماذا؟ عالماً من اشباح ورمال هائلة سيتلاشى عند أول زخة مطر . . ومع ذلك عليه ان يقول شيئاً يفند ما يراه . عليه ان يفعل شيئاً لا يرضاه من رعيته: ان يكذب . لا مفر من ان يفعل ذلك لتهدئة هياج هذه الارواح ، ولكي ينوم جوعهم على أمل ما . فما أصعب ان يموت الانسان بدون أمل بالشفاء!

- اعرف ان الوعد صعب . ولكني لا أطلب إلا الصبر . . فهذا العذاب ثمن ضروري لرفاهية الاجيال . . وقد دلت المسوحات الأولية ان تحت الأرض التي نقف الآن عليها بحاراً من الذهب الاسود . . .

وأفلتت الرمال من امر الأرض واندفعت لولبياً تولول وهي تحنك بعمود السارية فوقه ، وخفقت الاعلام بقوة ، في محاولة للاقلات من حبالها ومادت الأرض تحت العقيد واحس إنه يفوص مع الأشياء باستواء في الرمال وليس ثمة ما يستند عليه . وقد إرتج عليه القول وهو يريد ان يملأ الصمت بكلمات تنطلق على عواهنها

- إن مجد هذه الأمة وعزتها ومستقبل اجيالها امانة . . .

لكنه لم يشعر إلا بحضور العدم الثقيل . ولمح من وراء الغبار وزحمة الاشباح ذلك الشيخ النحيل بعباته يرفع يداً نحيلة كمن يحفره من شيء وشيك الوقوع .



الفاس والشجرة

سلام ابراهيم

منذُ غبشة الصباح استيقظ معصور القلب .. كامداً .. حزناً ..
 .. ليس في الأمر مزحة .. انه ليس تمريناً ..

أزیز دوران المروحة . ط . . ر . ط . . ط . . ر . . ر . . ر . . ر . . ر . . ر . .
ینکمش فی قرفصته بین اجساد الجنود التي تكتظ بهم مصطبعا الطائرة . أصبح الضجيج
موصولاً . خیطاً طویلاً لفه وهبط بقلبه إلى قدمیه . تثر الطائرة فی الاعالی وتحتها تمتد
الابسطة الخضراء المتموجة سابحة فی بحر الشمس الذهبي، المروحة صارت دائرة
شفافة . مرتجفة . وجوه الجنود الیافعة . الحلیقة ، شاحبةً تتبادل نظرات متوترة وتبرک فی
صمت قلنی . ط . . ر . ط . . ط . . ر . . ر . . ر . . ر . .

- سنطوق القرية.. انها وكر للعصاة.. اضربوا دون رحمة!!!

أَنْتَ . . وَأَنْتَ . . وَأَنْتَ . . أَخْرَجُوا مِنَ الصَّفِّ . . اسْمَعُوا . . أَنْتُمْ سَتَشْتَرِكُونَ لَأُولَ

مرة مع فصيلي لتكن قلوبكم قلوب رجال.

استمرت بنفسه رغبة في التدخين، وتأمل الوجوه بشرود. غار في التفاصيل المجردة. أشكال القسمات. أحجامها. أنف طويل.. أنف مفروش، عيون واسعة، شفاه مكتنزة، عيون ضيقة شفاه خيطية.. عين حواء.. وأخرى جاحظة. البدلات المرقطة تخفي الاجسام كجلد صنفع يتلون بلون المحيط.

في الاسفل وعبر مرآة الهليكوبتر ترمى الحقول وأشياء الأرض. وعلى بعد مسافة بلدت في الافق ثلاث طائرات بحجم الذبابة، صغيرات، دبقات، يخدشن زرقا السماء، يحافظن على المسافة الفاصلة بينهما. الجندي الجالس لصقه غفا على كتفه. كان معه خارج الصف والضابط يوصي بالرجولة. تأمله. بشرة طرية كالزبدة، لا شعر في الذقن. لا شارب.

تدور المروحة. تضحج الأشياء حوله بالصمت. فصلُ قسمات وجه نائب الضابط الجالس قبالة بشرود. أنف ضخم. فم كبير. صف اسنانه العليا دفع الشفة وأبرزها. عينان ضيقتان مكرتان. سمعه يهمس لرئيس عرفاء. لم يفهم من مهماتهما شيئا ربت على خد الجندي الغافي، وقرقص ماسكاً بندقيته بين فخذه. هبطت الطائرة وجعلت تحوم حول وإذ أخضر انتشرت في قمره بيوت صغيرة بدت كنقاط باهتة. الطائرات الأخرى توزعت على التلال المحيطة. تعلقت في الهواء ساكنة. فتح نائب الضابط باب الطائرة. شرع الجنود بالقفز. أمسك خوذته الصفيحية المشبكة بالحيال ونط في الهواء. تدرج على العشب غير شاعر بمتعة قفزات التدريب بل ألمت به غصة وكآبة متوجسة من مجهول اللحظات القادمة. وأثناء تدرجه عاودته عينا ابيه اللتان لم تغيا عنه منذ بكرة الصباح. تثر القذائف مارقة من فوق رؤوسهم، واصوات انفجارات هائلة وحرائق اندلعت في اكوام التبن وزرائب الحيوانات المنتشرة حول القرية. انحدر مع صف الجنود المقوس صوب البيوت الطينية المغطاة بسحب كثيفة من الدخان. رمى بصره فلاحظ الطوق المرقط على التل المقابل ينزل. تقلصت الدائرة. ضاقت. اطبقت على كتل البيوت الطينية.

. أين هم العصاة؟ ها هو أول بيت.

من كوة دائرية في الجدار ظهرت فوهة بندقية وزختمهم بصلية. انبطح على الأرض ضاغطاً على الزناد غريزياً. البيت الذي صدرت منه النار صار جداره منخلاً. وأبتداً يحترق بعد ان اصابته قذيفة «آر. بي. جي ٧» فتائل اللهب تتصاعد من دوائر الشبايبك من كتلة الدخان الابيض إندفع جسد يركض باتجاه رقدته محني الظهر. كان يطلق النار عشوائياً قبل ان يبلغه تكوم ساكناً دون حراك. جلس متربعا وتلفت حواله. إلى جانبه على بعد مترين سقط الجندي اليافع الذي غفا على ساعده في الطائرة ميتاً. كان يتمدد بسكينة مطرز الصدر بالثقوب المدماة. وأمامه على بعد ثلاثة أمتار انكفاً القتل الآخر على جنبه. كان شاباً جميلاً. حلق الذقن تنقع شرواله العريض بالدم، شرد بعيداً. بعيداً، وعاد يقلب نظراته الحزينة بين الجندي والقتيل. واخذته الذاكرة إلى مسافات الطفولة البعيدة، والعودة إلى البيت. . . وابتقى ذلك اليوم واضحاً كالامس حينما استقبلته اخته الكبيرة بوجه يلمع فرحاً، رمى كتب المدرسة على تراب الحوش وركض إلى الغرفة المعتمة، وفي

زاويتها رأى اخاه الوليد يرقد وسط سلة من الخوص ملفوفاً بأقمشة بيضاء. . . كان يقف وسط الحرائق وألسنة النار وكل الدخان الاسود والصراخ واصوات الرصاص المتقطع والعيول. أحس بالاختناق. أسرع داخلاً بين صفوف البيوت، وهو يسعل من الدخان الكثيف المطبق على أزقة القرية. . . وجمده المشهد. . الجنود يطلقون صليات في الهواء، وما بين ارجل النسوة الهاربات من بيت إلى آخر. . طفل ينزف من رأسه ويركض صارخاً. جنود يخرجون من الغرف حاملين حاجيات متنوعة قطع ذهبية، ساعات يدوية، حقائب، جلود، ملابس،. . آخرون يكونون ظهور الشيوخ بأخمص بنادقهم. . جثث صبية ممزقة قرب الجدران.

اخترق سمعه صراخ أجوف يأتي من باب قريب. . دفعه ونفذ خلاله إلى غرفة فسيحة. جمده بمكانه. . نائب الضابط يتوسد امرأة شابة أرضاً. كانت تصرخ وترفس بساقها العاريتين المرفوعتين. . وهو يخور كالثور ويدفع بوسطه العاري ضاغطاً ما بين فخذيها البيضاءين، وفي زاوية الغرفة يفحط طفل لم يجاوز السنة. .

- أتركها. . سافل.

انتفض نائب الضابط، والتفت إليه مرتجفاً للوهلة الأولى بينما زحفت المرأة ممزقة الثوب، مثورة الشعر نحو طفلها الفاحط. ارتدى بنطاله قائلاً:

- دعنا نستمع سوية!!

- أخرس. . كلب.

امتزج الغضب في تقاطيعه بوميض لذة حيوانية ناقصة. تناول بندقية بيد مرتجفة وخطا نحو الباب مقترباً من وقفته. أصبح إلى جانبه تماماً. . ثم لم يحس إلا بالرفة تدور به بجنون. . فترنح متداعياً إلى الأرض غير شاعر بشيء.

عندما فتح عينيه لغته غمامة بيضاء شفافه مكتظة بدوائر مسننة الحواف. . تدور. . وتدور. . تتداخل تقترب. . تباعد. . ثم وضحت الرؤية فميز خشب السقف الحائل اللون. . واجتاحه صفير ألمس. . صفير أهوج. . طويل.

. . أين أنا؟ . . ما الذي حدث؟

الصمت يطبق على الغرفة. . و. . و. . استذكر اللحظة التي أهوى فيها النائب ضابط بأخمص بندقيته على أم رأسه. جلس نصف جلسة ومسح بعينيه الغائمتين جدران الغرفة. . امرأة مكسورة. . قصص خشبي صغير. . ملابس طفل معلقة على حبل يقطع الغرفة. . استكانات شاي محطمة. . ابريق ماء مقلوب. . دولاب خشبي صفت فوقه افرشة نوم. نهض بصعوبة مستنداً على كفيه. . وانجذبت عيناه إلى زاوية الغرفة. ارتد فزعاً إلى الجدار وأخذ يرتعد كمحموم. المرأة البيضاء عارية تسبح في بركة من الدم وطفلها إلى

جانها مهشم الرأس . شعر بالغيثان . . دارت به الغرفة . . تمسك بالجدار العاري خلفه . سكن للحظات عاصراً رأسه براحة كفيه قبل ان يندفع باتجاه باب الغرفة الخفيض الزقاق خالٍ إلا من دخان الحرائق ، واصوات صليات متقطعة تُسمع من الطرف الآخر للقرية . صفير أخرس انبثق من سكون رأسه . . صفير موجع يكوي الروح . . وقبل ان يستدير صاعداً باتجاه مصدر الاصوات سمع نشيجاً مكتوماً ينبعث من خلف جدار قريب . توقف متحسباً المكان . كان ثمة جندي يبرك لصق جدار الطين مغطياً وجهه بساعده وخائفاً عويله الذي يخرج متقطعاً . . خافتاً بادره :

۴. ماذا بك .

كفكف دموعه المنهمة وتصنع التماسك وأجاب:

- لا .. لا .. لا شيء .. لا شيء ..

- أين ذهبوا ؟

- إلى المقبرة

۔ ما الذي يجري؟

© 2004 Blackwell Publishing Ltd *Journal of Internal Medicine* 255: 105–112

خلف جدارٍ مقابل لمح جندياً مذعوراً يختبئ.. صعد باتجاه المقبرة لاهثاً .
والصغير الآخر سار طنين خلية نحل مستاثة .. ز . ز . ز . ز . زرزرز . الجندي
البارك لصق أسفل الجدار عاود النشيج .
- ... نائب الضابط المنحط .. سأرميه ...

ومن بين ساقى شجرتي بلوط متقاربتين أبصره يدفع شيوخاً أكرداً وفتية بفوهة رشاشته إلى حفرة واسعة حُفرت حديثاً، ويأمر الجنود الممسكين بالمساحي بأهالة التراب. الضابط في وسط المقبرة المشجرة يعطي إشارة الرمي على ثلاثة رجال شدوا إلى ساق شجرة توت ضخمة. في طرف المقبرة البعيد الجنود يكبسون النسوة والأطفال المعولين في عربات أيفاء عسكرية.

- أنتَ .. وأنتَ .. وأنتَ .. وأنتَ .. وأنتَ .. خطوة إلى الامام .. لتكن قلوبكم
قاسية، اتركوا التفكير بكل شيء : ركزوا على الثأر من الخونة!!!!

تشوشت الاشياء بذهنه . . ز . . ز . . زرزز صغير . . صمت الضجيج . . نشيج
الجندي البارك اسفل الجدار . . صمت . . ز . . ز . . زرزز . . نحن ندافع عن حياض
الوطن . . زرزز . . ز . . صغير جسد القروية العاري السايح في بركة الدم . . الطفل
المهروس الرأس . . ز . . ز . . ز . . ز . . صغير أخرس . . رقاب الرجال الثلاثة المتدلية
إلى الصدور . . صراخ متصل . . صراخ النسوة المحشورات في عربات (الايافا) . . أيديهن

المتضرعة إلى السماء. صفيير املس يسوط الروح. . ززز. . ززز. . ززز كان الضابط يتكىء على ساق الشجرة مائلاً، يدخن برعق وهو يراقب الاجساد والاكف التي تصارع التراب. . عويل الاطفال. . زز. . ززز. . ز. . صفيير مخيف، فزع العيون المغيرة الاجفان. . الصرخات المختنقة والمتقطعة بذرات التراب المتساقطة من أكف المساحي. . صفيير معدني يخدش القلب. أخذ يرتعد وهو يقترب من الضابط مهلود المفاصل راغباً بالتلاشي.

- مستعود ذلك -

• • •

- کن رجلاً

• • •

صمت متفجر.. صمت حبس الصغير.. وجه الضابط يفتح.. يتطوى..
يصغر.. يصغر.. يستدق النهاية.. صار رأس افعى*
كان يقف أمام الضابط محتقن الوجه، ثقل اللسان، عاجزاً. أخرس، مشلولاً..
كاد يرتمي باكياً وقبل قدمي الضابط.. يتوسله ليقف ما يجري.
- اذهب واركب في الدفن ان يعجبك!!!

و . . ف . . ف . . ف اجتاحته ريح مجنونة، حارقة هبت من عينيه اللاهتين . شارك
شارك . . شارك . . بالدفن . . بالدفن . . بالدفن . . بالدفن . . ف . . ف
خطا خطوة واحدة ثم استدار وهبط مستنداً على ركبة واحدة بمواجهة الضابط . .
وضُوبَ بأصابع جامدة نحو الرأس قبل أن يشعر بحرارة الرصاص تلهب جسده وتجعله
يحلّق في فضاء شاسع جديد .

شباط / ۱۹۸۸



علاء حسن صالح

شاخصٌ في خرابِ الدماءِ الحديدِ الحجرِ
نابتُ في رمادِ المعاني
أسميكِ مقصلةً في ضبابِ العدمِ
- أمقصةً من ذهبٍ؟
لنكنْ هكذا طالما الظفرُ ممتنعٌ صنعه عندها.
تدليتُ من حلمي
كأمعاءٍ من قُتلتُ في مساءٍ
الذهولِ المريرِ، تحتَ
جسرٍ عتيقٍ يغني وحيداً
كأدمَ إذ مسَّهُ العشقُ مساً لطيفاً
أورقتُ شفتي
هيكلاً بين الصمتِ والحزنِ
والطلعِ والأحمرِ العريِّ الجميلِ
- أنتِ أيها الأحمرُ العريُّ
أكلما سفكوا منك شيئاً
سموتَ عليهم وأدميتهم؟
شاخصٌ، نابت، تدليت، ما مسني

مُسْنِي ، وَلَسْتُ الْمُطَالِبَ بِجَرْدِ الْحَسَابِ
لَسْتُ الْمُدَاهِنَ هَذَا الضَّبَابَ

ظِلَالُ اسْتِقَامَةِ ظَهْرِي
تُرْمَمُ كُلُّ هَذَا الْخَرَابِ
وَتُعْطِيهِ إِسْمًا جَدِيدًا

تُعَمِّدُهُ فِي صَبَاحِ الْمِيَاهَاتِ تَأْتِي
مَطِيَّةٌ بِأَزْيَرِ النَّبَالِ الذِّكْيَةِ تَأْتِي

كَسَرَبِ نَوَارِسٍ يَغْمُرُهَا غَسْلُ الْهَجَرَاتِ تَغْنِي :

- يَوْمَ أَنْتَهَتْ حَرْبُهُمْ

بَدَأَتْ حَرْبُ أَطْفَالِنَا .

وهاه أمريكا وصلت هيه وصلت أمريكا إغضى الحادي وانقطعت خيوط العناكب الأليفة للساهرين حيناً
خلف خرافات الروح فهمهموا لقد انتهى التشديد بفتح كما حلم شفيف جاء في غير أوانه وانفتحت عينان
مجهولتان ناظلتان من الأوجاع والشرر الفرعي على جبلين منهارين من المصالحير والاسماك الملونة سراً وأراك
تهبطين من عليائك البيضاء أخطبوطاً من الحراب والمسامير المجنحة وشتائم رعاة البقر الجنسية المنتفاة
بمهارة رواد الفضاء المزودين بما يكفي من التلالم والاكسجين الأبيض كراياتك الخفافة والتي ترسل في
أماسي الصيف الأطلسي أنيناً مهسهاً يشبه سريان الدماء من جرح في خاصرة الولد علي بن محمد عامل
السكك القرمطي فيا لها من رباب تلك التي تَقَعَتْ طويلاً في عصر الأناجيل المترجمة رغماً عنها والأمصال
الزرقاء المستخلصة من ثلوج أوروبا المقافزة إلى عنصريتها ودعها الأزرق النبل من شباك نزوات التاريخ الماكر
هذا الدم المعلن عنه في راية الاتحاد الأوروبي^(١) والمسجل كرميد مضارب حسن الطالع كامصال للوج أوروبا
- المعجوز السالفة - كما ودعها ليون تروتسكي من عرض البحر^(٢) وأوروبا التي طردها تيير^(٣) من فردوس فائض
القيمة والقيح وانتخابات الرئاسية كل أربع، خمس، سبع سنوات من الموت المعقم بعد أن أحال جمرها
إلى سماء من النوع الممتاز لأجسام تيير لاشير^(٤) ولكن الشبح المدمي بحملات الخراف السلافية الحمراء
واصل طوافه المبارك رافعاً قبضته الشبيهة بغيمة ملهمة من البارود والمويل المنشق يملأه الجوع ذاهباً آيماً
من يوخارست ذوي الأبواز السود^(٥) إلى مدريد الأوانس الثرسات ومن مدريد الأوانس الثرسات إلى
يوخارست ذوي الأبواز السود محرراً الخطوط الامامية على مواصلة الحياة ناثراً إبتساماته العميقة كالماء
المملح على المقابر الحانات المختبرات السرية الأزقة السمراء المعلقة من ظفائرها فوق الساحل المقابل
للأطلسي المكثف بآلام القرن الماضي والحاضر المطرور يترك دعاء الهنود الحمر والسود والسمر والصفر
والبيض في القرن القادم نعم البيض ما لم يوضع حد لهذا الموت بعدد السيف .

وهي لمنة - فولا كوير^(٦) - تطاردك يا أمريكا^(٧) نجاة لروحك التي اصطبغت بالعامل البرتغالي^(٨) وروحك
المرطبة بالفقاعة^(٩) من الدرجة السابعة

ما انهزمَ الجندُ
 لكنه الجبُّ^(١) ثانيةً
 إنه الجبُّ عاشرةً
 والشفاهُ التي أدمنتُ
 فعلَ أمرٍ يقولُ: انسحبْ
 يومَ كُلِّ القواميسِ صاحَتْ: تقدّمْ
 ما انهزمَ الجندُ
 لكنهم هُزموا
 نفَذَ الجبُّ خطتهُ
 نفَذَ الذئبُ نزوتهُ
 مرقَ الذئبِ أبناؤه
 وحينَ أفاقَ من دميهمْ
 استفرَّ الوحوشُ التي أنجبتَه
 - لكنها الحربُ والحربُ حربُ
 لكنها الحربُ والحربُ حربُ
 لكنها الحربُ
 - تلكَ ترنيمةُ
 أنتِ لا تُتقني غيرها
 - لكنها الحربُ
 - هنيئاً إذن
 هنيئاً لك الكأسُ مترعةٌ بالدماءِ
 هنيئاً، و...
 - لكنها الحربُ والحربُ حربُ
 هنيئاً، ولكنهُ
 المدُّ والجزرُ يا قاحلتي
 والعدو المقيم معي

في قلاعي غمداً لسيفي
لكنها الحربُ

هنيئاً أمريكا لكننا

لم ننته بعدُ

بل يقيناً

نكون ابتدأنا.

«رفع الرجلُ المرحاضُ المرحضُ بنظراتِ الصحفيين والصحفيات كأسَ الشوّة والثأر من هاتي بعل'''
فترضت وجوده المخابرات المركزية وتحولت تلك الفرضية بحكم الزكام المزمّن إلى يقين من السيراميك ثم
تناول بمرح رزمة من علامات المساواة الذهبية وراح يعلقها على صدور العنزيين لكن واحدة من هذه
العلامات (الأوسمة) سقطت من صدر عنزي ضريح القلب واستقرت بين حقوق الإنسان الثمينة وحقوق
الإنسان المشوي فاحتج العنزي بأنجليزيتِه المتينة رغم أنه لم ير شيئاً واستمر الحفل بين أكذاس الأكياس
البلاستيكية السوداء وهذا كفن حضاري جديد تقترحه عليكم أمريكا الطيبة عليكم وليس على أجدادكم ومنهم
جدي الذي يرقد منذ عقود في رمال النجف متمنياً أن يكون معي معكم مع الباكين في قوس الألام الممتد من
العامرية والمابر إلى غرة، بني غازي، تونس، وهران، غمان، مراكش، وليس مع الرافضين تلك الليلة الليلاء
في تل أبيب والكويتيين والبحرين''' والهولاء أفتح راحته المجرّحة بالصليب المسنون''' وما نمة نهاية
لبنكرات أوروبا فأراكم تقترحون على الرايات سماء أخرى وأرى شيئاً يشبه أمريكا يغرّب رويداً رويداً كما
قطرة من دماء في بركة زيت أسود وهذا أمرٌ سيضحك كل الرحالة والجوالين في أصقاع الشريان العربي
لماذا؟»

ولالأحمر العربي عطرٌ مخيف

وأجنحة لا ترى

لَهُ طعمُ هذا الثرى

لَهُ رَغَبٌ من حنينٍ وماء

لَهُ خفقةُ الصقر

والتماعُ الجواد

ولك الاسماءُ الأخرى يا قاحلي

أمريكا، قافلةُ النملِ الأبيضِ ومهدٌ من ورقِ النشاف

أمريكا، ضبيعٌ يجترّ عظاماً، رملاً، ودخان

أمريكا، ركضٌ بثلاثة سيقانٍ دونَ مسافات

أمريكا، إله من شمع يتقيأ كلساً وعقارب
 أمريكا، شرائع من قلب الزنجي وقلائد^(١٣) من آذان الحمر.
 أمريكا، كرش يكتض بأسمك البورصات وشعر الأباط
 أمريكا الزنخة الفجة الهاذية
 أمريكا جوهرة الصدفة والأضداد
 أمريكا، الرغبة ذات الانصال الزرق
 أمريكا، القتل وشبه القتل وفوق القتل وتحت القتل تجذ أمريكا.

«أما ما كان من أمر الفلاحين، فقد هرعوا ألوفاً مؤلفة يجتثون عروق الدولة المهزومة عرقاً عرقاً وكانوا يميلون للحمرة كعادتهم في قلب الهزائم إلى أعراس يختلط فيها العرق بالبارود بصمت النخل بالهوسات وها ها ها ما تمالك خل يتحنى بدم شوارزكوف نمالك خل يتحنى ويسرى الهواء الأبيض البارد في أخاديد الروح لكنه الجب متناً هذه المرة ولست ممن يجعلون دماء الحسين سلماً للوزارة سيدتي..»
 «أما ما كان من أمر وزير الداخلية في المملكة الحولاء فقد وقع يومها أمراً بالقضاء القبض على أبي العلاء المرعي الذي يقترح الفلاحون تجريد من لقيه هذا وخلع لقب - المتنبي - عليه:

أقسمي لا أعد الحجاج فرساً
 ففي بطحاء مكة شر قوم
 قيام يدفعون الوفد شفماً
 إذا أخذوا الزوائف أو لجوهم
 ولا تثقي بما صيغوا وصاغوا
 أنتهم دولة قهرت وعزت
 على عجز النساء ولا العذارى
 وليسوا بالحما ولا الغيارى
 إلى البيت الحرام وهم سكارى
 ولو كانوا اليهود أو النصارى
 فقد جاءت خيولهم تبارى
 فبساتوا في ضلالتها أسارى

من اللزومية الثانية والثلاثين لأبي المرء الـ

وداعاً أمريكا
 لا شرايين في تاج الحمى
 لتسرب الدموع
 بين جمر الأحقاد

بين نخيل لا شفاء له
 المرأة الغامضة
 تلوك بأبهة
 أصابع القمر
 فاضت العتات برائحة الهيل والثلج
 وما ثمة ثلج في قرون الحقيقة
 سراق عظيم من الأئين والآمال
 يتصب مرتعشاً
 تحت سماء العراق والحب
 لا فراغ في روح الذئب الأعمى
 لتفور الجذور
 عميقاً في لبّ الرعب
 ليعلو دوي الأسماء الحسنى والذهب
 ها هي بذور الباقلاء
 تنفلق اللحظة
 بين ظفائر دجلة
 والمرأة الغامضة
 تلوك بجنون
 أصابع القمر
 هي جوهرة الدهور
 وعلى خدها الناصع
 قطرة دم صغيرة
 وداعاً أمريكا
 جوهرة الدهور أنت
 لكنها محشوة ببراز الحكمة.

- (١) راية اتحاد دول اوربية زرقاء اللون تتوسطها دائرة من النجوم الذهبية يعبد الدول الاعضاء في هذا الاتحاد ولون الدم الاري الذي يفاخر به العنصريون الاوربيون لزرع هو الآخر، اهي محض مصادفة؟ السؤال ليس موجه للاشتراكي ميثران؟
- (٢) كان ليون تروتسكي قد كتب أثناء رحلته «إنها المرة الأخيرة التي ألقى فيها نظرة على اوربية العجوز السافلة» - النبي المنبوذ، ص ٤١٠.
- (٣) تبيير رئيس الوزراء الفرنسي الذي تولى ذبح ثوار كومون باريس بدموية ندر مثيلها وقد لقبه كارل ماركس إثر ذلك بـ «الخنزير الدموي تبيير».
- (٤) مقبرة في باريس دارت فيها آخر معركة بين القوات العمالية الثورية وبين الجيش البرجوازي وقد أطرى كافة المؤرخين ضراوة ورسالة المقاتلات من نساء باريس بخاصة.
- (٥) ذوو الازواج السود، بالفرنسية «Les - gueules noires» لقب أطلقته وسائل الاعلام البرجوازية على عمال المناجم الرومان الذين اقتحموا العاصمة بوخارست وقضوا على المؤامرة الفاشية التي استهدفت النظام الجديد الذي أطاح بنظام الدكتاتور شاوشكو صديق الصهانية الوحيد في اوربية الشرقية آنذاك.
- (٦) فولاً كوبر: طفلة زنجية امريكية قتلت صديققتها تحت تأثير المخدر فحكمت عليها المحكمة بالسجن لمدة سنتين عاماً، ويبدو ان العدالة الامريكية فكرت فيما بعد بأن بإمكان هذه الطفلة ان تخرج من السجن ولها من العمر ما يسمح لها بالتمتع بالحياة فبادرت - المحكمة - إلى استبدال هذا الحكم بعقوبة الاعدام وقد نفذ الحكم فعلاً وبسرعة. «شهادة مصورة أدلت بها الطفلة فولاً كوبر قبل تنفيذ الحكم وقد عرضت هذه الشهادة في البرنامج التلفزيوني الخاص بالذكرى الثلاثين لقيام منظمة العفو الدولية، عرض البرنامج على شاشة التلفزيون السويسري ظهيرة يوم ٢٧/٥/١٩٩١».
- (٧) العامل البرتغالي: سلاح كيميائي استعمله الجيش الامريكي ضد الثوار الشيوعيين في فيتنام وما زالت البلاد تعاني من آثاره المدمرة حتى الآن.
- (٨) الفقنائة: مرض فقدان المناعة والذي يجعل في مراحله المتقدمة جلد المصاب أرقطاً، معروف ان هذا المرض المميت لا دواء أو لقاح له حتى الآن.
- (٩) الجبّ: ما أكل الذئب يوسف، لكنه الجبّ.
- آه من الجبّ في الأمة العربية آه - مظفر النواب -
- (١٠) الجنرال الدموي شوارزكوف أعرب عن خيبة أمله وشعوره بالاحباط لأنه لم يستطع ان يبيد الجيش العراقي يرته ويثار من القائد الكنعاني القرطاجني هاني بعل الذي أباد القوات الرومانية إبادة تامة في معركة كينكووي وحاصر روما ذاتها زمناً طويلاً.
- (١١) البهرين: البحرين سابقاً.
- (١٢) الصليب المسنون هوشعار الحلف الاطلسي، ولا أدري إن كنت، لسوء الحظ، العربي الوحيد الذي لاحظ ذلك.
- (١٣) هي قلائد من أذان الهند الحمر كان أعضاء الحركة التطهيرية وهي حركة دينية امريكية أخذت على عاتقها تطهير امريكا من سكانها الاصليين، يعلقونها حول أعناقهم.



جبل الاحلام

عزيز السماوي

صليت الحلبجه او وجنّ اچفوفي عرگ من نار
حزين الجبل يتنفس سموم العار
كل شهگة طفل
صوت
او ذبح
غدار
صراخ الناس .. بالظلمه
نجوم ..
من الغضب والنار
«خردل» يوجّ بالصدر موت ولهب وحجار
نطیح .. أعيون مذعوره
سهيل من الترف
ظلمه
او قَلْكَ دوار.

أبدأ . . ما يموت الريح . .

يهتز ضمير الحجر ويصبح

كل المدينة جثث تصرخ بالتزف وطيح

دخن هذاك الكمر

اظلم

وكع

بالريح . .

وينك ياعراق الناس .

يا ليل المحبة وللمحب كاس

يا دمة صديق اعله الوجن نجمة صبح تنباس

اعرفك ترفع الراس .

صهيل اول حضارة او شيلة الراس

سومر . . بابل . . او آشور

خبول من اللهب

بين الكتب . . تنباس .

توج اجفوفي الك كمر:

هذاك انت الحزين

انهارك

اتغني

وتهيم

أويلي انت

أويلي انت

صديق يشعل الظلمه

اغاني

من الشمع . . والياس

زمان ازرك حنينك . . لا كمر ينحاس

أغيش
 اشوف الوطن
 دمة
 حزن
 بالكاس
 اذكر يا عراق الناس
 گلگامش اغاني النار.
 سهيل ابعده قصيدة وهية التذكار
 يهيم الوطن بچفوفي حمامه من الجمر والنار
 خبرلي زلم ثوار
 توج . . هيبه المشاعل . . للفضب والنار
 ترد الموت كمره . .
 هلاهل من فرح ورد جبلته : انصار
 اعبدك يا جبل بس كون الك انصار
 الجرح وردة نرف . . دخان
 الجرح . . صدر الحمامه وخفكة الجنحان
 الجرح . . طولك يهيم او ياخذ اچفوفي نهر حلمان
 الجرح . . آخ . . الجرح
 لو . . رف القميص . . ألوان
 اهيم كمره بچفوفك وأرد من الفرخ حزنان
 الجبل ظلمه وصهيل الياخذ اچفوف الزلم
 شعله غضب . . نيران
 الجبل يهتز للطفل لو نام جوعان
 الجبل اخضر بالمنام
 الجبل جمره التوج ليل الوطن كمره وظلام
 هيبه انت وصهيل الياخذ اجروحي حمام.

ريح انت تشعلني كلام.
انت الحلم كُبل المنام.
قميص ابوج اصابعي اغاني من اللهب. . احلام
الجبل خوف او حرير
الجبل دمة أسير
الجبل صحوة ضمير
الجبل صدر السفينة الياخذ الظلمة نهار
الجبل يمشي ابضميري الآخر المشوار.

نيسان/ ١٩٩١

لندن



ضحك ينكسر قليلا

ابراهيم يوسف

كأنا نؤول إلى شباك
كأنا الوطن
تلکم خلا خيلک
تلکم سهولک
تلکم المواثيق ، یصررها الرجال
ويتورع المساء عن بنادقهم
ذلکم أنا
اولتکم أنتم
اضيق علی مناهتي ، واجمل الوجوه
وجه للهيئة الدولية وحقوق الانسان
ثلاثة وجوه لبغداد*

.....

.....

ألف وجه لأمريکا وطائرات الصداقة الطارئة

أفمي سناما منسي الوظيفة
 سلاماً تبادره يدُ بيركاتها القليلة
 وخناجر لا تزال تذكر مقابضها جيداً
 سلاماً تهيوه أمام سفك كثير
 أمت اليك بشهداء بليغين بطقوسهم
 نرفك ما تبقى من دم في كلامي
 ارفو رداءك الرسمي في المتاحف
 فينكرني
 خيطاً

يلثغ في عرى من اللغة
 اصابع للملح تلكز على الحلم الظليل
 والجبل الظليل
 فتذكرني

تلكم ذكورتي
 من قال ان تظهروا هنا الآن؟
 ان تغسلو الوجوه بكتاب لا أعرف
 كانت الشاشات تتشل احديداً باتنا
 نهمش نسكنا
 وتهشم الملامح والروائح بما يكفي الدعابة
 لتجيد رهجتا البشاشات
 رجلاً عند الضرورة
 وطناً عند الضرورة
 أكراداً عند الضرورة
 ضروريين ذات حجر من الشطرنج
 يرطنون باشكالنا قليلاً
 ونرتقي قليلاً

فيدخلون اخوة تحت الجلد
 واللعاف
 يتكرمون علينا بالرافقة في طرود
 لا تصل
 ثم نستقر في الدرك الأخير... ونغيب
 نغيب كثيراً
 كأننا ذرية الرمان نفتح شهوة العواصم
 لترشف الاذاعة ما تبقى من اسمائنا
 كأننا الآخرون اداروا حجر الاوقات
 ليس لنا
 كأننا لنجرب بلاغة العويل
 طويلاً
 وأنت ترتبين لرعاة يمودون العشية بلا ضحك
 وماعز
 لمرتفع من الحلم لا يبيله الحفيف
 لبيوت تمضي إلى حتف الحوارى
 للتيجان تربت على بهاء الملوك
 ولا حرساً مدججين بالحكمة
 لا ايوان
 تلکم أضاليلک
 ذلكم أنا
 اهز ما في الطود من من الديانة
 تجني ربوية توارب اشجار اللوز
 تلکم حدوداتي وأنا الراجل...
 تلکم حدودي وأنا الراجل...
 بالنسوء... كنت اجيد رطانة القميص

مآذب للغصن ، حفاوة للصخر ونوايا السهام
 بأس الفارس يتأبط الصكوك في خديعة للوعل
 تلکم میاهک
 فميلي إلى قارب تتقن شخوصه القذيفة
 ميلي إلى سحنة وجغرافيا
 كأننا ضربنا الحلم خياما
 ميلي إلى خدعة
 ميلي إلى دعة
 إلى جهة . . والجهة ايدولوجيا
 إلى جهة . . والجهات سكاكين
 ميلي إلى شبك . . واكثر . . حجل
 ميلي إلى جيل
 ميلي الينا
 ميلي اليك . . ميلي
 وأنت تميدين . .
 تميلين . .

مصابي

صديق شرو

يا رواد الفضاء
لو اعددتم العدد هذه المرة
لرحلة أخرى
فرجائي ان لا تنسوا أن تجلبوا
لي حبلاً طويلاً
أجل وشدوه بذيل سفيتكم الفضائية
وبذلك سيفدو لي طريقاً سهلاً
لمرافقتكم
وارجو ان لا تخافوا عليّ
فلست أنا الذي يعجرح صفحة النجوم
ولا ذاك الذي ييكى الغيوم
... كل مطلبي ان ارسم الابتسامة
على ثغر الشمس .

وهنا ، ودان اصني
 اجل سامضي للقاء اصحاب المسيره
 لأرى لم لم تطل نجمة الصباح
 ولماذا لم تذق . . لي عز المكان
 رغيف خبز حار
 من صنع ايديهم
 لابتهاالات الفقراء والكادحين ودعائهم
 لأرى اين يقبعون
 ووراء صرخات أي الغيوم
 يذرفون الدموع
 ولأرى لم امتلات عينا المسيح
 بالبكاء
 ولأخبره بان عذراوات العصر
 متعلقات بآمالهن المشوذة .



اذ لم اعد؟

ترجمة - هلال حميد

ايدوين كاسترو*

اذ عدت يوما
للريف سنذهب
متلاصقين نمشي
عند حافة النهر القديمة
حيثما كنا نمضي، بالايادي المتشابكة،
في نهاية ابريل
المليء بالسعادة

.....

ربما سيكون ابريل آخر
ملتهباً بالحرارة وبالورد.
تتخطين معي
على ارض متربة
وسأقفز اسوار الحظائر
للقرية القريبة

(*) شاعر من نيكاراغوا - كتب الشاعر هذه القصيدة في السجن

عام ١٩٥٨، اهداها الى زوجته روت.

•• (الماتنج) - نوع من أنواع الاعشاب.

اجمع باقات زهور صفراء
لاضعها بين يديك .
سأسرق المالنجه**
بأزهارها الوديعه الحمراء
لاعلقها على الصدر
نذهب إلى النهر
وفي الماء الهاديء
نغمس ايدينا . . .

اذ لم أعد؟
اذ لم اجيء ابدا؟
لا يهم . اذهبي انت
وطفلنا
عند حافة النهر القديمة
التي سلكتها يوما .
سيقطف المالنجه
بأزهارها الجميلة الحمراء
ليزين بها صدرك ،
سيقفز اسوار حظائر المرعى القريب ،
ليجمع لك الاغصان
المليئة بالورد الاصفر .
انزلي معه في النهر
واغمسي يديه
في الماء الهاديء . . .
ان حضوري
سيملا السيول
المفتوحة للغياب .



ماركيز حول الموسيقى والموروث الثقافي للشعوب

ترجمة: كاظم كودولو

● أي موسيقى تحب؟ لنقول الموسيقى الجادة الرفيعة المستوى، أم الموسيقى الخفيفة؟

- بالنسبة لي كل صوت يعني موسيقى. بعد ذلك يبدأ المرء بالانتقاء، ما الذي يعجبه، وما الذي لا يعجبه، ما هو الجيد، وما هو الرديء. أحب جميع أشكال الموسيقى من التجارية المذاعة في الراديو إلى الكونشرتو لبيلا يارتوك*. الموسيقى التجارية لا أفهمها كالآخرين العاجزين عن تسميتها بشكل آخر. التجاري من الموسيقى ما هو مكرس للبيع فقط. فالموسيقى تثير اهتمامي على مختلف الوانها. وبالتالي أليست تلك بموسيقى إذا أحبها الناس وإذا كانت قد منحتهم متعة جمالية. الموسيقى غير مقبولة إذا كانت رديئة، وغير قادرة على منح المتعة الجمالية، عادية، قاسية، وغير شاعرية.

● هل تتفق مع ان موسيقى فرقة البيتلز ظهرت كموسيقى تجارية؟

- لا أعتقد ذلك، لكنها أصبحت موسيقى تجارية بمرور الزمن، وبسبب الحاجة الاجتماعية الواسعة تحولت موسيقاهم إلى سلعة يومية. وقد فاجأ الفرقة، قبل الجميع، الرواج الكبير لموسيقاهم. الشيء نفسه حدث معي بعد كتابة «مئة عام من العزلة». فقد ذهلت أنا أولاً، قبل الجميع، للاقبال الواسع على شراء الرواية، وانتشارها على نطاق كبير. مع اني كتبتهما لاجساسي بضرورة كتابتها. وبالتأكيد حدث هذا أيضاً مع فرقة البيتلز.

● ألا ترى ان تكريس الفن للسوق فقط ، عملية تعادل تعهير الفن ؟

- اذن لن نبيعه . تقدمه كهدية ، ولكن لنجعله معروفاً للجميع . اذا كانت أمثل الطرق هي ان نجعله مشاعاً لجمهور كبير ، واذا كانت عملية البيع تخبىء في طياتها وظيفة اجتماعية وثقافية ، فعندئذ يجب بيعه . وما العمل بريتنا من تأنيب الضمير؟ كوننا نبيع الموسيقى؟ حسناً ، على ضوء ذلك استطيع القول لنوقف بيع السكر . لماذا بيع الموسيقى عمل مخجل بالآداب ، وليس بيع السكر؟ الموسيقى الكويتية أصبحت ذات شهرة كالسكر ، القهوة والسيكار الكويتي . يبيعون القهوة والسكر ، يتاجرون بهما ، ويعرف ذلك العالم كله . هنالك محاولات إعادة صياغة الموسيقى الكويتية بعد خروجها للعالم . الكويتيون لماذا لا يشكلون نوعاً من الميكانيزم لمراقبة موسيقاهم المستخدمة في البلدان الأخرى؟ لماذا لا يوجد هذا الميكانيزم للحكم من خلاله على ان الآخرين يجنون ربحاً من إعادة صياغتها؟ كانت كوبا ، قبل انتصار الثورة ، قد سخرت الموسيقى لاغراض تجارية ، وقد عرضتها للتبادل التجاري من خلال الراديو ومختلف العروض الفنية الراقصة . وكانت شركات الاسطوانات الامريكية هي المستفيدة ، ولم يكن لكوبا أية حصة من العوائد المالية . فالواردات كانت تسيل نحو امريكا . هناك من جديد سوق للموسيقى الكويتية في الفترة الحالية ، وبدأت تحتل مكان الصدارة كما السلاسا ، السون* ، الكوارشا* .

● هل ترى ان كل اغنية ثورية يجب بالضرورة ان تتضمن تعاليم الثورة؟

- ان هذا كالشعر والأدب ، فهناك نوع من الأدب يتحدث بوضوح عن الثورة ، لكن هناك اتجاه أدبي آخر يواصل الكتابة عن الانسانية والتقاليد المتعلقة بالجمال . انه بكلمة أخرى يقوم باغناء الموروث الثقافي الانساني . أنا اعتبر نفسي كاتباً ثورياً ، على الرغم من ان كتيبي لا تحوي ، ولو اشارة بسيطة ، على ما يتعلق بهذا الشيء .

ومع ذلك فانك ترى ان عمال المصاعد الكهربائية ، سائقي التاكسي ، المثقفين ، الاطباء ، رجال الدين ، الجميع على اختلافهم يقرأون كتيبي .

ما هو هدفك؟ ليس ان ترضي كتاباتي اشكاك القيم الأدبية كافة ، بل ان تكون مفهومة للجميع . بصراحة أرى اني بهذا الاسلوب انجز عملاً ثورياً دون الحاجة إلى وضعها بإطار الأدب السياسي المحدد . الموسيقى ثورية كالأدب ، الشعر ثوري أيضاً اذا كتب بشكل جيد . في الحقيقة ان كل فن جميل ، انساني ، هو ثوري .

● ما هو رأيك بالفيلمو كليب ، هذه الاغاني الدراماتيكية المخجلة للنظر ، والتي يفيض بها التلفزيون حالياً؟

انظر ، ان الحياة لا تتوقف أبداً ، فهي تسير للأمام مولدة أشياء جديدة وجديدة . بعضها خالد والبعض يختفي في عتمة النسيان . أنا أقول لنتنظر ولنر ما سيحدث مع هذا

الجديد، الفيديو كليب.

● هنالك من يحتمل باشمزاز «الاوربات الصابونية»، هذه المسلسلات التلفزيونية الطويلة، ما هو رأيك بذلك؟

- ما هي المشكلة مع المسلسلات التلفزيونية الطويلة؟ حسناً، لا أتفق مع هؤلاء الذين يستخفون بالتلفزيون و«الاوربات الصابونية» فهم يعتبرونها شيئاً ضاراً. ان المسلسلات التلفزيونية الطويلة يمكن ان تصنف عن حق ضمن فئة الفنون الضارة الضرورية، بسبب اهمالنا نحن الكتّاب المدركين هذه الفنون لكتّاب رديئين. أية معجزة قادرة عليها كهذه «الاوربات الصابونية»، عندما تجبر تسعة ملايين مشاهد على الجلوس أمام جهاز التلفزيون يوماً وفي نفس الساعة. ان الرسالة الثقافية التي يوصلها التلفزيون للناس عظيمة ولا يمكن قياسها. يجب توجيه التلفزيون، وجعله وسيلة نشر ثقافية، بدل الاستخفاف به.

● سمعت من أحد، كانت لماركيز رغبة في كتابة احدى البولرو؟

- لم تكن رغبة فحسب، بل كنت منشغلاً ما يقارب عاماً كاملاً وبمساعدة مازانرو في كتابة البولرو. ان ايجاز كل ما تحويه البولرو في أسطر معدودة لمأثرة أدبية حقاً. فلا يمكن تخيل مدى صعوبتها. مازانرو اقترح عليّ كتابة الموضوع، ويقوم هو بصياغة جزئه الشعري. فقد أردت كتابة مجموعة شعرية غنائية متممة للبولرو. كذلك فقد قمت بمحاولة أخرى مع سلفيغورودي كوز، ومعه حققت تجربتنا تقدماً للأمام. فقد سلمته الموضوع، ومنه استلمت على الايقاعات الشعرية مسجلة على كاسيت يحتوي على المقاطع الصوتية للابيات الشعرية. قمنا بالعمل عدّة أشهر، لكن دون جدوى. لقد كان صعباً للغاية. البولرو تزيد من حب عاشقين لبعضهما. وكانت محاولة كتابة احدى البولرو كافية بحد ذاتها. ان تزيد من حب عاشقين لبعضهما، ولو للحظة واحدة، شيء في غاية الأهمية في عالم الثقافة.

● هل تؤثر الموسيقى على أعمالك الأدبية؟

- حسناً، هناك نوع من الموسيقى الكولومبية تسمى الفالانتو، تسميتها مأخوذة عن المكان الذي ظهرت فيه، الفالانتو تشابه لحد ما موسيقى السون الكوبية، أو المرتكة الدومانيكانية. في الأصل كانوا يسمونها بشانسون دكسن، وتعني الشعر الملحمي الفرنسي في العصور الوسطى بكلمة أخرى انها تروي حوادث واقعة. موسيقيو الفالانتو كانوا يجولون المدن، وعند سماعهم لحادثة أو مشاجرة، قاموا بغنائها ومع مرور الزمن أصبحت الفالانتو أكثر شعبية. واليوم فان عدد الاغاني التجارية تعادل تقريباً الاغاني الاصلية. في الحقيقة كون هذه الاغاني تروي حوادث واقعية، كان قد منحني الفكرة لكتابة «مئة عام من العزلة».

ما هي «مئة عام من العزلة»؟ انها فالانتوب ٤٥٠ صفحة.

● كيف تنظر إلى هذه المصطلحات الأدبية، الكلاسيك، الموسيقى الجادة، الموسيقى الشعبية؟

- نطلق تسمية كلاسيكي على شيء ما، لأننا لا نستطيع ان نسميه بشكل آخر. فالموسيقى الباروكية، أو الرومانتيكية هي كلاسيكية أيضاً.

أما الموسيقى الجادة فمن الواضح ان لها جذوراً في خفايا الموسيقى الشعبية. أتعرف هناك صورة فانتة لبيلا بارتوك وهو شاب في العشرين أو الثلاثين من عمره، واقف على جبل وفي يده آلة تسجيل قديمة، تعتبر حالياً قطعة أثرية، بواسطتها جمع الاغاني الشعبية لوطنه المجر، ليصيغ بعد ذلك موسيقى رفيعة المستوى فنياً، وأكثرها اثارة للمشاعر. هذه الموسيقى بداياتها كانت مختبئة في تلك الاغاني الشعبية المسجلة على تلك الآلة الأثرية. أتعرف ماذا يحدث اذا ابتعد الفنان عن الشعب؟ أسمح لي بالحديث عن ذلك. اذا لم يكن بيلا بارتوك لكان سترافنيسكي وشونبرغ قد قتلوا الموسيقى. لا لكونهم موسيقيين رديئين، بل لأنهم ركزوا على المعارف التقنية، وبذلك جردوا موسيقاهم من الجوهر والالهام. ولحسن الحظ فقد جاء بيلا بارتوك كمقطف للاعراف الرومانتيكية لبرامس، وبدأ البحث عن الجذور في الموسيقى الشعبية، كما فعل بتهوفن، باخ، وكبار الموسيقيين الآخرين في تاريخ البشرية.

● هل تستمع للموسيقى عند الكتابة؟

- أنا أعبد الموسيقى، لكنني لا استطيع الاستماع للموسيقى عند الكتابة، لأن الموسيقى تجلب انتباهي عند ذلك أكثر من الكتابة. لكي أكتب فانا بحاجة للهدوء التام. في الحقيقة اسمع الموسيقى بشكل كبير خلال فترة كتابة عمل أدبي معين. معارفي استنتجها ليس فقط من خلال الكتب ومن خلال الحياة ذاتها، بل ومن خلال الموسيقى أيضاً.

وتلك الموسيقى التي اسمعها تكون على علاقة بما أقوم بكتابته بالتحديد. . . عودة إلى بيلا بارتوك، وعندما كنت أقوم بكتابة رواية «خريف البطريارك» كنت على الغالب أسمع موسيقى بيلا بارتوك. ولقد فزعت عندما أجرى أثنان من الصحفيين لقاء معي، وادلوا لي بما يلي:

ولقد قمنا بدراسة تفصيلية لرواية «خريف البطريارك»، وقد توصلنا إلى ان بنيان الرواية يحاكي بالضبط البناء الداخلي للكونشرتو البيانوي الثالث لبيلا بارتوك. لقد فزعت حقيقة. كنت دائماً أتصور اني اقتبست من بيلا بارتوك اسلوب الحلول الجمالية لا غير. وبعد تفكير مسهب اعترفت بأحقية ما طرحه هؤلاء السادة.

- ألم تكن لك رغبة في ان تكون مغنياً أو موسيقاراً؟
- حسناً، يمكن القول ان هذا أيضاً لم أتركه في حياتي، فلسنوات عديدة كنت أغني في نادي ليلى في باريس، يرتاده المنفيون من امريكا اللاتينية.
- ما هو رأيك بالموسيقى الامريكية اللاتينية كاداة تعبير ثقافي؟
- هناك ثلاث دول تعتبر فيها الموسيقى الأداة الثقافية الأساسية: كوبا، المكسيك، البرازيل. لنلقي نظرة بسيطة في العالم، وستعرف على الكثير من الاغاني الامريكية اللاتينية، وسيعرف المرء انه يسمع الكثير منها في الحفلات الموسيقية للآخرين. ومن بين الموروث الثقافي الكثير فقد تحولت إلى موسيقى سامية على يد ماتوفاني وفرانك بورساك. واني لعلني ثقة بانهم لم يحصلوا على أية حقوق مالية لقاء ذلك. أخيراً ولقول الحقيقة فان الناس يشعرون بحضور امريكا اللاتينية في العالم من خلال موسيقاها.

الهوامش

- * الكونشرتو: لحن يعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الاوركسترا.
- * بيلا بارنوك (١٨٨١ - ١٩٤٥): من كبار موسيقي عصرنا، مؤلف، عازف، وعالم موسيقي. ولد في ناج ستت مكلوش في رومانيا، من أصل مجري. هاجر إلى امريكا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بسبب معارضته للفاشية واليهودية. توفي عام ١٩٤٥ بعد مرض طويل وفي ظروف مالية صعبة.
- * السلاسا، السون، الكولشا: ألوان من الموسيقى الكوبية.
- * بولرو: رقصة اسبانية أو موسيقاها، رقصة الساجان.



نشاطات ثقافية في دهوك

خاص بـ «الثقافة الجديدة» - أدب وفن

تعتبر الثقافة الكردية رافداً رئيساً للثقافة العربية في العراق، وبلغت على أيدي اعلام الأدب والفكر الاكراد مستوى رفيعاً بوأها مكانتها التي تليق بها، أسوة بشقيقتها العربية، وخاضاً معاً في فصل ابداعي واحد هو الثقافة العراقية الديمقراطية والانسانية، معركة البقاء والاصالة في التصدي لقرارات السلطة القمعية المتوارثة والمتعاقبة طيلة تاريخ العراق الحديث وانتهاج طريق مغاير يحدوه الأمل بالتغيير والحرية والسلام.

وإذا قيس للمثقفين والمبدعين الديمقراطيين تشكيل رابطتهم في المنفى، فبالدفاع نفسه انجز المثقفون الكرد تأسيس اتحاد أدباء كردستان في الوطن الذي حظي بتأييد وترحاب رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين التي تضم بين صفوفها عدداً مرموقاً من مبدعي الشعب الكردي.

ونظراً لأخصوصية الثقافة الكردية، وما لحق بالشعب الكردي وتقاليد من ممارسات القمع والاتلاع والتدويب، تكتسب نشاطات اتحاد ادباء كردستان أهمية استثنائية بعد ان تمكن اولئك الأدباء من تأسيس اتحادهم وسط ظروف بالغة القسوة وعلى مرأى من مخبري وكتبة وفالق السلطة القمعية.

لقد انجز اتحاد أدباء كردستان جملة من الفعاليات، وفي مقدمتها إصدار مجلته المركزية، اضافة إلى طبع ونشر نتاجات اعضائه واصدقائه ووزعت بشكل لا بأس به. لكن هذا لا يمنعنا من الاشارة إلى تعثر مسيرة اتحاد أدباء كردستان مؤخراً وضعف حضوره الثقافي، بل ان النشاطات العقوية شابها اضطراب ملحوظ بسبب عدم اشراف الاتحاد المذكور.

أمسية شعرية يحضرها الآلاف!!

في الفترة الواقعة بين نهاية حزيران - بداية تموز ١٩٩١ اقيم مهرجان شعري شارك فيه شعراء وشاعرات دهوك، وقدم فيها الحزب الشيوعي العراقي هدية متواضعة للشعراء. وفي قاعة نقابة المعلمين اقيمت أمسية ثانية حضرها الآلاف (١) من المستمعين..

والحقيقة ان اغلبهم كان خارج القاعة . قصائد الأسمية امتازات بمضامين المقاومة والثورة التي نددت بالدكتاتورية والحرب . واتسمت كلمات الشعراء بالحرارة نظراً لأنها فرصة نادرة تناح لهم وسط هكذا جمهور كبير.

حل اتحاد أدباء الحكومة

هناك ما يسمى بـ (اتحاد الادباء والكتاب الكرد في العراق) وهو الاتحاد الذي شكلته الحكومة، ورغم انه قدّم فعاليات ثقافية غير قليلة، إلا ان المتابع يمكن ان يتلمس ضعف مستواها الفني . يقف على رأس هذا الاتحاد كل من تيلين أمن وتسيم، وهما نفسيهما اللذان أعلننا حل هذا الاتحاد الذي قاطع فعاليته عدد غير قليل من الأدباء الكرد الديمقراطيين .

كما شهدت المرحلة الحالية ظهور مجموعة من الأدباء الديمقراطيين لم تشأ العمل في اتحاد أدباء الحكومة ولا في اتحاد أدباء كردستان، لكن المجموعات الثلاث اجتمعت وانتخبت من بينها هيئة قيادة مؤقتة لقيادة العمل الثقافي اطلقوا عليها (اللجنة الثقافية) في مدينة دهوك .

وقد أقامت هذه اللجنة فعاليتين حضرهما جمهور لا بأس به ولكنهما تفتقران إلى التنظيم . ومن المساهمين في هاتين الفعالتين كل من الشعراء : عبد الرحمن مزوري - هيثي برواري - هزرغان - شكري شاهباز - سلمان كوثلي - هوشيار - ريكاني - حسن سليقاني وغيرهم .

ثمة مهمات نضالية وإبداعية جسيمة تواجه أدباء كردستان بغض النظر عن انتماءاتهم الفكرية والحزبية ذلك ان ديمقراطية الثقافة وطابعها الانساني الشمولي يتجاوز حلقة التنظيم الحزبي وافتراقات الأيديولوجيا، وعليهم، قبل كل شيء توحيد جهودهم الثقافية والمهنية بمواجهة الثقافة الشوفينية التضييلية التي تروجها حكومة بغداد الاستبدادية، وعلى هذا الطريق ينبغي ايجاد أفضل الصيغ للتعاون المثمر فيما بينهم من جهة ومع رابطة الكتاب الديمقراطيين العراقيين، أو مع أي منظمة أو جماعة أدبية خارج اطر المؤسسة الثقافية الحكومية، سواء داخل العراق أو خارجه .



برلين - خاص بـ «الثقافة الجديدة»

من صدى ايام الثقافة الديمقراطية العراقية في المنفى

إن أياً ممن حضروا أيام الثقافة الديمقراطية في المنفى، التي أقامتها رابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين بالتعاون مع قصر ثقافات العالم، لن ينكر ما رافق تلك الايام من إرتباكات وارتجالات سواء فيما يخص الاعداد للايام أو ما يخص تنظيم البرنامج ومستوى الفعاليات. وطبيعي ان يحدث ذلك اذا ما عرفنا طبيعة الشتات الثقافي العراقي في المنافي المتعددة وصعوبة التنسيق بين القائمين على الفعاليات اضافة إلى تركيز العمل على واحد أو اثنين دون تعاون الآخرين الموجودين في برلين.

لكن الايام أقيمت وحضرت وجوه لها وزنها الثقافي الابداعي هذه المرة، ممن لم يحضروا في اسبوع السنة الفائتة. واستطاع الجمع العراقي الحاضر ان يتألف حقاً حول ضرورة الابداع لتقريب وجهات النظر التي لم تزل متعارضة ومتقاطعة في ميادين أخرى. لقد أشاد رئيس قصر ثقافات العالم بنشاط المثقفين الديمقراطيين العراقيين في المنفى، وقد حضر الافتتاح مندوبو الصحف وعدد من الاذاعات، وأجريت مقابلات عديدة مع بعض وجوه الثقافة والفن العراقيين، واطلع قراء تلك الصحف ومستمعو تلك الاذاعات على واقع الثقافة الديمقراطية في المنفى. ودعت صحيفة «تاس» TAZ اليومية وصحف أخرى إلى حضور المهرجان العراقي.

وكتبت صحيفة «مرآة اليوم» Tagespiegel مقالاً مطولاً بعنوان «ذراع الدكتاتورية والمسألة الاخلاقية». بداته بالسؤال الآتي:

«هل بالاستطاعة تنظيم معارضة مؤثرة، في المنفى، ضد صدام؟» وأضافت الصحيفة «لقد اجتمع المثقفون العراقيون الهاربون من بلادهم، وتناقشوا بحرارة ووضعوا خططاً لعملهم». أما الجواب على السؤال الأنف الذكر فقد قدمه الدكتور. ففي الثاني من آب ١٩٩٠ دخلت قواته الكويت. أما اليوم فنحن نعرف ان ما قدفه ممثلو المئات من المثقفين العراقيين المشردين في العالم لم تتمكن من تقديمه الدول المتحالفة لأول مرة في تاريخها.

اذ بعد مضي عام على اجتماعهم الأول في برلين، اجتمع الموسيقيون والأدباء العراقيون، مجدداً، لآحياء أيام الثقافة العراقية في المنفى، وقدموا محاضرات حول امكانية تطور الفن والثقافة العراقيين خارج وطنهم.

كما قدمت حفلات موسيقية وعروض سينمائية وقراءات شعرية وقصصية ودراسات نقدية. وكما قال الشاعر سعدي يوسف - كما جاء في الصحيفة «لقد كان لقاء العام الماضي يدور حول نظام صدام حسين. أما اليوم فان لقاءنا يتعلق بمصير بلادنا المدمرة». ان سعدي يوسف، تقول الصحيفة، من الشعراء العراقيين البارزين وترجمت له أشعار باللغتين الانكليزية والفرنسية، وانتخب شاعر السنة الايطالية للشعر. وهو يعيش منذ ثلاثين سنة في المنفى، باستثناء بعض سنوات السبعينات حيث عاد إلى العراق ليضطر ثانية إلى الفرار عام ١٩٧٩. «لقد طلبوا مني الانتماء إلى حزب البعث الحاكم، وهذا يعني، بالنسبة لي، أما المدح وأما الصمت»، هذا ما قاله سعدي. بعد ذلك أعطي فرصة للتفكير (مدة اسبوع) اتخذ خلالها قرار الخروج مع زوجته وطفليه إلى المنفى، ومنذ ذلك الحين يعيش خارج وطنه. أما الآن فهو يعيش في باريس معتمداً على المنح ونشر المقالات والترجمة.

وحالة سعدي، تضيف الصحيفة، ليست قاعدة قياساً بزملائه، اذ ان الكثير من هؤلاء يكسبون رزقهم من أعمال مضيئة جعلت بعضهم يتوقفون عن ممارسة نشاطاتهم الابداعية، ويمضون أوقات فراغهم يغالون الوحدة وحياة الكفاف.

يقول أحدهم: «ان اضهاد اللغة هو أسوأ الاشياء. فهناك حوالى سبعمائة مثقف عراقي يعيشون في اميركا واوروبا والدول الاسكندنافية، وأكثرهم لم يتمكن من الحضور بسبب عدم السماح لهم بالحصول على تأشيرات من الدول المعنية».

وتقول الصحيفة «ان فن المنفى ينمو من خلال البعد عن الوطن، وهذا البعد يقرب نغمات الاغاني وايقاعات الشعر. كان ذلك واضحاً، ومعبراً، في هذه الايام الثقافية. إن قيمة هذا الفن تكون مضاعفة، أولاً في كونه عملاً وثانياً بسبب الظروف التي نشأ فيها».

«فكيف يستطيع شعب بلا وطن ان يعبر عن نفسه؟» تساءل الصحيفة. فلك الدين كاكه في أحد الكتاب والصحفيين الاكراد البارزين، اضافة إلى صفته كقيادي في الحزب

الديمقراطي الكردستاني، يقول: «الأكراد منفيون منذ الولادة، الفن والثقافة الشعبية هما، دائماً، تعبير عن النضال من أجل أرض ووطن. إن أكثر المثقفين الاكراد الذين يعيشون في «المناطق المحررة» البعيدة عن مركز الاضطهاد (بغداد) أقل معاناة من زملائهم الذين يعيشون في الجنوب. كثير منهم استطاع البقاء في الوطن وآخرون هربوا من الغازات الكيماوية من منفى إلى آخر. إن ما يوحد العراقيين، عرباً واكرداً، هو نضالهم المشترك ضد الدكتاتورية».

ويقول سعدي يوسف: «إن ذراع الدكتاتورية لم تستطع، كالسابق، أن تمتد بعيداً. لقد أصبح من السهل، مؤخراً، تهريب ونشر نصوص وأدبيات المعارضة في البلاد». أما الشاعر المتحمس، حسب توصيف الجريدة المذكورة، فوزي كريم فقال: «الشعر في بلادنا يوجه إلى الطبقة الحاكمة. غير أن هناك من لا يريد أن يصدق هذه الحقيقة حتى قبل سنة. الآن - وبعد الدمار - يطرح السؤال الاخلاقي على جدول العمل: فالسياسة والفن لا يمكن فصلهما منذ القدم. وفي وقت مبكر طغت اسطورة بطولة صدام حسين على الفن. فقد أقام له النحاتون التماثيل ومدحه الشعراء. الكثيرون جعلوا انفسهم مسخرين. ولكن هل من بقي جعل من نفسه مذنباً ومن خرج كان بطلاً؟ حتى في المنفى - يقول كريم - أصبح الأمر واضحاً. على بعضنا ان يُنقوا عقولهم، ويعتقد فوزي كريم ان العدد الأكبر من الفنانين في العراق أما صامتون أو مداحون».

برلين - ١٥ / ٨ / ١٩٩١



المنقاء تولد من الرماد!

اسم الكتاب: «الكواركات . البروتونات . الكون»

عرض: سلام حبه

تأليف: فلاديلين باراشينكوف

قد يبدو العنوان فلسفياً غرائبياً . لكنه يعكس الحقيقة التي يفترضها علماء عصرنا، والتي يؤمنون بها حول كيفية ولادة كوننا العميق والعماق في آن معاً .
لا نستطيع إدراك هذه النظرة إلا بعد ان نفهم طبيعة الجسيمات التي صنعت هذه الظاهرة . ولا نستطيع ان نفهم طبيعة هذه الجسيمات إلا بعد ان نعرف ماهية الفراغ .
تعتبر الفلسفة، ويوماً بعد يوم، الرحم الذي تتوالد منه النظريات العلمية، وتعتبر في نفس الوقت أحد الجدران التي يستند عليها العلماء لاثبات صحة نظرياتهم، ولهذا السبب فإن النظريات الموجودة في هذا الكتاب لا ترتدي زياً فيزيائياً أو رياضياتياً حسب، بل انها ترتكز أساساً على الفلسفة .

ما هو مفهوم الفراغ؟ هذا السؤال المحير هو الذي يحل المشاكل التي عكرت صفاء حياة الفيزيائيين وغيرهم لزم من طويل . لقد اعتبر الفيزيائيون القدماء الفراغ بانه (شيء لا يحوي أي شيء!) ولعل اعتبارهم هذا نشأ من الطبيعة المحيطة بهم وبأي انسان . فنحن نقول عادة هذا القدر فارغ، ولكننا اذا تعمقنا في دراسة خصائصه الفيزيائية فسنجد مليئاً حتى القمة بالهواء! فهل الهواء فراغ؟ بالطبع لا . فهو مكون من ذرات عدة، من بين هذه الذرات نجد ذرة الآزوت وذرة الاوكسجين . . . الخ وهكذا كان الفضاء، بالنسبة لهؤلاء خالياً كالقدح . لكن من كان يستطيع ان يخبرهم بأن الفضاء المحيط بالكواكب عبارة عن

شبكة معقدة من المجهرات، أو حتى ما دون المجهرات. لقد تم الكشف مؤخراً عن بعض خواص الفراغ المحيط بنا بواسطة النظريات المتعددة. وما زال هناك الكثير الكثير الذي لم يكشف عنه بعد. فلا أحد يعرف هل هناك «فراغ» موحد بين جميع أنحاء كوننا، أم هناك أنواع متعددة من الفراغات. ونقول «فراغ» تجاوزاً، بالطبع.

ولكني نعرف ما هي مكونات الفراغ نحتاج إلى دراسة لا نهائية للجسيمات الأولية. وعندما أقول لا نهائية فاني أقصد الكلمة بالذات. فمهما كان الجسم صغيراً فهناك ما هو أصغر منه، وهكذا تتوالى سلسلة الجسيمات الصغيرة إلى ما لا نهاية. ولكي نتصور ذلك، لنأخذ مجرّتنا مثلاً، فهي صغيرة جداً بالنسبة للكون الذي يحوي الملايين من المجرات (وبأشكال مختلفة)، لكنها في نفس الوقت كبيرة جداً بالنسبة لشمسنا حيث تحوي المجرة أيضاً الملايين من الشمس (النجوم). وإذا كانت الشمس صغيرة جداً بالنسبة للمجرة فإنها عملاقة جداً بالنسبة للكرة الأرضية، وإذا كانت كرتنا الأرضية قزمة بالنسبة للشمس فإنها ماردٌ بالنسبة للإنسان. وهكذا فنحن عمالقة بالنسبة للنمل والنمل كبير بالنسبة لحبة التراب، وحبة التراب كبيرة جداً بالنسبة للبكتريا، وهكذا نصل في سلسلة الصغر إلى ما لا نهاية.

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرنا الحالي اكتشف العديد من الجسيمات الأولية الصغيرة، وكان أهمها البروتون والترون، ونعرف بالطبع ان للاول شحنة موجبة وللثاني شحنة معتدلة. لكن علماء اليوم تجاوزوا هذه الجسيمات التي أصبحت عملاقة الآن. فقد توصلوا مثلاً إلى الكوارك، وتوصلوا إلى الميزون، وتوصلوا إلى الغلوون.

فما هي هذه الكائنات الغريبة؟

ان الكوارك مثلاً هو جسيم صغير يقع ضمن البروتون أو الترون، وله عدة أنواع، وكل من هذه الأنواع هو الذي يُحدد خاصية الجسيم الذي يقع فيه. أما الميزون فهو جسيم أصغر من البروتون بمقدار الثلث تقريباً، ومؤلف من كواركين. أما الغلوون فهو جسيم نُقْطِي يحيط مع رفاقه بالكوارك ليشكلوا حوله ستاراً منيعاً يضمن سلامته. ويسمى هذا الستار بالغشاء الغلووني. وهكذا فكلما تعمقنا أكثر في دراسة المادة الصغيرة ظهرت لنا مادة أصغر (انظر الجدول). لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما الذي يضمن لنا الاستمرارية في الكشف عن الجسيمات الأولية؟

لقد اعتمد فيزيائيو قرنا على المعادلات الرياضية، أو الفرضيات في بعض الأحيان، فعندما لاحظ المراقبون خللاً في مقدار الطاقة الناتجة عن أحد التفاعلات بين الالكتران وأحد الجسيمات، وظنوا لوهلة ان الطاقة قبل التفاعل تنقص بعده، ظهر فجأة (بالولي) وعارضهم وافترض وجود جسيم ما، سمي الترينيو، يمتص بعض الطاقة التي

يخزنها الالكترونون، وهكذا ظهر هذا الجسيم الصغير.
أما الوسيلة الأكثر شيوعاً لاستكشاف هذه الجسيمات فهي المعجلات التي أطلق عليها اسم «أهرام القرن العشرين» وهي فعلاً كذلك، فمقياس تطور الفيزياء أصبح يدرج ضمن مقياس تطور هذه المعجلات. فهي بالذات التي تثبت صحة نظريات العلماء.
فالجسيمات المضادة مثلاً (ويقصد بالجسيمات المضادة للجسيمات الأصلية أنها تعاكسها في خواصها: الشحنة، الالتفاف حول نفسها أو ما يسمى بالSpin... إلى غير ذلك) تثبت صحة وجودها، بعد أن كانت مجرد فرضيات، عن طريق المعجلات، فاكشف البوزيترون (مضاد الالكترون) ومضاد البروتون، ومضاد النوترون... وذلك باستقدام الأشعة الكونية إلى هذه المعجلات.

فالترينو وهو من عائلة اللبتونات التي يقع ضمنها الالكترون ووجد في الأشعة الكونية المنبعثة عن انفجار أحد النجوم الذي يسمى «المستعر الأعظم: 1987A supernova».
ولم يكن الترينو من قبل، سوى فرضية وضعها (باولي) كما ذكرنا من قبل. والمبدأ الأساسي لعمل هذه المعجلات هو صدم الجسيمات ذات الطاقة العالية بالجسم، المراد دراسة مكوناته، فتتبعثر هذه المكونات إذا كانت طاقة الجسيم الصادم عالية، وتدرس خصائصها بعد أن كانت مبهمة ضمن الجسيم الهدف الذي تبعثر. ويتوقع الفيزيائيون الوصول إلى جسم صغير تبلغ المسافة التي يشغلها على حرف المسطرة مثلاً (10⁻³³) من السنتيمتر. (أي أنه يظهر على حرف المسطرة في جزء صغير من السنتيمتر. هذا الجزء هو قسم من ترليون ترليون من السنتيمتر تقريباً، والترليون هو 1.000.000.000.000).
وتمكنوا من الوصول إلى هذا الرقم عن طريق فرضياتهم التي تنتبأ بالأجسام العالية الطاقة التي تستطيع أن تفتت الأجسام المغلفة الأحكام والتي تحوي بداخلها الأجسام الصغيرة المجهولة.

وانطلاقاً مما سبق نستطيع الاستنتاج بأنه لا وجود للفراغ المطلق. فالفضاء الذي حول كرتنا الأرضية ليس إلا تلك الجسيمات الصغيرة التي لم نكتشفها بعد والتي كانت الأساس في تشكيل كوننا. وهكذا نعود إلى البداية ونرى العنوان «العناء تولد من الرماء» وتأمل في كوننا الذي تشكل عن طريق تلك الجسيمات اللامتناهية في الصغر.
لا تزال هناك تفاعلات تجري لتكثف مادة الفراغ المحيط بنا، والتي شكلت الكون عن طريق هذا التكثف وهي تفاعلات مجهولة نوعاً ما، إلى حين التوصل إلى ما يحتويه فراغنا من جسيمات أولية أخرى.

فكوننا (وعن طريق عوامل ناتجة عن تأثيرات محيطه تلعب المصادفة دوراً كبيراً فيها) بدأ حياته بنقطة متناهية في الصغر، وخلال أجزاء صغيرة من الثانية تفجرت قواه الكامنة

وأصبح يتمدد في كل اتجاه وصوب بعد ان حدث ما يسمى بالانفجار الاعظم (big bang) وتوصل العلماء إلى اللحظات الأولى من حياة 'لكون' بعد الانفجار (أجزاء صغيرة جداً من الثانية) فقد تحولت الترددات المعتدلة الشحنة مثلاً إلى بروتونات ذات شحنات موجبة وإلى الكترونات ذات شحنات سالبة (حسب مجلة العلوم الامريكية - عدد نيسان - ١٩٨٩ - الكواركات) . .

وهكذا تمدد الكون وما زال يتمدد حسب نظريات (هابل) وغيره . ونشأ ما يسمى بالفضاء - الزمن المنحني الذي اكتشفه انشتاين، وعرف البشر شكل كونهم الكروي، وعرفوا بأن كتلتهم تتغير في كل موقع من هذا الكون، وانهم قد يطول عمرهم في بعض ارجائه وقد يموتون لحظة ولادتهم في أرجاء أخرى؟!

ما زال عمل العلماء مضنياً في معرفة الزمن، والتحقق من النظريات التي تؤكد على امكانية التحكم به، نعم يمكن التحكم به . قد تبدو هذه الفكرة مثيرة للجدل، فكيف لنا ان نتقل إلى عالم أجدادنا الحجريين أو إلى عالم أحفادنا الفضائيين دونما أي عائق؟! ان الواقع المحيط بنا قد فرض علينا نوعاً متزماً من طرق التفكير فأصبحنا متزمتين مع هذه الطرق . . لكن لو غيرنا طرق تفكيرنا بالتمرد على نمط آخر للتفكير لكان من السهل جداً ان نبتكر أجهزة ما تجعلنا نشهد معركة (واترلو) ونواسي نابليون على هزيمته أو نلعبه، فإما ان يدير ظهره ببيروته الظاهرية أو يدفع بمن تبقى معه من حرس جمهوري للذبحنا! فنحن كمن يسير على سطح اسطوانة بخط مستقيم وإلى الأمام . ويجزم بعدم وجود نهاية لطريقه إلا اذا سقط عن هذه الاسطوانة .

هل فكر أحدنا بأن الزمن هو هذه الاسطوانة، وأنه شيء محسوس ويمكن السيطرة عليه؟ هكذا نعود إلى السؤال السابق كيف يمكن السيطرة عليه؟ مثلاً لو أننا مددنا جسراً إلى الوراء مصنوعاً من مادة الزمن ستمكن حينها ان نرى نابليون . ولو أننا اختصرنا الطريق وبدلاً من ان نسير إلى نقطة ممانتا على سطح الاسطوانة سنحفر هذا السطح ونسير افقياً فنجد انفسنا قد قطعنا مئة سنة على الطريق اللانهائي للاسطوانة، وسنكتشف وقتها مثلاً التفق الذي يصل بين افريقيا وامريكا اللاتينية أو المحرك الجبار الذي قد تقارب سرعته سرعة الضوء . .

ان عالم الزمن لا يمكن المساس بهيته بهذه البساطة، ولكن ذلك ممكن في نفس الوقت . ربما بطرق مختلفة وان ادخال انشتاين للبعد الرابع (الزمن) في نسبيته لم يكن عبثاً، فما هي اللحظة التي سبقت تكثف مادة الكون واللحظة التي قبلها وقبلها؟ . هل سنعرفها؟ اذا بحثنا، فأننا سنرى طريقاً ممدوداً إلى ما لا نهاية وإذا أردنا التنبؤ بما سيحدث للكون بعد انهيائه لرأينا أيضاً طريقاً غير محدود وغير نهائي . .

هل نهاية الكون حقيقة؟ هذا السؤال سيربحنا مؤقتاً من «مجزرة» الزمن .

لقد توصل العلماء إلى ان الكون الذي نعيش فيه عبارة عن كرة تنغلغ جميع ثغراتها اذا كانت كتلتها (مجازاً) ستصل إلى درجة حرجة وعند الوصول إلى هذه الدرجة سيبدأ الكون بالتقلص بدلاً من التمدد وستكسب مجراته ونجومه كلياً، وهذا غير ممكن بالنسبة للعلماء، وفي هذه الحالة سيحصل العكس، سيتابع الكون تملده حتى تصبح طبقاته متخلخلة جداً . وعندها أيضاً تنفتحت محتوياته وتفقد الطبقات روابط الصلة بينها .

هل هذه النهاية المعتمدة هي الوحيدة؟

بالطبع لا، فمثلاً هناك الخطر المحدق بالمادة الأولية، المادة التي تُكوننا، فالجسيم المُفْتَت الذي يدعى المونوبول (وهو جسيم افتراضي غير مكتشف، جسيم مغناطيسي يملك قطباً واحداً) عند ظهوره سيقوم بتمزيق البروتونات إلى اشلاء، ويحولها إلى مُكوناتها الأولية، وخطره يكمن في استمراريته!!

ليس هذا فقط . فالبروتون كائن ككل الكائنات، له فترة زمنية محددة لحياته (١٠ مليارات عام) يموت بعدها .

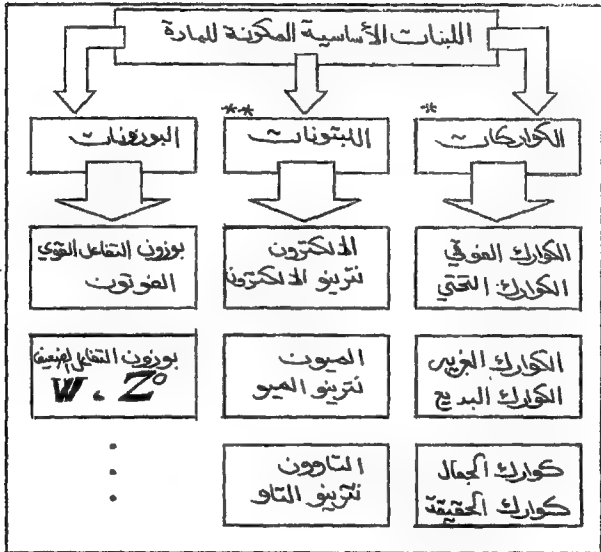
لكن فناء هذا مطمئن لنا، فضمن كل مجموعة من ترليونات البروتونات، لا يموت سوى عدد ضئيل منها . . وهذا لا يؤثر علينا بالمرة . . فقطرة الماء، مثلاً، تحوي ملايين الملايين من البروتونات . وفناء أحد هذه البروتونات لا يفتت الاوكسجين والهيدروجين المكونين للماء . وخلال فترة تقدر بمليارات السنين لا تحدث هذه الحادثة إلا مرات قليلة . ان هذا المستقبل القاتم الذي يتظرنا ما زال حبراً على ورق، ويتظر البرهنة عليه تجريبياً . ولكن احتمال فناء الكون أكثر من احتمال عدم فئاته . ولكننا نتحدث الآن والعلم ما زال في طوره الاول اذا ما حسبنا تاريخ العلم بمليارات السنين المقبلة . ولربما بحث العلماء في المستقبل عن طريقة لصيانتنا من التبعثر .

لقد تحدثنا عن مصير الكون . . فلتحدث الآن عن مصير بعض اجزائه وهو ما يخصنا بشكل مباشر على الأمد القريب .

لقد شكلت صورة «الثقب الاسود» شيطاناً مرعباً للعلماء، هذه التي التقطت عن طريق الامواج الكهرومغناطيسية بواسطة مرصد في استراليا والولايات المتحدة واليابان في شهر ايلول من عام ١٩٩٠ . فقد ظهر للعيان ما كان منبذاً على الورق . . فاضطر الجميع للتصديق!!

تري ما هو المرعب في هذا الثقب؟

القصة وما فيها ان هذا الثقب لم تستطع المراصد الضوئية التقاط صور لأمثاله، بسبب الغبار الكوني المحيط بها ويسبب عدم اصدارها لأي اشعة ضوئية نظراً لجاذبيتها



* البروتونات والنيوترونات مكونة في الكواركات، فالبروتون مؤلف من كواركين فوقيين، وكوارك تحتي، وشحته تساوي الواحد، لأن مجموع مكوناته يساوي $1/3 - 2/3 + 2/3 = 1$ والنترون مكون كوارك فوقي وكواركين تحتيين، وشحته تساوي الصفر، لأن مجموع مكوناته يساوي $0 = 1/3 - 1/3 - 2/3$

** كل لبتون له مضاد، وهو من عائلة اللبتونات فالالكترون (e) له مضاد في الشحنة هو البوزيترون (e).

الداخلية الهائلة . فهو مغناطيس للنجوم التي فقدت شباب عمرها . ومن هذه النجوم التي ستفقد قوتها مستقبلاً هي شمسنا التي ننعج حالياً بدفئها . وان ابتلاع أحد الثقوب السوداء المنتشرة في مجرتنا وما بين المجرات المجاورة ، لشمسنا يعني ابتلاع الكواكب المحيطة بها .

لقد بالغ العلماء لأول وهلة في خوفهم ، فهذا لن يتم إلا بعد مرور ٥٠ مليون سنة أو أكثر ، وذلك عندما تهزم شمسنا وتتفجر وتتحوّل إلى (super nova) أي شمس شديدة الاشعاع بسبب انفجارها . وفي ذلك الوقت سيكون أحفادنا قد عرفوا مكاناً آخر قرب شمس مستقرة ليسكنوا فيه .

إن ظهور الثقب الاسود في النظريات سابقاً واكب ظهور ثقيبات سوداء مكرسكوبية في النظريات أيضاً ، وذلك ما أوحى به العالم (فريدمان) واثبت صحته رياضياً . . وهكذا ظهرت لأول مرة فرضيات وجود عوالم (واعية) بجانب هذه الثقيبات الصغيرة . مادام الثقب الاسود الكبير الذي يتولد عن انهيار شمس (وكتلتها على الأقل أكبر من كتلة شمسنا بثلاثة أضعاف) أو عن انهيار مجرة كاملة ، وما دام هذا الثقب يجاور شمساً وكواكب عليها حياة ، فما الذي يمنع ان يجاور الثقب الاسود الصغير نفس هذه العوالم الحية المحيطة بالثقب الكبير؟

لقد استقطبت هذه الفكرة العديد من العلماء ، واستطاعت مع الزمن إثبات عدم غرابتها ، فهل ياترى ستمكن من الاتصال بسكان عوالم الثقيبات السوداء المكرسكوبية؟ أما الآن فبودي ان أشير اشارة فقط إلى جدليات الطاقة لأن الحديث عنها طويل ، وبسبب كثرة التناقضات في ثناياها قد تذهل القارىء .

إن أهم ما كتب به بارشينكوف (مؤلف الكتاب) هو كيف التزمت نظريات الفيزياء الحديثة وبشكل صارم بقانون مصونية الطاقة (قانون حفظ الطاقة) وكان لهذا الالتزام بالقانون أثره الايجابي على تطور الفيزياء . ولكن ما أثار العلماء فيما بعد هو ماهية الطاقة ، فما هي الطاقة؟ هل هي الكتلة ، أم هي العمل ، أم انها ظاهرة منفردة . . وما هو أصل هذه الظاهرة ، ومن أين أتت؟ أم انها من أصل الوجود؟ فما دام زمان الوجود غير محدود ولا نهائي فوجود الطاقة أيضاً لا نهائي . . وهل هناك وجود للمحرك الأبدي؟

اسئلة كثيرة والاجابة على أحد هذه الاسئلة تتطلب الاجابة على اسئلة إضافية يطرحها الجواب نفسه . لكن الراسخ الآن هو ان الطاقة ليست هي الكتلة أو العمل . . وان أصلها لا يرتبط أبداً بضرورة حدوث شيء ما . فمثلاً يطرح علماء اليوم فكرة يعتبرونها غير مناقضة لقانون حفظ الطاقة ، وهي انه ليس بالضرورة اقتران الحركة بالطاقة ؛ فمن أين إذن سيستمد الجسم المادي حركته؟ هذا السؤال يطرحه المعارضون . ويجيب أصحاب الفكرة

بأن هناك شيء ما غير الطاقة يجعل الجسم يتحرك في لحظات متقطعة . وإذا ما دققنا النظر في هذه الفكرة وكررناها سنشعر بصوابها أو نشعر بجنونيتها، لكنها فكرة مطروحة، ولأصحابها أدلتهم خصوصاً فيما يتعلق بالتناقضات في نظرية النسبية العامة، التي تبحث في الجاذبية والزمن والفضاء . وإذا ما صحت وجهة نظر هؤلاء فإن للجسم لدى انعدام طاقته سرعتين : الأولى سرعة معدومة والآخرى سرعة تكبر إلى ما لا نهاية . أما عن المحرك الأبدي فقد أثبت التجارب عدم وجوده ، لكنه قد يوجد يوماً ما .

إن قراءة هذا الكتاب قد تغني يوماً ما الأجيال القادمة في البحث عن معاني عصرنا وظواهره الاجتماعية ومستقبله، وستبدأ في تلك المرحلة جهود المحافظة على جنسنا البشري والتوحد في كائن اسمه الإنسان، أرقى السلالات الحية التي انجبتها الأرض، وسيصبح الولاء المطلق لا لفرد ما بل لقضية المحافظة على استمراريتنا في هذا الوجود المعقد إلى ما لا نهاية . .

ملاحظة : لقد تمت إضافة الكثير من المعلومات الجديدة للفيزياء الحديثة في هذا العرض والتي لم يضمها الكتاب (المراجع : مجلة العلوم الأمريكية - النظرية النسبية العامة) .



تصريح المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي

حول تطورات الاوضاع في الاتحاد السوفياتي

شهدت الفترة الأخيرة، تطورات متسارعة خطيرة في الاتحاد السوفياتي، واتخذ الصراع للاستيلاء على السلطة السياسية منحى مثيراً للقلق على مصائر الشعوب السوفياتية، وقضية السلم والتقدم والديمقراطية في العالم بأسره.

لقد اندفعت المواجهة، بمختلف الأساليب اللاديمقراطية، بما في ذلك الانقلاب العسكري، لتقطع مسيرة التطور الطبيعي لانتشال البلاد من أزمتها الطاحنة، وارساء أسس الحياة الديمقراطية في إطار الخيار الاشتراكي، ومن منطلق تجديده في مختلف الميادين، لصالح رفع قامة الانسان باعتباره هدف أي نضال وموضوع أي تقدم.

لقد اطلق الحزب الشيوعي السوفياتي عام ١٩٨٥ مبادرة التجديد، كعملية موضوعية لا مناص منها لاعادة الاعتبار للاشتراكية وقيمها وقسماتها الانسانية الرفيعة، وازالة التشوهات الغريبة عنها، بالاستناد أساساً للديمقراطية والتعددية والمصارحة ونبذ كل وسائل القسر والارهاب والامامية وغيرها من مظاهر النظام الشمولي الاستبدادي.

ومن هذا المنطلق بالتحديد، استقبل حزبنا، كما هو حال الاحزاب الشيوعية والعمالية والايوساط والقوى التقدمية في العالم، هذه العملية بالتفهم والدعم والتفاعل. ورغم التحفظات العديدة التي ازدادت في مجرى تطبيق «البريسترويكا» على تفاصيلها ونزعاتها السلبية ونتائجها العدمية فان حزبنا ظل، ولا يزال يقيم العملية باعتبارها عملية موضوعية، وظاهرة ايجابية في مسيرة التقدم الانساني والتطور الحضاري.

ولكن الاحداث الاخيرة التي أعقبت الانقلاب الفاشل، المعبر عن روح الجزع وضعف الايمان بالحركة الجماهيرية والاستناد إلى ارادتها، والمشدود إلى الحلول الفوقية،

الاولامرية المغامرة، عكست من حيث المضامين والأساليب والأهداف، ذات النزعة الانقلاية المناهضة لجوهر عملية التجديد واداتها الديمقراطية .

لقد جرى استغلال المغامرة الفاشلة من قبل الأوساط المهيمنة في عدد من الجمهوريات، لدفع الأوضاع باتجاه تنظيم حملة ثأرية واسعة وتصفية الحسابات مع الحزب الشيوعي السوفييتي، إثر اجراءات لا ديمقراطية استهدفت تجريده من حق مواصلة نشاطه ومصادرة ممتلكاته، بالإضافة إلى الارهاب الفكري الذي لا يجمعه جامع بالديمقراطية والتجديد والقيم الانسانية .

لقد كان الشيوعيون السوفييت رواد عملية التجديد، ودعاة الاصلاح، وضامني حقوق الآخرين من مواقع السلطة التي كانوا على رأسها وهم جديرون بالمشاركة النشطة الديمقراطية في مواصلة هذه العملية بمختلف جوانبها . ولابد لأي محاولة لتحويل مجرى الاحداث لحجب حق العمل والنشاط عنهم أو التضييق عليهم أو على غيرهم، من دفع البلاد إلى مصائر من شأنها الحاق أفدح الاضرار، لا بالشعوب السوفيتية ومستقبلها ومعافاتها واعادة مكانتها ودورها، بل وبقضية الديمقراطية والتقدم وحق الشعوب في اختيار طريق تطورها المستقل في العالم أجمع، وبحماية كوكبنا من الكوارث المحدقة به .

ان الحزب الشيوعي العراقي الذي كان يتنظر منذ نشوئه باحترام ودعم لنضال الشعوب السوفيتية ويعتبر أي تقدم تحرزه نصراً لقضية السلم والديمقراطية والتقدم في العالم، يعبر اليوم أيضاً عن أقصى التعاطف والدعم لنضال هذه الشعوب وللشيوعيين وجميع الأوساط والقوى الديمقراطية والتقدمية في الاتحاد السوفييتي في سبيل انتهاء الأزمة المستفحلة فيه، وصد التيارات والنزعات والنشاطات التي ترمي إلى اعدائه إلى أشكال معاصرة من التخلف والبربرية .

اوائل ايلول ١٩٩١

تصريح ناطق باسم المكتب السياسي

حول استمرار طفمة صدام حسين في اباداة الشعب العراقي في الجنوب وكردستان

فيما تتعاظم حاجة شعبنا العراقي إلى الأمن والاستقرار لتخفيف ما يكابده من أهوال المجاعة وتفشي الامراض، فضلاً عن سائر الآثار الاجتماعية والاقتصادية الوخيمة لأكثر من عشر سنوات من الحروب المدمرة، تواصل طفمة صدام حسين سياسة الأرض المحروقة والقتل الجماعي في مناطق مختلفة من بلادنا تستند من أهوار الجنوب إلى جبال كردستان. ويهم حزبا ان يلفت انظار الرأي العام العربي والدولي إلى الحرب العدوانية غير المعلنة التي تشنها الطفمة الحاكمة حتى اليوم ضد العرب في الجنوب والكرد والتركمان والاقليات القومية في كردستان العراق . . .

فمنذ مطلع ايلول الجاري تقوم قوات النظام بعمليات عسكرية واسعة في مناطق الاهوار، وخصوصاً أهوار محافظة ذي قار (الناصرية)، مستخدمة الطائرات السمتية والدبابات والمدفعية الثقيلة وقوات المشاة.

وشملت تلك العمليات التي أدت إلى مئات القتلى والجرحى معظمهم من الاطفال والنساء والشيوخ، مناطق سوق الشيوخ وكرممة بني سعيد والحمار والجياش والفهود والجوير والشندود والكرمانشيه، واستهدفت اباداة سكانها وكذلك المواطنين النازحين إليها من مناطق أخرى في الوسط والجنوب استباحتها قوات الحرس الجمهوري اثر الانتفاضة الشعبية المجيدة التي تفجرت في آذار الماضي.

وترافق مع تلك الهجمات الهمجية قيام القوات الحكومية بفرض حصار على المنطقة لمنع وصول الاغذية والادوية إليها أو خروج المنتجات المحلية، كالاسماك والمواشي منها إلى المناطق الأخرى بهدف اباداة مئات الالوف من المواطنين عن طريق التجويع وانتشار الامراض بين صفوفهم.

وعملت قوات السلطة ايضاً إلى تسميم بعض المناطق مما أدى إلى تعرض حياة السكان للخطر واتلاف كميات كبيرة من الاسماك والمواشي التي يعتمدون عليها في معيشتهم .

وتستمر السلطة الدكتاتورية في الوقت نفسه بتعزيز قواتها في المناطق الجنوبية والغربية من كردستان العراق تمهيداً لعملية عسكرية واسعة ضد الشعب الكردي وقوى الجبهة الكردستانية، ففي الآونة الأخيرة دفعت الطغمة الحاكمة بقوات اضافية، اتخذت الوضع القتالي، إلى مناطق دهوك والشيخان وازمر وطاسلوجة وچمچمال وعرب ودريندخان وكرميان وخانقين وقادر كرم اضافة إلى عدة مناطق في محافظة كركوك .

وفي الثالث من ايلول الجاري شنت قوات السلطة حملة مدماهمة وتفتيش في مدينة خانقين واعتقلت ٣٥٠ من شبابها بتهمة الهرؤب من الخدمة العسكرية . كما قامت في اليوم التالي باعتقال عوائلهم الذين نقلوا إلى أماكن مجهولة، ولم يعرف أي شيء عن مصيرهم حتى الآن .

وقد توفرت لدينا دلائل على استعداد الطغمة الحاكمة لاستخدام انواع من اسلحة الابادة الشاملة، بينها الاسلحة الكيماوية، في عملياتها العسكرية الجديدة . ومن تخطيطها لشن هجوم بواسطة الوية الحرس الجمهوري على عدة محاور هي : چمچمال - بازيان، والسليمانية من الداخل والخارج حتى ازمر وقرداغ . وكفري - اسكي كفري، وولي حيدر - سرقلا - كوله جو - كلار وطفطق - رانية - كويسنجق . وتكليف عناصر مرتزقة من منظمة مجاهدي خلق الایرانية، بارتداء الزي الكردي لغرض التضييل . وجرى تحديد موعد الهجوم الشامل في الساعة ٧٠٠ من يوم ١٩٩١/٩/٢٤ .

ان حزبنا الشيوعي العراقي يتوجه بالنداء الحار إلى كل اوساط الرأي العام العالمي وحكومات الدول العربية والاجنبية والمنظمات الدولية والقوى السياسية والاجتماعية وكل من تعز عليهم قضية حقوق الانسان للقيام بكل ما من شأنه وقف طغمة صدام حسين عند حدها، وردعها عن الاستمرار في أعمالها الهمجية ضد الشعب العراقي الذي انهكته السياسات الارهابية والمغامرات العدوانية لهذه الطغمة المسلطة على رقاب شعبنا بقوة الحديد والنار .

١٩٩١/٩/٢٢

بيان

يا ابناء شعبنا

ان اللجنة القانونية للجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية، اذ تعلن عن بدء عملها وتحمل مسؤوليتها ومهامها الوطنية، تتطرق من الاهداف التي اعلنتها لجنة العمل المشترك ومكتب الامانة في بياناتها ومذكراتها المتعددة المتمثلة باسقاط النظام الدكتاتوري بإرادة الشعب العراقي، وتصفية مخلفاته والغاء القوانين الجائرة الصادرة عنه، وانهاء ممارسة الاضطهاد السياسي والقومي والديني والمذهبي وتقرير مبادئ حقوق الانسان.

يا احرار العالم

يعاني شعبنا في العراق من ممارسات النظام الحاكم وخرقه لأبسط مبادئ حقوق الانسان، وحرمانه من حقوقه وحرياته الأساسية التي تكفلها القوانين والدساتير العراقية والمواثيق والاعراف الدولية.

فضحايا النظام يزدادون عدداً واماكن تواجدهم تزداد انتشاراً، فاهوار وسط وجنوب العراق تحتضن مئات الالوف منهم هاربين من بطش النظام وقمع، ومدن وقرى كردستان العراق تضم مئات الالوف، وكذلك مخيمات اللاجئين في ايران وتركيا وسورية والسعودية والاعداد المتزايدة التي وصلت إلى الاردن وما زالت في زيادة مستمرة هرباً من المعاناة ومن بطش النظام، تحتوي اعداداً هائلة من هؤلاء الضحايا، الذين ما زالوا في انتظار موقف انساني عربي ودولي لنصرتهم ودعمهم ومساعدتهم للخلاص من الحالة المأساوية والمعاناة التي يعيشونها في ظل ظروف قاسية من غذائية وصحية وجوية وغيرها.

ان اللجنة القانونية التي تعلن عن بدء عملها، تدعو المواطنين العراقيين كافة والحقوقيين منهم بشكل خاص إلى دعم عملها للقيام بمهامها بما يخدم ويعزز قضية الشعب العراقي والمساهمة في فضح انتهاكات وممارسات النظام الحاكم في العراق واجهزته الارهابية محلياً وعربياً ودولياً، كما تؤكد على أهمية تزويد اللجنة بما يتوفر لديهم من معلومات موثقة عن انتهاكات السلطات العراقية من حالات الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء والخطف والحجز والفصل والاعدام وغيرها.

لقد ادان العالم النظام الحاكم في العراق ورئيسه صدام حسين، وطالبت وما زالت تطلب العديد من الدول والمنظمات تقديم صدام حسين إلى محاكمة دولية كمجرم حرب، جراء ارتكابه جرائم بحق الانسانية وتهديده للأمن والسلام الدوليين وانتهاكاته

لمبادئ القانون الدولي، وفي مقدمتها استخدامه للقوة في العلاقات الدولية بدل حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية. وعلى الصعيد المحلي انتهاكاته المستمرة لحقوق وحرريات المواطن وانتهاجه سياسة الإبادة الجماعية التي تعتبر جريمة دولية بمقتضى القانون الدولي.

وتؤكد اللجنة القانونية في بيانها هذا على أهمية المشاركة الواسعة من أبناء شعبنا في العراق، بما يخدم ويعزز المبادئ الانسانية لحقوق الانسان وتعرية الأساليب القمعية لاجهزة السلطات العراقية وممارساتها الارهابية وخرقها المستمر للقوانين المحلية والمواثيق الدولية.

كما تؤكد اللجنة على أهمية التعاون والتنسيق مع كافة المنظمات واللجان العراقية والعربية التي تعني بالدفاع عن حقوق الانسان، وبذل الجهود والسعي لتحقيق طموحات أبناء شعبنا في عراق يتحقق في ظل حكمه احترام القوانين، ومن أجل إعادة الوجه الحضاري لعراقنا الذي مسخه النظام الحاكم ورئيسه صدام حسين بجرائمه وانتهاكاته المستمرة لحقوق الانسان وخرقه للمواثيق والاعراف الدولية.

وتأمل اللجنة القانونية التابعة للجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية ان تكسب الصوت المعبر عن ضحايا النظام الحاكم في العراق والمدافع عن قضاياهم المشروعة في اللقاءات والندوات والمؤتمرات وإيصالها إلى المنظمات الدولية والانسانية ولجان حقوق الانسان الحكومية وغير الحكومية.

اللجنة القانونية

لمكتب امانة لجنة العمل

المشترك لقوى المعارضة

العراقية



لا لقتل أطفال العراق على يد بوش وميجر وميتران

د. أبو بكر السقاف

كتب كاتب عربي من لبنان ان صدام حسين هزم العرب، ولو توخينا الدقة لقلنا قد هزمنا انفسنا، فنحن نملك زاداً نفسياً وثقافياً في داخلنا يجعلنا نتحمس حتى الهذيان لمن يقودنا نحو الهاوية، كل عقد أو عقدين، وتلك سمة يمكن ان نصفها بتحويل بسيط لاحد مصطلحات المرحوم مالك بن نبي، انها القابلية للاستبداد، الكامنة في بنية الوعي والثقافة والسلوك السياسي، لاننا حتى الآن لم نستبدل بجوانب الضعف في ثقافتنا السياسية ملامح جديدة تصنع المناعة ضد جرثومة الاستبداد. فنحن سرعان ما نتخلى عن القشور الثقافية التي نلصقها بوعينا من الخارج، مثل الديمقراطية والعقلانية وكرامة الفرد، ونشرع في احراق البخور لأول مستبد يتخذ بعض مسوح الفارس المخلص الخارجية، وبذلك نلقي عن كاهلنا مسؤولية تحرير انفسنا، ونسلم قيادنا سلسا للاب الملهم، و«القائد الضرورة» وكأنه قانون من قوانين الطبيعة.

انه ضرب من الخوف من الحرية أو «الهروب من الحرية» الذي حلل اريك فروم اسبابها ومظاهرها في كتابين يحملان نفس العنوان وبين الأساس النفسي الاجتماعي للنازية في ألمانيا.

العراق اليوم يتعذب من التقاء ارادتين شريرتين: جنون عظمة حاكمه، واحتراف القتل في سبيل الهيمنة العالمية، الذي يمارسه بوش، وهو الذي ضرب رقماً قياسياً بين رؤساء امريكا في الحديث عن ضرورة قيادة امريكا العالم. وهو يحاكم منذ أيام على يد الشجعان الامريكيين الذين كونوا محكمة برئاسة رمزي كلارك المدعي العام الامريكي

السابق، ولم يوجد بين العرب من يحاكم صدام على جرائمه، فمن شأن المحكمة ان تبين كيف أصبح شعب العراق ضحية غولين أحدهما داخلي والآخر خارجي وكل الكتابات والدراسات تقرر ان العراق أصبح ضحية منذ انفرذ فيه بالحكم فرد مستبد وحزب أوحده. ان الاستمرار في القاء كل المسؤولية على الخارج، ليس إلا شهادة براءة الاوضاع الداخلية من دم العراق. وذلك اسلوب أصبح مألوفاً سائداً في الفكر السياسي العربي، وهو يتجنب بوعي أو بغير وعي دراسة تلك البنية التي تنتج الاستبداد كل يوم. وكما يفعل القُصّر يلقي باللوم على الكبار.

العراق اليوم دولة تحت الوصاية، وسوف يعاني سنوات طويلة من نتائج مغامرتين عسكريتين ومن آثار سوط العذاب، الذي لم يترك مكاناً لجرح جديد في جسمه بعد ان دمر شماله وجنوبه، وسجن مائة الف من أبنائه وشرذ عشر سكانه (انظر ان شئت فالح عبد الجبار/ الحياة ٩١/٧/٣٠).

ان الطريق الوحيد لخلاص الشعب العراقي من كل محنة وويلاته، يمر عبر وحدة المعارضة العراقية لاسقاط صدام حسين، واقامة البديل الديمقراطي، ذلك ما ورد في بيان للحزب الشيوعي العراقي، يستنكر فيه الحصار الاقتصادي.

هذا هدف المعارضة العراقية، ولا شك انها ستحققه، فصمام الأمان المتمثل في الجيش والأمن والحزب، يعاني من هزة عميقة بعد الهزيمة. لكن المهمة العاجلة اليوم انما هي انقاذ الشعب العراقي الشقيق من الموت البطيء ولاسيما اطفاله فوفقاً لتقرير مجموعة اطباء من جامعة هارفرد هناك منذ شهرين ١٧٠ الف من الاطفال مهددين بالموت.

تقدم الممثلة البريطانية الشهيرة فانيسارد جريف، نصيرة قضايا العرب وصفاً دقيقاً لحال أطفال العراق، في فيلم عرضته في إحدى قاعات مجلس العموم وقد قدم المسؤولون عن صندوق رعاية الطفل التابع للأمم المتحدة تسهيلات لتصوير ذلك الفيلم وجاء في نشرتهم الصحفية قبل عرضه «ان الشريط الذي مدته ٢٨ دقيقة ذكرى تصدم المشاعر للطريقة التي يكون بها الاطفال الضحية الأولى للحرب. فمن البصرة إلى العمارة، ومن بغداد إلى السليمانية نشاهد اطفالاً في حالات متفاقمة من الهزال والبؤس، وحتى أطفال مصابين بانتفاخ البطن نتيجة نقص التغذية، وهو مرض نادراً ما عرف خارج افريقيا. وفي البصرة تضاعف عدد الاطفال دون الخامسة الذين اصيبوا بالاسهال منذ مايو ١٩٩٠ م. (١٩٩١). ويقدر ان هناك حوالي ٢٥٠٠ حالة من الاصابة بالحمى التيفية الشديدة. . وعرض التلفزيون البريطاني مقتطفات من الشريط الذي يظهر اطفالاً لم يبق على عظمهم سوى الجلد وعلى وجوههم سوى الشحوب. (سبريل تاونسند، الحياة ٩١/٧/٢٨، والكتاب عضو مجلس العموم عن حزب المحافظين).

تظاهر في فرنسا انصار حقوق الانسان مطالبين برفع الحصار وتجويع الاطفال وكذلك فعل الالمان. العرب وحدهم لا يتحركون ساستهم مشغولون بمكافحة الدولة الصهيونية على ايقاف عمل غير شرعي كما قال مناضل فلسطيني وذلك بالوعد بفك الحصار الاقتصادي، مقابل وقف بناء المستوطنات في هذه الايام، مع السكوت عن المستوطنات القديمة منذ هزيمة عام ١٩٦٧. وقد بدا الاقتراح بفكرة التعليق، وطوره ساسة السعودية والخليج فاصبح فكاً للحصار. ذلك ضرب من التفاوض والذهاب إلى الحرب دون سلاح، وهو معجزة لا يجيد اجترارها أحد غير الزعماء العرب.

أما الرأي العام العربي فقد تخلى عن حماسه لاستخدام الكيمياء، وقبح يجتر مهانة الهزيمة، وما أجدره اليوم يتعلم الدرس القاسي والعودة إلى مقاومة اعدائه. ولكنه لم يقرر حتى الآن لا التصدي للمجازر بوش، ولا للاطلاحة بدكتاتور العراق. انطوى على نفسه، دخل شرنقة، لا يريد ان يخرج منها هذه المرة لتأييد مغامر جديد أو مسيح دجال. يوظف الضعف الاساسي في الشخصية لخوض مغامرة جديدة. قلنا انتظار المهدي المنتظر الذي ننقل كل قوانا اليه، بحيث لا يبقى فينا إلا الانتظار الثالث الذي شكاه منه المفكر الشهيد علي شريعتي ووصفها بالتشيع الاسود، تمييزاً له عن التشيع الاحمر الفاعل.

القاء اللوم كله ولاسيما في هذه الايام على دكتاتور العراق وحده، كما تفعل اجهزة اعلام الانظمة العربية في مصر والسعودية، ليس موقفاً صحيحاً. انهم يحاولون اعفاء حلفائهم الكبار من كل مسؤولية حتى عندما تكون جرائمهم بينة لا تحتاج إلى برهان فالحلفاء يقومون بخرق كل القرارات والقوانين الدولية، مستغلين فترة الانتقال التي يمر بها النظام الدولي، ليرسخوا فيه مقومات هيمنتهم.

ان العقوبات التي تطبق على العراق في هذه الايام تتجاوز قرارات مجلس الأمن اذ يدخل فيها الغذاء والدواء، وهناك توسع في تفسير حق التعويض لا يكفي باحتجاز ٣٠٪ من ريع النفط العراقي في صندوق التعويضات بل يمارس حق الاشراف حتى على استيراد الغذاء والسلع التي لا علاقة لها بالانتاج الحربي من قريب أو بعيد.

انهم يهدفون إلى دفع الشعب العراقي في طريق الخوف من الموت البطيء، حتى يندفع بفعل هذا الرعب إلى التخلص من الدكتاتور، بعد ان حقق كل مطالب امريكا وحلفائها. وصف عضو في لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الامريكي حال صدام قائلاً: «لقد وضعناه في الركن المناسب، وهو يقع على كل ورقة نقدمها اليه» ذلك لأن الاولوية لبقائه في الحكم وحزبه الأوحده.

أشار الأمير آغا خان في تقريره الانساني إلى الأمم المتحدة إلى ان الشعب العراقي

هو الذي يعاني من الحصار لا حكام العراق. وذكر التدمير الذي الحقته المحاكم بجنوب العراق، الاهمال الطويل الذي يعاني منه.

ان القادة لا يزالون يتمتعون بنفس مستوى معيشتهم السابق بل تتمتع به بعض المناطق المدللة من العراق، على حساب الجنوب والشمال، الامر الذي كشف خطورة الحكم القائم على وحدة العراق تبين للعالم ان نظام بغداد حكم اقلية، يرمى مصالح اقلية أكثر من منظمة دولية، وكذلك كل احزاب المعارضة العراقية، فقد اتضح ان الحكم متحيز ضد أقسام كبيرة من سكان العراق، حتى التجويع وحجب الأدوية. فحكم الاقلية الذي يستخدم بحق تقرير المصير، الذي يتمثل في الحكم الذاتي للاكراد في وجه العدل الاجتماعي الذي لم يعرف طريقه نحو الجنوب حتي في أبسط صوره.

ان ثلاثي الشر بوش وميجر وميتران يستمرون صورة الجلاد، التي يدعمها حاكم العراق بالافعال، كما حدث في الجنوب والشمال، بدعوى وجود تدخل اجنبي، فوجه حرسه الجمهوري اسداً على شعبه، بعد ان كان نعمة في الحرب، ليدعم حكمه، ويهدد وحدة الشعب. فاية وحدة هذه التي تؤسس على قتل مئات الالاف وتشريدهم وهمم الالف القرى. ان هذه الطريقة في الدفاع عن الوحدة، هي في الواقع تقويض لأسسها ومقوماتها، فلا يعقل ان ينزاح نحو مليوني انسان إلا نتيجة استخدام بربري للقوة الحربية فلا يغادر الانسان وطنه إلا خوفاً من موت داهم*.

تستحق الولايات المتحدة الوصف الذي اطلقه رئيسها السابق ريجان على الاتحاد السوفيتي «امبراطورية الشر» التي تقوم على ما وصفه «الشيخ فولبرايت» صلف القوة، فريثها مع حليفه لا يتورعون عن قتل اطفال العراق كل يوم، وزوجة ميتران التي ترعى جمعية للدفاع عن الاكراد منذ سنوات لم تفكر لحظة في الدفاع عن اطفال العراق. ان المشاعر الانسانية تصبح موضع شك عندما لا يرى اصحابها ان تدمير حق الحياة لشعب بأسره أمر جدير بالمعارضة والادانة والمقاومة. . . ومن الواضح ان امريكا وحلفائها يحلون الرغبة محل القانون، وضرورة الهيمنة مقدمة على كل ما هو قانوني أو انساني.

ان الرؤساء الثلاثة يقومون بتمرينات يومية على أكل لحوم البشر، تحت دخان كثيف من الحديث عن الحضارة والاخلاق وحقوق الانسان والمحبة.

يشير الصمت البليد للشارع العربي الحزن والغضب، وكأنه لا يستطيع التفكير إلا بأمر، أو في غمرة هياج عاطفي يغشي البصر والبصيرة ويجعل العاطفة بديلاً للتفكير، أو معادلاً له. بل يبدو انه لا يستطيع حتى الاحساس بأمر. انها الثمرة المرة لغياب الوعي بكرامة الانسان الفرد المستقل والمسؤول عن أعماله. وترتب على ذلك غياب مؤسسات المجتمع المدني، التي يشيدها المواطنون قلاعاً للدفاع عن حريتهم وحقوقهم وكرامتهم.

أين لجنة الدفاع عن الشعب العراقي ، التي كانت تقود الجماهير بمناسبة وبدون مناسبة للاجتماع والمظاهرات. أين نقابات اليمن ، واتحاد نقاباته؟ أين الرجل ، أين المرأة ، أين المثقف أين الامي . . أين الانسان في هذا الركام الهامد عندما كان الدفاع عن العراق يعني الدفاع عن مغامرة احتلال الكويت ، وعن حاكمه كانت اللجنة تصول وتجول ، وتمارس كل هواياتها الرسمية ، على جميع المنابر ، والآن عندما اصبح الدفاع عن شعب العراق واجباً لا يحتمل التأجيل لا نسمع كلمة احتجاج ولو خجلى عابرة . نحن مرة أخرى أمام ظاهرة التفكير بأمر والاحساس بأمر والحماس بأمر وهو مقتل كل المجتمعات العربية : وصاية الدولة على كل حركة في المجتمع صغيرة أو كبيرة فردية أو جماعية والالغاء الكامل للمبادرة الفردية والجماعية .

لعلها موازين توازن مبدئي جديد تقزم به حكومتنا فلا يتلام مع أي حديث عن بربرية امريكا وحلفائها ، كما ان اغضاب الجيران من الامور التي تعكر صفو البحث عن طريق العودة إلى دروب المحبة والاخاء ونسيان الجراح ، كما نسمع من الاصوات التي تتعالى على كل المنابر في المشرق والمغرب . وما أجدرنا بهذا النبل ونحن موطن الحكمة القديمة والجديدة ، وان اغرقتنا في الأزمات والمشاكل السياسية والاقتصادية . ان غياب النقد الذاتي نذير بتكرار الخطأ .

كيف يمكن الشروع في بناء تجربة ديمقراطية في غياب المجتمع وحضور الدولة وحدها في ساحتي التفكير والعمل؟

انه سؤال يتصل بكل الشأن القومي والانساني قطعياً وقومياً لاسيما ونحن نعيش في وحدة عاجز فاضح يمنعنا من اظهار أدنى حد من التضامن مع ضحايا الكولونيالية الجديدة ، والاستبداد المحلي ، وامريكا ماضية قدماً مع حلفائها الاوربيين والعرب في ارساء قواعدهما بالنار كما فعلت الرأسمالية في فجر تاريخها الدامي ، عندما أبادت الملايين ، ونهبت ثروات كل القارات من أجل ان تزدهر اوربا وامريكا .

هل نطمح ان نواجه اعداءنا في الداخل والخارج ونحن في (رقدة العدم) بله ان نتقدم من اهدافنا القومية الكبرى . لا اظن . نحن نتحرر إلا اذا كنا أحراراً حقاً . ولذلك شرط ان نلغي قوة القابلية للاستبداد في وعينا وسلوكنا .

يدافع تاونسند عن حزبه وحكومته ، فهو لا يستطيع ان يفهم مطالبة رد جريف برفع العقوبات عن العراق ، بحيث يتسنى مع الوقت وصل التيار الكهربائي وتنقية المياه واعادة الرواسب إلى مجاريها ، (المصدر السابق) .

تسبب الرواسب الامراض الوبائية لأن شبكة المياه لم تعد نظيفة لاختلاطها بمياه المجاري ، من جراء القصف الجوي ، الذي أعاد الطاقة الكهربائية في العراق إلى مستوى

العقد الثاني من القرن. ولكن تاونسند مبهج لأن العقوبات لم يحدد رفعها بزمان، ويهمل في نفس الوقت السؤال المركزي الملح اليوم: ان العقوبات تجاوزت قرارات مجلس الأمن. وليس هناك من يجهل ان المنتصر لا يحاكم، ولكن لابد من مقاومة هذا التجاوز على جميع المنابر. ان القضية اليوم لم تعد المعيار المزدوج فحسب، بل خرق كل معيار قانوني، وانساني وتجاوز القرارات بفظاظة صريحة.

يساعد على هذا التجاوز ان الصين والاتحاد السوفيتي لا يريدان جعل هذا الموضوع سبباً لخلاف حاد مع الفرسان الثلاثة. ان الروح البراجماتي (العملي) في سياسة البلدين له تاريخ طويل فيهما بدأ من استبدال الدولة بالثورة. ولكن قبل محاسبتهما علينا ان نحاسب أنفسنا، لاسيما اولئك الذين رفضوا عقد مجلس وزراء الخارجية العرب حتى لا يتهموا بالدفاع عن شعب يحتضر.

نعرف جميعاً ان عدوانية حاكم العراق وحزبه الاوحد وجهت ضربة إلى التضامن العربي ومدت الزعة القطرية بوقود جديد عندما مارست قطريتها حرباً.

ان رأب الصدع في نفوس المواطنين يحتاج إلى سنوات. والحي العربي الغني يدخل شرفته محروساً بقوى التحالف. ولكن يظل السؤال هل يمنعنا ذلك كله من الوقوف إلى جانب اخوتنا واهلنا في العراق. مع رسم واضح بيننا والحكم الذي جر الكوارث على كل العرب.

ان الأوان للقيام بمبادرة شعبية لتكوين لجان للدفاع عن الشعوب العربية في كل مدن اليمن، وفي مقدمة من يجب الدفاع عنهم شعب العراق وشعب فلسطين. وان يكون من مهام اللجان معارضة الوجود العسكري الغربي والامريكي في الجزيرة العربية والخليج العربي. ولتكن البداية دعوة من اتحاد عمال اليمن إلى المظاهرات السلمية والتعبير بمختلف الاشكال للاحتجاج على تجويع الشعب العراقي، وقتل اطفاله.

لا أشك في ان عملاً على هذه الشاكلة ينبثق من المنظمات والمؤسسات الاجتماعية والاتحادات المهنية سيكون مقدمة مناسبة لبناء حركة اجتماعية ورأي عام يدافع عن الوطن الصغير والكبير.

عن جريدة (التجمع اليمنية) ١٩٩١/٨/٥

● لم يكفوا فقاموا بسابقة خطيرة في السياسة الدولية بتكوين قوة تتمركز في تركيا قرب الحدود مع العراق للتدخل عند الحاجة لحماية الاكراد. وتساهم تركيا في القوة في إطار سياستها للقيام بدور رئيسي في المنطقة. ان سياسة ابادة الاكراد تقدم ذريعة لأمريكا وحلفائها لمثل هذه الاعمال، ليفهموا بهذه السابقة تحت ستار الدفاع عن الانسان.

بين «نظام الشورى» وموجبات الديمقراطية

الشيخ خليل عبد الكريم

تحت عنوان «أقالمة الشورى»، يعالج الشيخ خليل عبد الكريم في بحث مسهب، «الشورى» كنظام مدني، وتطور الفكرة تاريخياً، محاولاً إبراز الروابط بين «نظام الشورى» المدني كما قال به الاسلام وبين التطور الاجتماعي وظروف المجتمعات العربية الراهنة، وضرورة اعتماد الديمقراطية.

يعرف الباحث نظام الشورى بأنه نظام عربي قديم لدى عرب الجزيرة العربية، استمره الاسلام منهم مثل كثير من الأنظمة في كافة النواحي. وكانت القبيلة العربية هي الوحدة الاجتماعية والسياسية، ثم يعطي أمثلة على ظروف وقضايا أساسية يعتمد فيها المسلمون الشورى: ومنهم الصحابة، بدءاً من أبي بكر الذي «امضى رأيه رغم مشورة كبار الصحابة»، ورغم خطورة الموقفين السياسي والحربي (...). واصر على محاربة القبائل الثائرة (حرب الردة) رغم اجماع الصحابة من المهاجرين والانصار، على مهادنتهم وقبول الصلاة منهم وترك الزكاة. وكذلك يعطي مثلاً عن مسيلة «تقسيم أرض السواد التي فتحت عنوة» منها ما هو في مصر والشام، ويومها «استشار الخليفة عمر الصحابة في أمرها فانقسموا فريقين (...).»

وفي مجال آخر من بحثه يعرض الشيخ عبد الكريم الفرق الجوهرية بين «الشورى» و«الديمقراطية»، فالأول يقتصر على أخذ رأي «الملا» (النخبة في القبيلة) أما القيل (أي العامة) فلا حساب له عنده ولا قيمة، في حين ان الآخر يركز أساساً على رأي القاعدة الشعبية العريضة (...). فهو حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب. ويتأسس نظام الديمقراطية على الانتخاب من القاعدة إلى القمة في حين ان نظام الشورى لا يعرفه ولم يعرفه طوال ماضيه، ولم نقرأ في التاريخ الاسلامي ان «خليفة» أو «والياً» تم تنصيبه عن طريق الانتخاب الحر المباشر الذي شاركت فيه جماهير المسلمين... وليست «البيعة» انتخاباً بأي صورة من الصور. ويضيف ان «موجبات ذلك العهد وآلياته ودرجة الوعي والحظ من المسيرة الحضارية، كلها كانت تمنع الوصول إلى اختيار الحاكم أو الوالي بطريق الانتخاب الحر المباشر وإشراك القاعدة الشعبية في تنصيبه. اذن، نظام الشورى كان، ولا شك، ملائماً لمجتمع معين له ق ماته وظروفه التي تختلف اختلافاً كلياً عن مثيلاتها في

مجتمعاتنا المعاصرة».

وفي مقدمة بحثه القيم، والتي تقتصر على نشرها في ما يلي يقول عبد الكريم: «الشورى» نظام مدني، لأنها وثيقة الصلة بسياسة الحكم. وهي من أمور الدنيا مثل البيع والايجار والمزارعة والمغارة والمساقاة، غيرها من المعاملات أو الأنظمة المدنية التي فنتتها الشريعة الاسلامية أما عن طريق الكتاب أو السنة وراعت ان تكون محدودة بقدر الضرورات التي حتمها واقع المسلمين زمن الرسول عليه الصلاة والسلام. والحكمة في محدوديتها واضحة وهي فتح الباب أمام المخاطبين بالشريعة للاجتهاد للوصول إلى حلول لنوازل حياتهم التي تتجدد باستمرار وتبديل بتطورات مجتمعاتهم، ولدفع الحرج عنهم، لأنها لو الزمتهم بأنظمة مدينة شاملة لكل النواحي لشكلت قيوداً عليهم وغلت حركتهم وغدت سداً منيعاً يحول تقدمهم.

ولذا وجدنا المسلمين منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أخذوا يتكرون الحلول التي تناسب مشكلاتهم المستحدثة بعد انقطاع الوحي بانتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، اضياً مرضياً. وذلك بشحن عقولهم وملكاتهم واستثمار معلوماتهم واستخدام خبراتهم وتجاربهم. وهكذا فعل التابعون وتابعو التابعين - طيب الله ثراهم - خاصة أولئك الذين انتقلوا أو عاشوا في سبلات اغيار أمة الوحي تمام المغيرة وتختلف عنها في أغلب الوجوه. ويمضي الزمن تعقدت الأمور بصورة لم تكن في الحسبان ووجد المسلمون ان مقتضيات عصرهم والمستجدات التي يتوالى أو يتسارع طهورها ووضعهم في المجتمع الدولي وعلاقاتهم بغيرهم من الأمم، كلها، تحتم عليهم أما اقالة بعض الانظمة المدنية أو الالتفات حولها بهذا التبرير أو ذاك منها على سبيل المثال.

نظام الرقيق. فالمسلمون اليوم جزء من المجتمع الدولي. وبذلك فحتم عليهم ان يوقعوا على الاتفاقية الدولية التي حرمتهم. مع ان هذا النظام ورد في الكتاب والسنة. واذا فتحت أي موسوعة فقهية في أي مذهب تجد ان موضوع الرقيق يشغل حيزاً كبيراً منها، وتفصيلاً دقيقاً لشي احكامه في نظام تقسيم الغنائم. فقد كان ذلك ملائماً لأن المقاتل أو المحارب أو المجاهد هو الذي كان يقوم بتسليح نفسه أو احضار فرسه. أما الآن فان الظروف تغيرت بعد ان وجدت القوات المسلحة التي تجهزها الدولة، كما ان الغنائم ليس في المقدور قسمتها على الجنود فلا يتصور تقسيم ما يغتنم من طائرات ودبابات وصواريخ وسيارات مدرعة الخ.

كذلك تحريم التصوير الذي غدا مستحيلاً لضرورته لجوازات السفر وبطاقات الهوية وفي الاغراض الأمنية والسياسة الاجتماعية والفنية الخ. أيضاً «تحريم سفر المرأة إلا مع ذي رحم محرّم». فقد التف الفقهاء المحدثون حول هذا الحكم الصريح وافتوا بالجواز

بمقولة ان السفر أصبح يستغرق ساعات محدودة وربما دقائق معدودة، وان المرأة تكون في رفقة مأمونة في الطائرة أو السيارة أو السفينة. وبالمثل اخضعت من من حياتنا عدة أنظمة مثل «الظهار» و«الملاعنة» أو «اللعان» و«الايلاء» و«شركة الوجوه»، إلى غير ذلك من الأمثلة.

اذن ليست كل الانظمة المدنية التي جاءت بها الشريعة قابلة للتطبيق على مر العصور ومع توالي التطورات التي لم تكن متوقعة وقت نزول الوحي وهنا نسارع إلى التأكيد ان هذه التغيرات انما تشمل الفروع. أما الأصول والثوابت وهي العقيدة والعبادات والاحلاق فهذه ليست لبشر ان يغير منها حرفاً واحداً مهما تغيرت الظروف أو استحدثت من مستجدات. فعقيدة التوحيد أزلية أبدية والصلاة والصيام والزكاة والحج لا سبيل إلى التحلل منها أو الزيادة فيها أو النقص منها لأي سبب من الأسباب أو تحت أي مسمى منها. وليس الشأن كذلك بالنسبة للفروع أو «الأنظمة المدنية» فهذه هي التي تكون عرضة للتبديل أو التغيير أو التجاوز إلى ما هو أفضل منها.

والشورى ليست أصلاً من أصول الاسلام أو ثوابته، ومن ثم فاذا وجد المسلمون نظاماً جديداً يحقق مصالحهم ولا يتصادم مع الأصول أو الثوابت في شريعتهم فلا بأس من الأخذ به. ولا يقال في هذه الحالة ان هناك مساساً بالاسلام، بل هو في اعتقادنا تأكيد لشريعته التي ما انزلت إلا لتحقيق مصالح العباد.

ولذلك عندما نادى اليوم انه قد آن الأوان لـ «نظام الشورى» المدني ان يستقبل ويحل محله «نظام الديمقراطية» الذي هو أنسب للظروف الراهنة لمجتمعات العرب والمسلمين اليوم، خاصة وان النظام الأخير لا يصادم أيّاً من النصوص المقدسة، بل انه يتفق مع روحها لأنه يحقق مصالح العباد التي عليها مدار الشريعة، عندما نادى بذلك فهذا النداء لا يعارض الشريعة وليس بدعة. اذا سبقت «الشورى» إلى استقالة الانظمة التي ذكرناها.

وقد يعترض أحد فيقول ولكن الشورى وردت في القرآن الكريم وطبقها السنة العملية. والرد عليه ان بعضاً من تلك الأنظمة التي المعنا إليها جاءت به نصوص من الكتاب أو السنة أو اُفتى به وفصل احكامه فقهاء الأمة الاثبات ومنهم شيوخ المذاهب الاربعة، بل، درجت الأمة على العمل به مئات الأعوام.

عن (النداء) ٢٥ آب



أدوات الصراع وسياق المواجهة

(. .) أما الآن وحيث تتكرس الهيمنة الغربية ويندفع الانفراد الأمريكي في التأثير على أحداث العالم بعد فشل المحاولة الانقلابية الاخيرة في الاتحاد السوفييتي ، تثار جملة من التساؤلات الطبيعية حول دور المعارضة العراقية ودرجة استيعابها لضخامة تأثير العامل الدولي على قضيتها لاسيما خلال السنة الماضية وفيما اذا كانت هي قد احاطت بمجموع التغيرات الدولية الأتفة . . ونسقت جهودها في إطار التحرك مع الساحة الدولية على ضوءها وأعطت خطابها السياسي ما يستحق من لمسات يفرضها التغيير المذكور . . وقبل ان ندخل في صلب هذه التساؤلات لا بد من القول ان المعارضة العراقية وبالأخص الاسلامية كانت غير مختارة في إسقاط الحوار مع دول العالم وأخذ تأثير العامل الدولي على قضيتها بنظر الاعتبار . . اذ كانت أبواب العالم المؤثرة مغلقة أمامها بحكم المصالح الدولية التي كانت ترى في نظام صدام حسين محققاً أميناً لها . . فهذا الاغلاق المقصود ما كان يجعل من عملية الحوار مع العالم عملية سهلة وممكنة بالاطلاق إلا أنه في نفس الوقت ما كان يلغينا أو يشطب عليها تماماً ويجعلها ضرباً من المستحيل . . وأيضاً ربما تكون المعارضة فاقدة لفرص الاصلاح الداخلية التي يمكن ان تسهل عليها مهمة الحوار أو ان تفتح لها أفقاً حوارياً، كالفرصة التي وفرتها الانتفاضة الشعبانية وإيقاعاتها على التفكير العالمي في إطار القضية العراقية .

نقول رغم انعدام الفرص الداخلية الخالقة للأفق الحواري مع الخارج ورغم الطوق الدولي المفروض على المعارضة إلا ان عملية الحوار مع دول العالم لشرح ابعاد القضية العراقية كانت ممكنة لو ان العقل العراقي المعارض كان قادراً على اكتشاف الأساليب

البديلة التي بإمكانها ان تفتح فغنية العالم عليها . . بغض النظر عن نتائج هذا الحوار . وفي هذا المجال لا يمكن للمرء ان يتجاهل الحواجز الذاتية - النفسية للمعارضة التي كانت تحول دون ابداع تفكيرها لاكتشاف أساليب الاثارة التي توجه انظار الساحة الدولية عليها . . وبالتأكيد فان هذه الحالة لا تلغي بعض المبادرات الحوارية مع العالم التي كانت بها بعض اطراف المعارضة في فترة قبل أزمة الكويت والتي كانت تدلك على استيعاب دقيق لدور العامل الدولي من قبل هذه الاطراف . . والدليل الذي يمكن ان يساق في هذا الاطار والذي يثبت ان طوق الحصار العالمي على المعارضة كان بالامكان كسره هو ما حصل للسيد مهدي الحكيم من عملية اغتيال قامت بها مخابرات صدام حسين في السودان . . فما كان هذا الأخير قد خطط لاغتيال السيد مهدي الحكيم لولا إدراكه لأهمية العامل الدولي وحركته الدؤوبة في اتجاهه ومبادراته العديدة التي استغزت اعصاب النظام الحاكم في العراق . . فقرر اغتياله . . والآن وحيث ادركت قوى المعارضة العراقية دور العامل الدولي واجتمعت كوفد رفيع المستوى برئاسة السيد محمد باقر الحكيم مع الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار لم يتردد نظام صدام حسين من إبداء إنزعاجه من هذا الاجتماع وتقديم احتجاج رسمي للأمين العام للأمم المتحدة بسبب لقاءه مع الوفد المذكور وإذا كان اغتيال مخابرات صدام للسيد مهدي الحكيم وانزعاجه الشديد من لقاء جنيف الأخير يدلان على شيء فهما يدلان على ضرورة ان يتم التعاطي مع الاطراف الدولية من قبل الخط القيادي الأول في المعارضة العراقية . فتصدي الخط الأول يعطي التحرك قيمة أكبر ونتائج أكبر، كما انه ينطوي على أكثر من دلالة اعتراضية وتأثيرية وتوضيحية لابعاد القضية العراقية .

ان الحوار مع العالم الذي يجب ان يقوم على الاحاطة بالسياسات العالمية والتغييرات الكبيرة التي طرأت عليها والذي يجب ان يقوم على أرضية تفاهم متوازنة . . حتى وان لم يُعط ثماراً مباشرة . . فهو بلا شك سيلعب دوراً توضيحياً وتعريفياً هائلاً لابعاد القضية العراقية في ساحة الرأي العام العالمي . . كما انه سيفتح للقضية آفاقاً إعلامية كبيرة لاسيما اذا ما عُرف بأن ساحة العالم الاعلامية لا تتحرك بازرار حديدية . . إنما هي ساحة وان كانت محكومة إلى مجموعة من المبادئ التوجيهية المحسوبة في صياغة القرار العالمي إلا ان العقلية المعارضة الذكية بإمكانها ان توجد أكثر من فرصة لتحريك قضيتها في الوسط الاعلامي . . سواء كانت هذه الفرصة نابعة من ظروف تنافسية داخلية بين التكتلات السياسية لأي دولة أو من غير ذلك .

وبالتأكيد فإن المردود الاعلامي في العالم له إفرزات سياسية على القضية وله إفرزات في اطار صياغة المواقف العالمية حيال الحدث العراقي .

إن الحوار الذي يعطي المعارضة فرصة أكبر لفهم التفكير العالمي ازاء قضيتنا،

ويثبت للعالم ان المعارضة العراقية تؤمن بمبادئ الحوار مثلما تؤمن باللجوء إلى القوة ضد النظام الارهابي في بغداد . . إن هذا الحوار يجب ان لا يكون مبعثراً بحيث يؤدي إلى نتائج عكسية تخدم الطرف الآخر فقط أو تسهل له عمليات الاختراق لصفوف المعارضة . . بل يجب ان تنظم مبادراته ضمن سياق واحد وخطاب سياسي موحد يؤدي المهام المتوقعة منه .

بقلم : عادل رؤوف

عن (نداء الرافدين) ١٦ ايلول

الانقلاب والديمقراطية

وقف العالم مذهولاً أمام الحركة الانقلابية التي جرت في الاتحاد السوفيتي واستهدفت الاطاحة بالرئيس السوفيتي المنتخب غورباتشوف، وتبع العالم بقلق شديد النتائج التي يمكن ان تسفر عنها هذه الحركة المغامرة على مصير الديمقراطية والتحويلات في الاتحاد السوفيتي وفي بلدان اوربا الشرقية وعلى قضية الديمقراطية وحقوق الانسان في العالم وفي المنطقة .

ان اوساطاً شعبية في المنطقة العربية وفي بلدان العالم الثالث تعاطفت مع الانقلاب من منطلقات الرغبة في عودة الدور الذي كان الاتحاد السوفيتي يضطلع به في دعم نضال الشعوب من أجل حريتها واستقلالها وبغية الحد من انفراد الولايات المتحدة في تقرير مصائر شعوب العالم وفقاً لمصالحها الانانية، وحرصاً على خروج الاتحاد السوفيتي من أزمنته الاقتصادية والاجتماعية الحادة التي باتت تهدده بخطر التفكك والزوال .

أما التأييد الذي محضته اوساط حاكمة عربية معينة وفي المقدمة منها النظام العراقي للانقلابيين فيأتي كحصوله لنهج الحكم الفردي الدكتاتوري الذي يرى في حريات الشعب وحقوقه الديمقراطية تهديداً خطيراً لوجوده .

ويعترف النظر عن النيات الحسنة التي انطلقت منها بعض الحركات والمنظمات السياسية في تأييدها للانقلاب فان ذلك لا ينفي خطأ الركوز إلى المنطلقات الذاتية الضيقة في تقويم الاحداث على الساحتين العربية والدولية ويكشف عن مدى القصور عن ادراك أهمية الحريات الديمقراطية والمؤسسات الدستورية المنتخبة بحرية كوسيلة لا غنى عنها

لحل المعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاسيما في منطقتنا العربية .
فالنضال الوطني والقومي المعادي لاهداف الامبريالية وأطماعها في العالم العربي لا يتعارض على الاطلاق مع الحريات الديمقراطية للجماهير ومع الحياة الدستورية واحترام حقوق الانسان، بل هو يفترض مزيداً من الحريات للشعب تمكنه من التعبير عن ارادته الحرة التي هي في آخر الحساب الضمانة الرئيسية لانتهاج سياسة تنسجم والمصالح الوطنية والقومية لشعوب الأمة العربية .

والموقف الذي اتخذته بعض تلك القوى من أزمة الخليج ومن انتفاضة الشعب العراقي التي تفجرت في آذار الماضي من هذا العام كرد فعل طبيعي على هزيمة النظام العراقي عسكرياً وسياسياً واخلاقياً في الكويت وكتيجة لا بد منها لتفسيب دور الجماهير العراقية ومصادرة حقوقها وحرياتها الديمقراطية بأشد وسائل القمع الدموية، مثال واضح على التقويم الخاطيء للاحداث .

ومع ان الفشل الذي مني به الانقلاب في الاتحاد السوفيتي لم يحدث بمعزل عن التدخلات غير المقبولة للولايات المتحدة والدول الغربية في الشؤون الداخلية السوفيتية، غير ان الشعب السوفيتي لم يكن ليفرط بالسهولة التي يتصورها الانقلابيون بالمكتسبات الديمقراطية وبالمؤسسات الدستورية التي تحققت خلال السنوات الماضية .

واذ تجدر الاشارة إلى ان الانقلاب اسلوب خاطيء يجب عدم اللجوء اليه لحل المشكلات والصراعات الداخلية، فان الرد السليم عليه هو المضي في التحولات الديمقراطية وتعميقها وليس الانقياد، كما يجري الآن، لارادة الولايات المتحدة في صياغة الوضع الداخلي في الاتحاد السوفيتي بما يتفق وأهدافها . ان اللجوء إلى اجراءات تتعارض مع الحريات الديمقراطية، تحت أية حجة اتخذت ومهما كانت الاسباب والمبررات، كحظر نشاط الحزب الشيوعي السوفيتي سواء في جمهورية روسيا أو في الجمهوريات السوفيتية الأخرى، يتناقض مع أسس الديمقراطية وقيمه ويعيد إلى الازهان السياسة المدانة، سياسة احتكار العمل السياسي والانفراد بتقرير مصير الشعب والبلاد .

واذا كان الالتزام بالديمقراطية كان ولا يزال الأمر المعول عليه في حل المشاكل والصعوبات الكبيرة في الاتحاد السوفيتي، فان اعادة الحيوية لحركة التحرر الوطني العربية واحداث انعطاف في الوضع العربي نحو تحقيق أهداف النضال العربي، الوطني والقومي، يتعلق، إلى حد كبير، بادراك ان الديمقراطية أولاً وقبل كل شيء، هي الوسيلة الرئيسية لاستعادة الجماهير العربية لثقتها بنفسها وبقدراتها وقياداتها، كما انها الوسيلة الوحيدة في تعبئة الجماهير في النضال من أجل تلك الأهداف .

عن (الغد الديمقراطي) عدد ايلول/ ١٩٩١

الاجتياح العسكري التركي والموقف المطلوب

الاجتياح العسكري التركي لمناطق واسعة من كردستان العراق، وما تبعه من مواصلة القوات البرية التركية عملياتها التوغلية داخل العمق العراقي تحت غطاء مطاردة المعارضة الكردية (التركية)، وقرار السلطات التركية من جانبها فقط اقامة حزام حدودي أمني بين البلدين وداخل الأراضي العراقية، تعبر بمجموعها، وبالطريقة التي اخرجت ونفذت، عن خطوات لا مشروعة تتنافى مع الاعراف والقوانين الاقليمية والدولية، فضلاً عن كونها ممارسات عدوانية مرفوضة وطنياً، وعريباً. . ودولياً. . وتكشف من ناحية أخرى عن بداية سياسات مريبة تستعد تركيا لتنفيذها ضد العراق مستغلة الظروف الاقليمية والدولية التي يمر بها، جراء سياسات الحكم الصدامي المتهورة.

فالتحركات التركية الأخيرة مرفوضة وطنياً لأنها تنتهك سيادة العراق وتمس استقلاله ووحدة اراضيه، ومرفوضة عريباً لأنها تمثل اعتداء صارخاً على أرض بلد عربي وشعب عربي وهو ما يتناقض مع طبيعة العلاقات التاريخية الاخوية التي تربط بين الشعبين العربي والتركي، وهي مرفوضة دولياً باعتبار انها تتنافى اصلاً مع ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وقوانينها الدولية التي لا تجيز استخدام القوة في حل الخلافات ولا تبيح احتلال أراضي أي بلد وانتهاك سيادته واستقلاله مهما كانت الأسباب.

ومن المؤسف حقاً أن يحصل تقصير - أو قصور - كبير في المواقف الوطنية والعربية والدولية المعلنة ازاء حدث الاجتياح التركي لكردستان العراق الذي يشكل في مضامينه خرقاً للنظام الاقليمي والدولي الذي يراد تأسيسه في العصر الحالي.

وطناً، تميزت مواقف المعارضة العراقية - عدا التيار الاسلامي وبعض الفصائل الأخرى - بالكثير من التسبب واللامبالاة ازاء هذا العمل اللامشروع، وكأنها غير معنية لا من قريب ولا من بعيد بسيادة العراق واستقلاله ووحدة اراضيه، رغم حقها الكامل ومسؤوليتها التاريخية في الوقوف ضد هذا العدوان فضلاً عن شجبه واستنكاره. .

عريباً، اتسم الموقف العربي - باستثناء سوريا - باللامبالاة أيضاً وعدم الشعور بالمسؤولية القومية ازاء هذا الحدث الخطير وكان خلافات الانظمة العربية مع النظام الصدامي أو افتقاد العراق للنظام السياسي القادر على حماية سيادة واستقلال البلد تبيح له السكوت والصمت ازاء احتلال تركي واضح للأراضي (العربية) العراقية، بل ان البعض من المواقف الاعلامية اتسم بالتشفي بالعراق وشعبه. .

دولياً، لم تخرج المواقف المعلنة عن الشككية في الاحتجاج، والرسمية في التعاطي مع الاحتلال، واقتصر دور منظمة الأمم المتحدة على دعوة الحكومة التركية «لضبط النفس» و«سحب» قواتها من الأراضي العراقية.

اننا نعتقد ان ما أقدمت عليه القيادة التركية وما نتج عنه لحد الآن، هو حدث نوعي في دفاعه ومدائله، ويستبطن الكثير من معاني التحديات الخطيرة ضد سيادة واستقلال العراق ووحدته أراضييه. . لذلك، فليس من المعقول ابداً ان يستمر هذا الحدث ويتطور ويتحرك باحتمالات مفتوحة حول مواقف حازمة وحاسمة تحفظ العراق وتصوره من أمثال هذه التحديات الاستراتيجية وتشدّد الدعم والمساندة لجهاد شعبنا العراقي الأبي وهو يخوض معركته الفاصلة مع النظام، معركة الخلاص من الدكتاتورية واغراضاتها، معركة العودة بالعراق إلى الحياة الديمقراطية التي في ظلها سيتم تأسيس النظام البديل الذي يختاره الشعب بملء حريته وإرادته .

عن (البديل الاسلامي) ٢٩ آب

الحركة الاسلامية . . وتداعيات حرب الخليج

صداق الركابي

تعتبر حرب الخليج أو أزمة الكويت واحدة من الأحداث الفاصلة في تاريخ المنطقة، وستترك آثارها على عموم المنطقة، ان لم تمتد حتى إلى النظام العالمي كله. والحركة الاسلامية واحدة من الوجودات التي تفاعلت وانفعلت بالأزمة، وستترك الأزمة بصماتها عليها .

تري ما هو موقع الحركة الاسلامية في ترتيبات ما بعد حرب الخليج؟ وما هو حجم الربح أو الخسارة التي لحقت بالحركة الاسلامية من جراء هذه الحرب؟

تعد الحركة الاسلامية فاعلاً أساسياً في المجتمع العربي والاسلامي، وعلى الرغم مما تعرضت له طوال العقد المنصرم، فانها استطاعت البروز على سطح الاحداث. وان تكون المستقطب الأساسي للجماهير المحرومة والمضطهدة. حتى أصبحت الحاكم

الفعلي للشارع في أكثر من بلد إسلامي فيما بقيت الانظمة الحاكمة هناك صاحبة اليد على قوات الشرطة والقمع .

وكان بمقدور الحركة الاسلامية ان تكون الفاعل الوحيد بعد أزمة الخليج ، إذ ان هذه الأزمة التي افتعلت من قبل نظام عربي ضد آخر، ولم تجد حلها إلا عبر استدعاء مئات الألوف من الجنود الاميركان وغيرهم ليخوضوا حرب تحرير بلد عربي من قوات نظام عربي آخر . ولكنها (الحركة الاسلامية) لم ترق إلى مستوى الطموح .

ان أزمة الخليج كشفت طبيعة العلاقات بين الانظمة العربية ، وحجم العجز الذي تعيشه هذه الانظمة حتى بالدفاع عن نفسها . وحجم التحكم الغربي بمصائر الكثير من الانظمة بعيداً عن كل ادعاءات السيادة واستقلال القرار السياسي ، وهشاشة المحاور- التجمعات الاقليمية التي تنتظم فيها هذه الانظمة .

ان أزمة الخليج شكلت هزيمة لا للانظمة العربية فحسب، وانما للانتلجنسيا (النخبة المثقفة) العربية كذلك بكل مداعياتها العريضة وتنظيراتها الواسعة وفكرها التبشيري

توظف هذه الهزيمة لصالحها، وإن تضيف نقطة أخرى إلى نقاطها فيما لو احسنت التعامل مع الحدث، ويكن أزمة الخليج لم تأت لصالح هذه الحركة لأمرين :
- الأول : اخطاء الحركة الاسلامية :

لقد أخطأ الكثير من قيادات الحركة الاسلامية في تشخيص الموقف من أزمة الخليج، وتحت ذريعة محاربة الولايات المتحدة الاميركية والغرب الكافر وقفت هذه القيادات إلى جانب مجرم الحرب صدام، وراحت تتحرك من أجل توفير الدعم له، حتى سماه البعض بصلاح الدين وسماه آخرون بالأخ المجاهد!!
وقد ارتكب هؤلاء ثلاثة اخطاء :

الخطأ الأول: انهم وقفوا ضد مبادئهم الاسلامية التي يدعون الدفاع عنها من خلال وقوفهم إلى جانب نظام حارب الاسلام والمسلمين طوال سني حكمه البغيض، ولا زالت يداه تقطران من دماء خيرة دعاة الاسلام ومفكره، فيما تكتمل سجونته بالموحدين .

الخطأ الثاني : انهم وقفوا إلى جانب نظام معتد غزا مسلمين ابرياء في عقر دارهم، وأخذ ينهب ممتلكاتهم ويخرب دورهم ويعتقل شبابهم .

الخطأ الثالث : وهو خطأ سياسي، وذلك من خلال وقوفهم إلى جانب نظام دكتاتوري، فيغض النظر عن الاسلام ومبادئه، فان هذه الحركات التي تعاني من القمع وغياب الحرية، ينبغي ان تدافع عن الحرية كقيمة انسانية، وبالتالي فانها يجب ان تقف ضد كل نظام قمعي تسلطي سواء كان في العراق أو في اميركا اللاتينية لكي تثبت هذه

الحركات انها فعلاً تدافع عن الشعوب وحققها في حرية الرأي والمعتقد. اما ان تقف إلى جانب نظام قمعي، وتسكت على كل انتهاكاته لحقوق الانسان بما في ذلك عمليات الابادة الواسعة وتشريد أكثر من مليوني عراقي في ظروف بالغة القسوة، وترى امكانية تبرير مثل هذه الممارسات البربرية، فلماذا اذن تعترض على ما يلحقها من مطاردات أو سجن أو تشريد؟

ان القمع لا يمكن ان يُقبل ضد شعب ويرفض ضد آخر، فاما ان ترفض كل المبررات التي تطرح لتبرير القمع في كل مكان، واما ان تقبل كذلك في كل مكان. الخطأ الرابع: وبعبارة عن الايديولوجيا أو السياسة وبحساب واقعي فقط فان هذه الحركات راهنت على معركة خاسرة بكل المقاييس، وبالتالي فانها يجب ان تدفع ثمناً لرهانها الخاسر ومن الطبيعي ان لا تقتصر آثار الهزيمة على نظام صدام وحده، وانما تمتد لتشمل جميع الذين وقفوا إلى صفه.

ان الموقف الذي وقفته الكثير من الحركات الاسلامية من أزمة الخليج لا يمكن تبريره بالوقوف إلى جانب الشعب العراقي المسلم، اذ ان الوقوف إلى جانب هذا الشعب لا يستدعي الوقوف إلى جانب جلاده، وانما يستدعي التمييز بين الجلاد والضحية. ثم ان الايام التي تلت الحرب اثبتت كذب هذا الادعاء، فبعد ان وقفت الحرب وانتفض الشعب العراقي ضد الجلاد للاقتصاص منه لما جرّه عليه من كوارث وهزائم، ورد النظام المهزوم - أمام اميركا - على الشعب بكل قسوة، لم نسمع صوتاً واحداً لهذه الحركات دفاعاً عن الشعب العراقي المسلم.

واما ان الوقوف ضد اميركا هو الذي دفع هذه الحركات لهذه المواقف، فهذا ما نتمناه من كل أعماقنا، ونأمل ان يظهر اثر هذا الموقف في فكر وممارسات هذه الحركات على طول الخط وإن لا تؤثر المصالح على الموقف المبدئي (..)

عن (الموقف) ٢٩ آب

ما المطلوب : وحدة المعارضة العراقية أم تعدد مراكزها؟

أجل : ما المطلوب ؟ أوحدة المعارضة العراقية في هذه اللحظات التاريخية العاصمة أم تعدد مراكزها؟

ولّد هذا السؤال في لندن، عندما زار وفد من التجمع الديمقراطي العراقي العاصمة البريطانية في نهاية تموز وبداية آب ١٩٩١ للالتقاء بتجمعات المعارضة العراقية هناك، ومواصلة الحوار معها بعد اللقاءات التي تمت في إطار مؤتمر بيروت، وكذلك استمراجه آراء الديمقراطيين وتنظيمات وشخصيات في عملية توحيد الحركة الديمقراطية العراقية، وأقام التجمع لهذا الغرض ندوة سياسية عامة في ٢٦ تموز حظيت باهتمام الوسط السياسي العراقي المقيم في لندن طرح فيها الاستاذ صالح دكله سياسة التجمع ازاء وحدة المعارضة العراقية (يجد القارئ نص محاضرة سكرتير اللجنة المركزية للتجمع الديمقراطي العراقي في مكان آخر في العدد)، وقد أجاب المحاضر عن تساؤلات الحاضرين وعقب على مداخلاتهم وشارك في ذلك د. مجيد الراضي . كما أقام «المنتدى العراقي» في لندن ندوة فكرية للدكتور مجيد الراضي في ١ آب. هذا اضافة إلى الاتصالات الكثيفة مع «اتحاد الديمقراطيين» التي أسفرت عن بيان مشترك منشور في موقع آخر من الجريدة، وعن سعي جدي للوحدة، والتقى الوفد بشخصيات سياسية مستقلة، وحضر ندوة أقامها الوفاق الوطني للاستاذين أديب الجادر ونوري عبد الرزاق. وقد طرحت في هذه الندوة على الخصوص فكرة «تعدد مراكز المعارضة العراقية».

ومع ان التجمع الديمقراطي كان قد أبدى رأيه على لسان سكرتير لجنته المركزية الاستاذ صالح دكله في هذه القضية الهامة، إلا اننا نجد من المناسب - لأهمية الفكرة - التطرق إليها على صفحات «الغد الديمقراطي» لكي تكون موضع نقاش أكثر هدوءاً وعمقاً.

ان مبرر القول بتعدد مراكز المعارضة العراقية ينطلق من تكريس اللحظة الراهنة في تشتت المعارضة وتضارب الآراء في أوساطها، وخاصة بعد انفراد الحركة القومية الكردية في التفاوض مع حكومة صدام حسين في بغداد دون تشاور مسبق مع «لجنة العمل المشترك»، مما عُدَّ خروجاً على الاجماع الذي توصل اليه مؤتمر بيروت في آذار ١٩٩١ .

كان قرار الحركة الكردية مفاجئاً للجميع ، ولكن ردود الفعل ازاءه تباينت إلى حد كبير: بين التحفظ والشجب المطلق ، بين النقد الموضوعي الذي لا يريد القطع مع الحركة القومية الكردية باعتبارها أحد الأركان الأساسية لحركة المعارضة العراقية مع الاقرار بخطورة الخطوة التي أقدمت عليها القيادة الكردية بما تنطوي عليه من امكان لامداد الحكومة الصدامية بشيء ولو ضئيل من الشرعية الدولية بعد أن فقدتها تماماً ، وبما تقدمه لها من دعم مادي ومعنوي بمعزل عن ارادة الطرف الكردي المفاوض ، وبين الشجب والادانة والمطالبة بعقد مؤتمر مستعجل للمعارضة العراقية يستثني الحركة القومية الكردية ويضعها خارج إطار المعارضة العراقية بما يترتب على ذلك من دفع باتجاه التقاء «غير شرعي» بين القيادة الكردية وحكومة بغداد المدانة من الشعب العراقي بفعل انتفاضة آذار ١٩٩١ الجبارة ، وكذلك من الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي المتمثل في الأمم المتحدة ولاسيما مجلس الأمن .

وفي هذه الاجواء المتوترة غادر وفد «الوفاق الوطني» والمجلس العراقي الحر الاجتماع الموسع (دمشق) الذي دعت له «لجنة العمل المشترك» وصدر عنه بيان يدعو - بين أشياء أخرى - إلى عقد مؤتمر للمعارضة العراقية «لتقييم الحاجة لتشكيل مجلس وطني ولجان ومكاتب متخصصة خلال فترة لا تزيد على ستة أشهر» . وتلاحقت الاحداث سراعاً فتكونت في لندن لجنة للاتصال تعبر عن رأي ست منظمات سياسية معارضة وشخصيتين مستقلتين . وكانت مهمة هذه اللجنة ولا تزال الدعوة لفكرة «تشكيل لجنة تحضيرية تقوم بالاعداد السياسي والتنظيمي لمؤتمر عام للمعارضة العراقية» (انظر: الديمقراطي العدد في الثالث والرابع في ٢٥ تموز ١٩٩١ - لندن) .

كان رأي التجمع ولا يزال ان قيام «لجنة الاتصال» لا يساعد على خلق الاجواء الملائمة لتوحيد المعارضة العراقية . وهو أحد الاهداف الرئيسة التي أعلنت أثناء التحضير لمؤتمر بيروت وخلال انعقاده ، بل ان انعقاد مؤتمر بيروت بالشكل الذي انعقد فيه انما هو أحد ثمرات هذا السعي للتوحيد الذي تألفت من أجله لجنة سباعية تتكون من «الامانة العامة للجنة العمل المشترك» (خمسة اعضاء) وممثلين أحدهما عن الوفاق الوطني وثنائهما عن المجلس العراقي الحر . ويبدو ان عمل اللجنة قد تكلأ لأسباب منها ما هو معروف ، ومنها ما هو خفي . فهل هذا مبسر كاف لتكوين محور جديد بعد بدء السعي الجدي لاستقطاب كل مفردات ساحة المعارضة العراقية كبيرها وصغيرها ، وبعد سقوط الحواجز الواحد تلو الآخر؟

لقد قيل الكثير حول هيمنة القوى الأساسية في «لجنة العمل المشترك» ، وحول محاولات العزل السياسي من جانبها ، وحول تركيتها ، وكذلك حول مفهوم التيارات

السياسية وحول تمثيلها في الامانة العامة. وكان جواب التجمع هو ان كل هذه الآراء والأفكار ينبغي دراستها بأنٍ وامعان الفكر فيها والتخلص من رواشب الماضي سواء في تركيب اللجنة أو أساليب عملها، ولكن كل الثغرات والعيوب لا تبرر محاولة شل عمل «لجنة العمل المشترك» أو الادعاء بأنها طرف مساوٍ من حيث الوزن والنوع للاطراف الأخرى على الساحة العراقية مجتمعة أو منفردة.

وفي ندوة الوفاق المارة الذكر توجه التجمع بسؤال محدد للاخوة المشاركين فيها والمساهمين في المناقشات: ما هو الموقف من توحيد الجهود لمقعد مؤتمر موحد للمعارضة العراقية لا يستثني أحداً؟ وجاء الرد سلبياً. وهذا يعني ان الاخوة في «لجنة الاتصال» يرون في أنفسهم القدرة على تمثيل المعارضة العراقية أو أغليبتها المؤثرة. اننا اذا كنا قد شجبنا أية محاولة مفترضة (من الاكثرية) لعزل أية قوة من القوى السياسية المعارضة على الساحة العراقية، فاننا - من باب أولى - لا نقر أي مسعى لعزل قوى سياسية أساسية على الساحة العراقية تحت أية ذريعة جاء هذا المسعى، أو لأي غرض كان. ورأينا هو ان تصحيح خطأ بخطأ آخر ليس طريقاً قوياً للوصول إلى الأهداف المرجوة. ونأمل ان يجلس الجميع لدراسة هذه الحالة بروح عالية من الشعور بالمسؤولية ازاء محنة شعبنا. واذا كنا لا نستطيع التوصل إلى اتفاق عام ونحن في المعارضة، فهل يتوقع شعبنا منا ان نتفق بعد سقوط الدكتاتورية الدموية؟

ان مصداقية المعارضة العراقية تكمن في وحدتها - مهما كان الطريق إليها وعراً - لا في تعدد مراكزها، فهذه المراكز قائمة منذ ان وجدت المعارضة العراقية في الخارج، ومنذ ان اتسعت لأسباب مختلفة ومنذ ان أصبح الانشطار والتشظي هو الظاهرة الأكثر بروزاً فيها. ونحن لا نضيف جديداً اذا قبلنا فكرة المراكز أو المحاور وعملنا على تبريرها. فالحاجة اليوم ماسة لوحدة المعارضة العراقية سواء فيما يتعلق بتطوير أساليب عملها في مواجهة النظام الصدامي على الصعيد الداخلي أو العربي أو العالمي، واعطاء شعبنا والعالم العربي أجمع صورة ايجابية عن المعارضة العراقية الساعية لاسقاط الدكتاتورية وتقديم البديل الملائم للظروف الراهنة، وهو على أية حال ينبغي ان يكون بديلاً ديمقراطياً يستند إلى ارادة الشعب العراقي. وفي هذا المضمار يتحدد التنافس على كسب ثقة الجماهير الشعبية لصالح البرامج السياسية للقوى والاحزاب والاتلافات السياسية ان وجدت.

ان البحث الجدلي عن القاسم المشترك - وهو موجود موضوعياً في الحالة الراهنة، انما هو بداية الطريق. ثم يليه من حيث الأهمية تحديد الأساليب الناجعة للوصول إلى الهدف وتمكين الشعب من حكم نفسه بنفسه لأول مرة في تاريخ العراق المعاصر. وهي مسألة في غاية التعقيد. ولا تزال الادعاءات - الطويلة العريضة - تقف حائلاً أمام الوصول

إلى نقطة التوحيد التي تكون عادة المركز الذي ينطلق منه الجميع لتحقيق الهدف المنشود. ومحاولة الإبقاء على الانقسامات القائمة وتبرير إقامة محاور جديدة أو أحياء محاور قديمة ليست سوى عمل يخدم - بصرف النظر عن النيات والمقاصد - النظام الاستبدادي الدموي الجاثم على صدر شعبنا المثخن بالجراح بما يولده من شعور باليأس لدى كل المخلصين لقضية شعبنا العادلة في التحرر والديمقراطية والتقدم الحضاري. ومن هنا رفضنا ونرفض فكرة العزل السياسي وتكريس المحاور أو إنشاء المحاور الجديدة، وآثرنا العمل على توحيد المعارضة في هيكل عام ذي علاقات ديمقراطية ما بين أطرافه يحفظ للجميع الاستقلال التنظيمي والسياسي والفكري، وحرية الحركة بما يعود على المعارضة العراقية كلها بالنفع.

هيئة تحرير الغد الديمقراطي
أواخر آب

قرار توحيد الجهد العسكري العراقي المعارض

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد التوكل على الله واعتماده في تأليف القلوب وجمع الصفوف في هذا الظرف الفاتل الجائر بكل قواه على شعبنا المظلوم الجريح في العراق والمستخف بقدرات الأمة وتطلعات الجماهير البائسة لنيل حريتها وكرامتها واستقلالها في هذه المرحلة من عمر التاريخ حيث شاء القدر ان تمر قضية العراق من بين منحنيات المتقاطعة المتلوية كماً وكيفاً وفق أحدث الابتكارات السياسية المحفورة المتضاربة والقاطعة منافذ التفكير على بني البشر الغارق في موموم قضية العراق من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب كل من موقعه ارتفاعاً وانخفاضاً، مرة متفاعلين تظاهراً، وبأسم البائسين من شعب العراق مستنكرين على الطاغوت اجرامه بحق شعبه، وأخرى ناكسين على أعقابهم يفرّغون شتى وبين هذا السبب وذلك تفرز الحقائق ويوحى للخيرين من أبناء العراق الاحرار الشرفاء بأهمية التوكل والتفاعل المستميت لانقاذ الشعب والأمة في العراق، ولكن في هذه المرة ليس من خلال امنيات حرب الخليج الأولى التي دامت ٨ سنوات على حساب طاقات الأمة، ولا من خلال حرب

الخليج الثانية التي استنزفت كل العراق بفعل الحاكم المعتوه. بل في هذه المرة أصبح دور المحسم يعون الله من خلال شعب العراق وجيش العراق الغيور الشهم وقادته الاباة الرافضين لكل أنواع التعسف والذل والعبودية والمتضافرين في الداخل والخارج لتنضيج فجر العراق المشرق في ربوع الرافدين الحبيب ان شاء الله .

انطلاقاً من هذه الحقائق وتثميناً وتسديداً لجهد وكفاح المعارضة العراقية في الداخل والخارج من جوانبها الغنية واختصاصاتها العسكرية، وتأكيذاً لدور الاخوة العسكريين المعارضين الاحرار وعهدهم المقطوع مع شعبهم في صون الحقوق وحماية عز الوطن بقانون الخدمة المسلحة وشرف الجنديّة الثابت، تم الاتفاق يعون الله على ما يلي :

١ - ائتلاف الجناح العسكري للهيئة العراقية المستقلة بقيادة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب وحركة الضباط العراقيين المتمثلة بلجنتها التنفيذية المشخصة بالعميد قوات خاصة أشرف البوصالح .

٢ - الشروع بتشكيل لجنة عسكرية مشتركة من ضباط كلا الطرفين للقيام بتهئية وتنظيم العمل العسكري المقام للنظام .

٣ - السعي لعقد مؤتمر عسكري قيادي للضباط العراقيين المعارضين وباسم جميع الفصائل المعارضة بقصد توحيد الجهد العسكري وتشكيل هيئات الركن القيادية المسلحة الممثلة لجميع أطراف المعارضة العراقية .

٤ - السعي لتأسيس نواة مشتركة للقوات المسلحة الوطنية المجاهدة وتنظيمها واعادتها للمساهمة في عملية الثورة والاطاحة بنظام الدكتاتورية المجرم في العراق .

لذا نهيب باخوتنا العسكريين في كل مكان، ومن خلال هذا التوجه لتوحيد الكلمة المقاتلة لدرء الحدث العظيم الذي يترصص بالعراق الدوائر بين الحين والحين وندعوهم باسم العراق للتفاعل والمساهمة مع هذه المبادرة الخيرة في سبيل الوطن العزيز وشعبه المظلوم .

-ومن الله التوفيق - وهو غالب على أمره .

اللجنة العسكرية المشتركة / عنهم :

العميد ق. خ اشرف البوصالح . العميد فارس ابو حمزة .

العميد عبد العزيز الياسري . العميد الركن نزار عبد الصاحب .

اللواء الركن حسن النقيب .

نسخة إلى : لجنة العمل المشترك للمعارضة العراقية (الامانة العامة)

غزو الكويت وحقوق الانسان

مداخلة

رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان

أديب الجادر

تحت البند ٦ ومسألة انتهاك حقوق الانسان والحريات الأساسية . . .

السيد الرئيس

لقد كان العام الذي مضى منذ اجتماع لجنتكم الفرعية الأخير عام محنة الحقوق الجماعية في الوطن العربي اضافة إلى الانتهاكات الفردية والتقارير السنوي لمنظمتنا يشير إلى أهم هذه الانتهاكات.

فقد واصلت اسرائيل تحدي الشرعية الدولية في حرمان الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره وفي حقه في العودة إلى وطنه. ولم تتحرك الولايات المتحدة الامريكية لتطبيق الشرعية الدولية كما فعلت حين تعرض الشعب الكويتي لفقدان استقلاله وحقه في تقرير مصيره.

وكان تصاعد معدلات هجرة اليهود السوفييت وتوطين بعضهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وزيادة المستوطنات انتهاكاً خطيراً جديداً لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وعقبة كأداً في طريق السلم والأمن في المنطقة.

وخلق الغزو العراقي للكويت حالة من الاضطراب واسعة النطاق في العديد من بلدان المنطقة، وشهدت المنطقة أكبر حركة نزوح وطرد في تاريخها الحديث وفقدت مئات الآلاف من العاملين والمواطنين العرب والاجانب حقوقهم.

واضافت حالة الحصار الاقتصادي المفروضة على العراق والكويت أثناء الغزو تهديدات جوهرية بالمجاعة في البلدين..

كما حاول الحكم العراقي طمس الهوية الوطنية الكويتية بمصادرة جوازات السفر وبطاقات الهوية الكويتية وإحراق السجل المدني الكويتي وحاول أيضاً تغيير الطبيعة الديموغرافية للسكان وشمل ذلك عمليات ترحيل قسرية للعديد من الكويتيين.

وكان أبرز الانتهاكات بالنسبة للكويت وبلدان المنطقة هو حرق آبار النفط الكويتية قبيل انسحاب القوات العراقية.

ومن المؤسف ان انتهاكات جماعية حصلت في الكويت بعد التحرير ضد العراقيين والفلسطينيين والاردنيين واليمنيين وصدرت احكام لم تسوفي الاجراءات القضائية السليمة ولكن النظام الكويتي الغى الاحكام العرفية مؤخراً وحول كل القضايا إلى المحاكم العادية كما بذل احكام الاعدام التي صدرت مؤخراً إلى السجن المؤبد.

وأعلن النظام الكويتي عن اجراء انتخابات عامة في اكتوبر ١٩٩٢ وهي بادرة طيبة رغم ان الموعد جاء متأخراً وكان بالامكان اجراء الانتخابات في مهده اقرب لاسيما وان الفترة المقبلة ستشهد اتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بالاقتصاد الكويتي والأمن والسلم في المنطقة.

وقد آن الأوان لتعديل قانون الانتخابات ليسمح للمتجنس وللمرأة بحق الترشيح والانتخاب كما يجب ان يعطي نفس الحق لمن يسمون «البدون» وهم اناس ولدوا وعاشوا واباؤهم في الكويت ولا يحملون أي جنسية.

وربما كانت حالة الشعب العراقي هي الانعس بين شعوب المنطقة. فبعد معاناة دامت ٢٢ عاماً من الحكم الشمولي القمعي الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري عام ١٩٦٨ وبعد انتهاكات مستمرة وجسيمة لحقوق الانسان، وكان أبشعها استخدام الاسلحة الكيميائية ضد السكان الأمنيين، قام هذا النظام بغزو الكويت.

ثم جاءت الحرب في السابع عشر من يناير ١٩٩١ باسم الشرعية الدولية لتضيف عشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من المعوقين والجرحى من العراقيين، كما دمرت البنية الاقتصادية والاجتماعية في العراق وبضمن ذلك الماء والكهرباء والمجاري والجسور والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية.

لقد دمرت الحرب ٩٦٪ من طاقة توليد الكهرباء ولم يستطع العراق بعد مرور أربعة أشهر على انتهاء الحرب من اصلاح أكثر من ٢٢٪ من تلك الطاقة. أي ان الطاقة الانتاجية لتوليد الكهرباء تعادل الآن ما كانت عليه عام ١٩٢٠.

ويبقى السؤال الكبير لماذا يحرم السكان المدنيين من الماء والكهرباء ولماذا دُمرت الطرق والجسور؟ لقد أشاعوا ان الجيش العراقي هو رابع أقوى جيش في العالم لكي يبرروا تدمير دولة بأكملها بقطاعيها المدني والعسكري.

وبعد كل هذه المآسي التي عاناها الشعب العراقي الشهيد، عاد النظام مرة أخرى (بعد الحرب) وعلى اثر حركة احتجاجات أهلية في جنوب العراق وشماله يستخدم القتل والعنف والتشريد والتدمير للقضاء على هذه الاحتجاجات. ان الوقت مناسب الآن للأخذ باقتراح منظمة العفو الدولية بانشاء جهاز دولي يتولى الرصد الميداني لوضع حقوق الانسان في كل محافظات العراق تحت اشراف الأمم المتحدة. ويجب على منظومة الأمم المتحدة

ان تتوسع في معوناتنا الانسانية لتشمل كل المستضعفين من فقراء ونساء واطفال واقلية .
ورغم ان آخر تقديرات اضرار الحرب على العراق كما جاء في دراسة The Christian Science Monitor ليوم ٩١/٦/٢٦ بلغت ١٧٥ , ٢٧٠ بليون دولار ورغم ان العراق كان مديناً يوم ٩٠/٨/٢ بمبلغ ٤٢ بليون دولار اضافة الى ديونه للبلدان العربية ، فان مجلس الأمن فرض على العراق المفلس اقتطاع ٣٠٪ من قيمة صادراته وهي النفط أساساً في حالة السماح له بالتصدير، تعويضاً للدول التي تضررت من الحرب .

ونسيت الدول العظمى انها هي التي سلحت هذا النظام وقبضت قيمة السلاح بلايين الدولارات وهي اليوم ويعد ان دمرت قسماً من هذا السلاح تريد ان تدمر الباقي وان تقوم هي بالتدمير وتقبض ثمن التدمير أيضاً والذي يقدر بمئات الملايين من الدولارات .
وكما اعادت حرب القوات المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة الامريكية العراق إلى ما قبل العهد الصناعي كما جاء في التقرير الشهير لاهتساري نائب الأمين العام السابق للأمم المتحدة ، فان النظام الاستبدادي قد اعاد العراق إلى القرون الوسطى في قوانينه المعادية للحريات والمنافية للشرعية الدولية .

فمشروع الدستور العراقي والذي نشر قبل ثلاثة أيام من غزو الكويت ينص على وجوب نشر القوانين في الجريدة الرسمية ثم يردف «ما لم ينص فيها على خلاف ذلك» .
فهل هنالك دولة في العالم المتحضر لا تنشر قوانينها ليطلع عليها المواطنون؟

كما حظر مشروع الدستور الجديد تأسيس الاحزاب السياسية والجمعيات والنوادي التي تقوم على أساس «زج الدين في السياسة أو الالحاد أو الطائفية أو الاقليمية أو الشعبية» وفرض شروطاً سياسية على الترشيح للمجلس الوطني أو مناصب الحكم المختلفة . منها ان يكون المرشح مؤمناً بمبادئ ثورة ١٧ تموز وهو الانقلاب العسكري الذي جاء بالنظام إلى الحكم عام ١٩٦٨ وان تكون اسهاماته في «قادسية صدام المجيدة» فعالة ومتميزة وان يكون مؤمناً بأن قادسية صدام المجيدة «قد عززت بالمجد هام العراق والأمة العربية» . وان يكون مؤمناً بالاشتراكية وذا سلوك اشتراكي . وان يكون غير محكوم عليه في جريمة التآمر على ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ أو على نظام حكمها أو محاولة قلب ذلك النظام . وهي أحكام قيمة تتنافى والاختيار الديمقراطي للقيادات .

كما يحظر الدستور على الاحزاب - عدا حزب البعث - العمل السياسي أو الحزبي في القوات المسلحة وقوات الأمن وهو تقنين للتمييز بين المواطنين تحاول جنوب افريقيا الآن التخلص منه .

هذه وغيرها من القيود اللامعقولة يسميها النظام الشرعية الدستورية وتداول السلطة على أساس التعددية الفكرية والسياسية .

وحين سيسمح للشعب العراقي التعبير عن نفسه في انتخابات حرة وبمراقبة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان غير الحكومية، سيستخدم الشعب حقه الاصيل في محاسبة المسؤول عن هذه الكارثة، كما سيطالب الشعب العراقي هذه المرة بالتعويضات من الدول العظمى التي سلحت النظام العراقي ثم جرت به إلى المصيدة.

ان القرار ٦٨٧ بمواده الـ ٣٤ تدخل في صميم السيادة العراقية لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية ومجلس الأمن ولكن شيئاً مهما تجاهله القرار وهو حقوق الانسان والديمقراطية للشعب العراقي.

والمادة ١٤ من نفس القرار تتكلم عن تدمير الاسلحة العراقية كخطوة هدفها انشاء منطقة في الشرق الاوسط خالية من اسلحة الدمار الشامل. ولكي نصدق ان هنالك شرعية دولية وان هنالك نظام دولي جديد ترجو منظمتنا ان تطبق هذه المادة فعلياً على كل دول الشرق الاوسط وان لا تكون أبرز مكونات هذا النظام هو نزع سلاح العرب ومكافحة اسرائيل.

«قال منتظر اصدقت أم كنت من الكاذبين» سورة النمل ٢٧

صدق الله العظيم

١٢ أوت ١٩٩١

الاشتراك السنوي:

٢٥ دولار أو ما يعادلها
يدفع مقدماً بشيك أو حوالة مصرفية
إلى رقم الحساب:

282243 - 54

Banque Libano - Francaise

Bar Elias - Lebanon

المراسلات:

الثقافة الجديدة

سوريا - دمشق

ص. ب. ٧١٢٢

ت ٧٧٧٤٩٧



لوحنا الغلاف للفنان الكردي سالار مجيد

السعر ديناران